

رحلة في الآفاق والأعماق شرح دعاء كميل

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَبِقُدْرَتِكَ الَّتِي
فَهَرْتُ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ وَنَحَضَعُ لَهَا كُلَّ شَيْءٍ وَذَلَّ لَهَا كُلَّ شَيْءٍ وَ
يَجْمَعُونَكَ الَّتِي غَلَبَتْ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ وَبِعِزَّتِكَ الَّتِي لَا يَسُومُ لَهَا
شَيْءٌ وَبِعَظَمَتِكَ الَّتِي مَلَأَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَبِإِسْطَارِكَ الَّتِي غَلَا
كُلُّ شَيْءٍ وَبِوَجْهِكَ الْبَاقِي بَعْدَ مَاءِ كُلِّ شَيْءٍ وَبِإِسْطَارِكَ الَّتِي



الاستاذ حسين أنصاريان
ترجمة: كمال السيد



www.haydarya.com

رحلة في الآفاق والأعماق

شرح دعاء كميل

تأليف

حسين انصاريان

ترجمة

كمال السيد



دعاء كميل، شرح.
«رحلة في الآفاق والأعماق شرح دعاء كميل/ تأليف حسين انصاريان؛ ترجمة كمال السيد. - قم:
انصاريان، ١٣٨٣ - ٢٠٠٤.
٤٠٨ ص.

عنوان أصلي: شرح دعاء كميل.

ISBN: 964-438-593-4

الف. انصاريان، حسين، ١٣٢٣ -

٢. دعا.

١. دعاء كميل.

ج. عنوان.

ب. السيد، كمال، مترجم.

٢٩٧/٧٧٤

٥٠٤٥ ألف/٥٠٢/٢٩٦ BP

رحلة في الآفاق والأعماق

شرح دعاء كميل

المؤلف: حسين انصاريان

ترجمة: كمال السيد

الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر - قم

الطبعة الأولى ١٣٨٣ - ٢٠٠٤ - ١٤٢٥

المطبعة: نكين - قم

الكمية: ٢٠٠٠ نسخة

عدد الصفحات: ٤٠٨ ص.

حجم الغلاف: كبير

رقم الإيداع الدولي (ISBN): ٩٦٤-٤٣٨-٥٩٣-٤

جميع حقوق الطبع محفوظة ومسجلة للناشر



مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر

جمهورية إيران الإسلامية

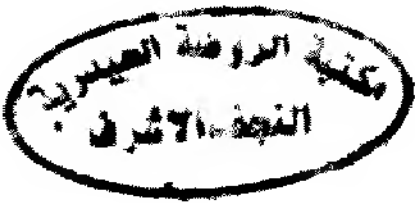
قم - شارع الشهداء - فرع ٢٢

ص.ب ١٨٧

هاتف: ٧٧٤١٧٤٤ (٢٥١) (٩٨) فاكس: ٧٧٤٢٦٤٧

البريد الإلكتروني: ansarian@noornet.net

www.ansariyan.org & www.ansariyan.net



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ

كلمة الناشر

الدعاء حديث الانسان إلى ربه وعلاقة المخلوق مع خالقه ؛ والعرفاء يعدّون الدعاء التزاماً عملياً بالتوحيد ؛ ولذا نرى الأنبياء والرسل والأئمة من أهل البيت عليهم السلام يولون أهمية بالغة للدعاء . ويبرز دعاء كميل كواحد من أهم الأدعية ؛ التي تعدّ ينابيع للفيض الالهي لما ينطوي عليه من مضامين عرفانية سامية ، حتى قيل عنه : «إنسان الأدعية» .

ودعاء كميل ووفقاً لما ورد في الروايات صدر من ينابيع النبوات فهو كلمات الخضر جرت على لسان سيّدنا وامامنا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولذا شغل منزلة مرموقة لدى أهل البيت عليهم السلام فاحتفوا به جميعاً .

من هنا يُعتبر دعاء كميل مدرسة كبرى عميقة الغرر لما تشتمل عليه من مسائل غاية في الأهمية في الحياة الروحية والانسانية وقد تصدّى إلى شرحه الأستاذ القدير الشيخ حسين أنصاريان وقد أبدع في ذلك لما امتازت به شخصيته من خصال ولاطلاع الواسع على المصادر الاسلامية الأصيلة ولما عرف عنه من ارتباط روحي عميق مع هذا الدعاء الكريم ، فكان هاجسه احياء كلماته ومعانيه في ضمير ووجدان وفكر الانسان ؛ فجاءت شروحه مستندة إلى أسس وركائز قرآنية وروائية وعرفانية .

وانطلاقاً من العلاقة الروحية والوجدانية التي تربط المؤلف بهذا الدعاء الشريف وما يحظى به قلمه من اشعاع؛ فقد جاء شرحه لدعاء كميل ذلك السفر الجليل زاخراً بالعلم والمعرفة والفكر الأصيل.

نأمل أن يفتح هذا الكتاب لطلاب المعرفة وعشاق الثقافة الإسلامية نافذة على عوالم هذا الدعاء الكريم.

مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر

قم المقدسة - إيران

بسمه تعالى

قبس من حيات المؤلف

قدّمت مدينة « خوانسار » وعلى مدى قرون وجوهاً مشرقة للانسانية كان من بينها علماء كبار كالمرحوم آية الله العظمى السيد حسين الخوانساري رحمته الله والمرحوم آية الله العظمى السيد جمال الخوانساري رحمته الله والمرحوم آية الله العظمى السيد محمد تقي الخوانساري رحمته الله والمرحوم آية الله العظمى السيد أحمد الخوانساري رحمته الله وآلاف العلماء ممن نشأوا في هذه المدينة العريقة .

ولد سماحة الأستاذ الشيخ حسين الأنصاريان في أبان سنة ١٣٢٣ هـ حيث فتح عينيه في هذه المدينة المباركة من ايران الاسلامي .

وأسرته معروفة بأسرة الحاج شيخ وقد اشتهرت هذه الأسرة بالتدين والخدمات الدينية وكثير منهم من العلماء الأعلام حيث المرحوم الفقيه آية الله العظمى الشيخ موسى أنصاريان رحمته الله من أعرف وجوه هذه الأسرة العلمية والدينية .

يقول الامام الخميني رحمته الله فيه :

« لم أجد كتاباً في فقه الصلاة أجود من كتاب المرحوم آية الله أنصاريان » .

وللمرحوم عشرات الآثار الأخرى في « منية الطالب » الذي هو تقريراته في دروس المرحوم الناقيني من أبرزها .

قلّده معظم أهالي النجف الأشرف بعد رحيل آية الله العظمى الأصفهانى ، ولكن الأجل لم يممهله

فتوفي إثره بمدة قليلة .

أما نسبه من والدته وهي من علويات البيت المصطفوي وجده من أمه شخصية معروفة يقصدها كثير من العلماء القادمين من النجف وقم حيث منزله مفتوح لاستضافتهم وإقامتهم.

يروى الأستاذ إحدى ذكرياته يوم كان في الثالثة من عمره:

« جئت إلى بيت جدي ذات يوم آية الله العظمى محمد تقي الخوانساري عليه السلام ، كنت

يومها طفلاً فتحت لباب على غرفة الضيوف وقصدته وجلست في حضنه فأراد جدي

أن يأخذني إلى العيال فمنعه وراح يمسح على رأسي وسألني ماذا تحب أن تصبح في

المستقبل ؟ قلت : أريد أن أصير مثلك ، فدعالي ...

« وما يزال طيف تلك ماثلاً أمامي كأحلى ذكرى في حياتي » .

شاء القدر أن تنتقل أسرته إلى طهران وهو ما يزال في الثالثة من عمره وقد قطنت أسرته في

أحدى المحلات المحافضة التي كانت تعرف بـ « شارع خراسان » .

وكان عالم المحلة يومئذٍ المرحوم آية الله الحاج الشيخ علي أكبر برهان عليه السلام فتتلمذ الأستاذ على

يديه وهو ما يزال في نعومة أظفاره ، وقد أثر في حياته تأثيراً بالغاً مما جعله يقول : « أنه لم ير له نظيراً

أبداً » .

كان آية الله برهان عالم جليل ومجتهد تقي وكان يؤم المسلمين في جامع « لوزاده » وكانت

شخصيته تنطوي على جاذبية شدة إليها الجميع من الطفل الصغير إلى الشيخ الكبير ... وكان مهتماً

بتعليم الجميع وتربيتهم ، فافتتح مدرسة في الجامع وأخذ على عاتقه مهمة التدريس من المراحل

الابتدائية .

يروى الأستاذ أنصاريان ذكرياته في تلك الفترة قائلاً :

« طالما سمعت المرحوم أستاذنا يكرر من فوق المنبر أنه لا يود أن يموت في طهران

ويدفن فيها وكان يدعو الله في ذلك في الليالي الأحياء بعيون دامعة ، فكان عاقبة أمره

أن توفاه الله سبحانه وتعالى في سنة ١٣٣٨ في الحج إلى بيت الله الحرام ودفن في

مدينة « جدة » وكان عمري يومئذٍ أربعة عشر عاماً » .

وأنس الأستاذ من طفولته مع وجوه مشرقة مثل مرحوم آية الله السيد محمد تقي غضنفرى رحمه الله إمام مسجد «دوراة» في خوانسار، ويروى ذكرى أخرى عنه :

« انتظمت في سلك الدراسة الدينية ووصل خبر ذلك إلى المرحوم غضنفرى ، رتب بهذه المناسبة حفلاً دعا أقارب والدي وعدداً من أهالي لمحلة وقد كان لذلك من الأثر في نفسي كبير حيث شجعني على مواصلة طلب العلم بهمة عالية واردة لا نعرف الخور » .

وكان رحمه الله عالماً عاملاً زاهداً وأقام صلاة الجمعة سنوات كثيرة في مدينة خوانسار . ومن الوجوه المشرقة التي تأثر بها الأستاذ هو المرحوم آية الله سيد حسين عوي الخوانساري رحمه الله وكان من المجتهدين المبرزين وله حوزة علمية تتلمذ فيه عدة من محصلي علوم الدينية ويستفادون منه وكان قد عاد من النجف مجتهداً بتصديق أسانيده ويستقر في خوانسار . يقول الأستاذ أنصاريان عن المرحوم :

« عندما ارتديت زي الطلبة وذهبت لزيارة جدي لأمي المرحوم السيد محمد باقر مصطفىوي رحمه الله وجدّتي وقومي في خوانسار دعاني أحدهم لاقامه مجلس حسيني لمدة عشرة أيام في مسجد « آقا أسد الله » قلن نعم ، وارتقيت المنبر في يوم 'الأول' فرأيت المرحوم - آية الله علوي - كان ضمن الجالسين فتعجبت أن يجلس مثله إلى منبر مثلي وأنا شاب ، قلت في نفسي لعل له علاقة مع صاحب المجلس فجاء للمجاملة ولكن يا للعجب لقد رأيته في جميع تلك الليالي وعرفت أنه كن يحضر من أجل تشجيعي » .

من الوجوه الأخرى هو آية الله الحاج السيد محمد علي بن الرضا الخوانساري دامت بركاته وكانت له معه علاقة نسب وهو عالم زاهد متخلق ويقول فيه المؤلف :

« منذ أيام الصبا استقر في ذهني منه حفظه الله نقطة أساسية أصبح لها الأثر الكبير في حياتي وهي مواظبته على زيارة سيدنا الحسين عليه السلام في ليلة كل جمعة بعد صلاة

العشاء وهي الزيارة المعروفة بـ «زيارة وارث» وكان يقرأها قائماً في حال عجيبة تؤثر في الكثير من الناس ممن يحضر تلك الزيارة».

وكن للمؤلف علاقه طيبة جداً مع المرحوم الهي قمشائي رحمته الله حيث كان يحضر دروسه في الاخلاق.

وقد ساعدت جميع هذه العوامل في تحديد مسار دراسة الأستاذ المؤلف فما ان أكمل دراسة الثانوية حتى اتخذ سمته صوب الدراسة الدينية بمشورة مع الاستاذ قمشائي.

انتهل المؤلف دروسه الدينية في حوزتي قم وطهران ، ففي طهران بعد اتمام الآداب درس معالم الأصول على يد آية الله الميرزا علي فلسفي دامت بركاته وكان قد خلف «برهان» في امامة المؤمنين في «جامع لرزاده» وآية الله فلسفي حصل على اجزة الاجتهاد من السيد الخوئي.

وقد استجاز المؤلف من آية الله فلسفي للرحيل إلى حوزة القم وقد بلغ من اهتمام آية الله فلسفي بالمؤلف أنه كان يرعاه رعية خاصة وودعه إلى قم بعد أن أهده حديثاً عن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله :
« من كان لله كان الله له ».

ويقول المؤلف أنه منذ ذلك اليوم وهو يسعى أن يكون لله ومع الله عزوجل وأنه لمس عن قرب أنه متى كان كذلك كان الله معه دائماً، وأن الله ينصر من ينصره.

وقد تم تعرف للمؤلف على أساتذة قم ودرس على أيديهم العلوم الدينية في طليعتهم المرحوم آية الله الحاج لشيخ عباس الطهراني رحمته الله وكان يواظب على حضور دروس الاخلاق التي كان يلقيها الحاج السيد حسين الفاطمي يقول عنها المؤلف : كانت أحاديث مفعمة بالحب والدموع.

وقد تنبّس بلباس روحاني على يد المرحوم آية الله الحاج الشيخ عباس الطهراني رحمته الله وانتهل علوم الدين - الرسائل والمكاسب والكفاية - على أيدي - أساتذة أجلاء منهم آية الله اعتمادي وآية الله العظمى لنكراني وآية الله صالح نجف آبادي وآية الله صانعي وبعد أن أتم دراسته السطوح العالية ولج مرحلة الاستنباط في الفقه الأصول أو ما يعرف « درس الخارج » فدرس في أيدي كبار الفقهاء كالمرحوم آية الله السيد محمد محقق داماد رحمته الله وآية الله العظمى منتظري والمرحوم آية الله العظمى

میرزا هاشم الآمی رحمته وکان حصیلة ذلک تقریرات قیمة فی الفقه والأصول .

ولا ننسی دراسته الحکمة علی یدی آیه الله الکیلانی وآیه الله جوادی آملی .

وقد أجزی المؤلف علماً وروایة من قبل کثیر من العلماء منهم : المرحوم آیه الله العظمی المیلانی رحمته والمرحوم آیه الله العظمی الأخوند الهمدانی رحمته والمرحوم آیه الله کمره ای رحمته والمرحوم آیه الله العظمی الکلبایکانی رحمته والمرحوم آیه الله العظمی السید أحمد الخوانساری رحمته والمرحوم آیه الله العظمی المرعشی النجفی رحمته والمرحوم آیه الله العظمی الامام الخمینی رحمته ، وبعد هذه المرحلة ولج سماحة الأستاذ أنصاریان عالم التألیف والتحقیق والتبلیغ ، وقد نتج عن هذه المرحلة التي امتدت إلى حوالي ثلاثین سنة أربعة آلاف محاضرة فی مواضع متنوعة وأكثر من أربعین کتاباً تقع فی حدود ستین مجلداً وكلها خلال اقامته الاجباریة فی مدینة طهران .

المؤلفات :

- | | |
|----------------------------------|--|
| ۱ - به سوی قرآن و اسلام | ۱۴ - نظام خانواده در اسلام |
| ۲ - فروغی از تربیت اسلامی | ۱۵ - در بارگاه نور |
| ۳ - با کاروان نور | ۱۶ - چهل حدیث |
| ۴ - توبه ، آغوش رحمت | ۱۷ - حج وادی امن |
| ۵ - مرز روشنایی (مجموعه شعرية) | ۱۸ - چهره های محبوب و منفور در قرآن |
| ۶ - مناجات عارفان (مجموعه شعرية) | ۱۹ - ترجمه قرآن کریم |
| ۷ - چشمه سار عشق (مجموعه شعرية) | ۲۰ - ترجمه و باز نویسی مفاتیح الجنان |
| ۸ - گلزار محبت (مجموعه شعرية) | ۲۱ - ترجمه نهج البلاغه |
| ۹ - مجموعه غزلیات (مجموعه شعرية) | ۲۲ - ترجمه صحیفه سجادیه |
| ۱۰ - سیمای نماز | ۲۳ - راهی به سوی اخلاق اسلامی |
| ۱۱ - عبرتهای روزگار | ۲۴ - ولایت و رهبری از دیدگاه نهج البلاغه |
| ۱۲ - نسیم رحمت | ۲۵ - شرح دعای کمیل |
| ۱۳ - اخلاق خوبان | |

- ۲۶ - زیباییهای اخلاق
۲۷ - مجموعه مقالات (تحت الطبع)
۲۸ - فضل و رحمت (تحت الطبع)
۲۹ - أهل بیت علیهم السلام (تحت الطبع)
۳۰ - عبودیت (تحت الطبع)
۳۱ - معاشرت (تحت الطبع)
۳۲ - مهر و محبت (تحت الطبع)
۳۳ - شفا در قرآن (تحت الطبع)
۳۴ - نفس (تحت الطبع)
۳۵ - عرفار (تحت الطبع)
۳۶ - تقریرات درس المرحوم آية الله العظمی
الحاجي ميرزا هاشم آملی (مخطوط)
۳۷ - تقریرات درس الخارج للمرحوم آية الله
العظمی الحاج شيخ ابو الفضل نجفی
خوانساري (مخطوطه)
۳۸ - عرفان اسلامی (شرح مصباح الشریعة)
۱۲ مجلدات
۳۹ - دیار عاشقان (شرح صحیفه سجادیه)
۷ مجلدات
۴۰ - لقمان حکیم
۴۱ - اسلام و کار و کوشش
۴۲ - سلام و علم و دانش
۴۳ - امام حسن علیهما السلام و ابتهر بشناسیم
۴۴ - معنویت ، اساسی ترین نیاز عصر ما

ترجم له الآن:

- ۱ - با کاروان نور (إلى الانكليزية)
۲ - نظام خانواده در اسلام (إلى الانكليزية)
۳ - نظام خانواده در اسلام (إلى الاردو)
۴ - نظام خانواده در اسلام (إلى اللغة
العربية)
۵ - شرح دعای کمیل (إلى اللغة العربية)
۶ - توبه آغوش رحمت (باللغة العربية تحت
الطبع)
۷ - توبه آغوش رحمت (باللغة الانكليزية
تحت الطبع)
۸ - توبه آغوش رحمت (بالعربية تحت
الطبع)
۹ - لقمان حکیم الاردو (تحت الطبع)
۱۰ - شرح دعای کمیل (الاردو تحت الطبع)
۱۱ - شرح دعای کمیل (الانكليزية تحت
الطبع)
۱۲ - نظام خانواده در اسلام (الروسية تحت
الطبع)
۱۳ - نظام خانواده در اسلام (بالتركية
الاسطنبولية تحت الطبع)
۱۴ - شرح دعای کمیل (آذري کريل)
۱۵ - نظام خانواده (آذري کريل)
۱۶ - نظام خانواده (ترکيه استانبولي)

بسم الله

كلمة المؤلف

كنت في حادية العشرة من عمري، وكان والدي يأخذني معه في ليالي شهر رمضان الكريم إلى المجالس الدينية التي كانت تقام يومئذ في طهران. وكان المرحوم الحاج السيد محمد مهدي لاله زاري وكان عالماً تقياً ورعاً يرشد الناس ويعظهم وكانت كلماته الطيبة تسحر الناس بأثرها وروعها. وكان الله يقرأ في ليالي الجمعة دعاء كميل بصوت شجي فتخرج كلمات الدعاء ممتزجة بدموعه، وقد اطفئت المصابيح وكان صوته ينساب في تلك الليالي المباركة ولم نكن نسمع صوتاً غيره. حتى ان المرء يشعر ان نهراً هادئاً ينساب ويجري يسقى القلوب العطشى ويروي النفوس الظامئة. استطيع القول اني كنت مفتوناً بذلك الدعاء حتى انني حفظته عن ظهر قلب، وكنت لا أنفك اردد كلماته بصوت حالم واشعر أن كلمات الدعاء تتدفق من قلب سيدنا علي، وانها تستحيل إلى نبع يتدفق ويجري ويغسل القلوب، ويطهر النفوس.

ولما جئت إلى قم وقد انتظمت في سلك الحوزة العلمية لدراسة العلوم الدينية، أخذت على نفسي اقامة مجلس في ليالي الجمعة لقراءة هذا الدعاء الكريم؛ وسرعان ما أصبحت مجالس قراءة هذا الدعاء ظاهرة في ايران كلها

وفي خارج ايران أيضاً شهدت تلك المجالس اقبالاً من الناس منقطع النظر.
وها أنا أجد نفسي وقد وفقني الله عزوجل إلى شرح هذا الدعاء الجليل آملاً
أن يفيد منه الجميع.

ختاماً أتقدم بالشكر والتقدير إلى قسم التحقيق في مؤسسة دار العرفان التي
نهضت بمهام التقويم والتنقيح وكذا نشر هذا الجهد المتواضع سائلاً العلي القدير أن
يمنّ على الجميع بالموفقية والرشاد.

الفقير إلى مولاه

حسين أنصاريان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نظرة إلى الدعاء

الدعاء؛ اظهار الحاجة في رحاب من لا يحتاج إلى أحد.

الدعاء؛ التعبير عن الفقر والمسكنة والبؤس في حضرة الغني المطلق ومالك الوجود بأسره.

الدعاء؛ مدّ الأيدي والأكفّ الخالية من كل شيء باتجاه الكريم السخيّ الكريم واطهار العجز أمام القادر المتعال.

الدعاء؛ طلب النجدة والغوث من العبد الضعيف المسكين الذليل المستكين البائس إلى الخالق الرحيم والربّ الكريم والحكيم اللطيف والسميع البصير.

الدعاء؛ تعبير عن التواضع والخشوع والانكسار والخضوع في رحاب الملك القدوس العزيز الجبار المتكبر القوي والعليم القدير.

الدعاء؛ لغة الحب والأنس بين العاشق والمعشوق، فهو ينبوع العاشقين والسالكين وقرّة عين العارفين وسراج الراحلين وقنديل المشنقين، وسند البائسين والمحتاجين، ونور يشعّ في قلوب الحائرين.

الدعاء في القرآن الكريم

يقول نبع الفيض اللانهائي، والبحر الذي لا آخر له ولا أول، والنور الذي لا

ظلمة معه، ينبوع الحكمة، رب العزة، في كتابه المنزل، مخاطباً نبيه المرسل:

﴿ قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾^(١).

اخبرهم يا رسولي يا نبي الرحمة للعالمين ان الله ربكم لا يكثرث لكم إلا عند ما تدعونه وتسالونه؛ فالدعاء اذن الأداة الوحيدة التي يمكننا من خلالها أن نرتبط بالله عز وجل.

ومن خلال الدعاء تتدفق الرحمة الالهية نحونا، نظرة من الله سبحانه وحدها تقشع عنا الشقاء وتبسط أمامنا مائدة مفعمة باللذة والسعادة والبركة والنماء. يقول حبيب المحييين، معشوق العاشقين، وأنيس الذاكرين، وجليس الشاكرين، ونصير المستضعفين في قرآنه الكريم:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾^(٢).

أجل لا يوجد شيء أقرب إلى الانسان من ربه، إنه قريب جداً وهل هناك من هو أقرب له ممن أوجده ومنحه نعمة الحياة والوجود؟! الله سبحانه الذي أودع الانسان في رحم أمه جنيناً، ثم أخرجه إلى النور من ظلمات ثلاث، ثم إذا به وهو يفتح عينيه على الدنيا يجد مائدة الوجود الحافلة بكل النعم المادية والروحية، وإذا هو الكائن الذي يجد حوله من الموجودات في خدمته مسخرة له، ثم بعث له الأنبياء والرسل من أجل هدايته وارشاده إلى طريق السعادة في الدارين. في دار الدنيا ودار الآخرة، وأنزل عليه القرآن الكريم كتاباً عزيزاً يضيء له الطريق ونصب له نجوم الهداية وهم أئمة أهل البيت المعصومين عليهم السلام يدلونه إلى معين الخير والسعادة والخلود؛ الله سبحانه هو وحده

١ - سورة الفرقان: ٧٧.

٢ - سورة البقرة: ١٨٦.

الذي يطعم عبده الجائع ويسقي عباده الظامئين يشفي المرضى ويعين البائسين
يبدد وحشة المرء بزوجته تؤنسه وأبناء يتوددون له وأصدقاء يخلصون وأحباء
يحنون إليه .

الله سبحانه الذي يكسو الحفاة والعراة ويوقد شعلة الحب في قلوب عباده
المؤمنين ، ويرفع عنهم الأغلال التي يضعها الخاطئون من البشر ممن يغويهم
الشیطان .

الله سبحانه هو وحده مصدر العزة والكرامة وفي عبادته وحده تكمن الحرية .
الله وحده هو خالق كل شيء وهو وحده لقادر على كل شيء . أجل هو
وحده الذي يراقب الأعماق وهو وحده الذي يعرف حاجات عباده وما ينشدون .
قال الله تبارك وتعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ ^(١) .

والأنبياء وهم مثال الانسانية ونموذجها الاسمي في البصيرة والحكمة والنبيل
والاخلاق الرفيعة ، كانوا متعلقين بأدب الدعاء ، قلوبهم النابضة بالحب تتلقى
الاشراق والوعي ، تتلقى الفيض الالهي ، أرواحهم تسبح في ملكوت الله ونفوسهم
تطوف حول عرش الله ، وقلوبهم تغتسل بالدعاء والكلمات المقدسة .
أجل الأنبياء والمرسلون تلك هي حياتهم ، الصلاة تجري على شفاههم
وتمتعات الدعاء تطوف ، تنساب من أفواههم ، يتقربون إليه عز وجل بالدعاء
فتراهم خاشعين في رحابه ، خاضعين في حضرته .

انهم يعتبرون الدعاء منطق النمو للروح وتركيز للقلب ، ولا يزيح غبار المادة

المتكاثف عن قلوبهم، إلا بالاستحمام في رشاش الكلمات المقدسة التي تسبح بحمد الله.

كانوا صلوات الله عليهم أجمعين واثقين أشد الوثوق، مؤمنين شدة الإيمان أن الله عز وجل لن يخيبهم ولن يعودوا من حضرته وساحته خائبين.

كانوا متأكدين من استجابة الدعاء فلم يعتور إيمانهم بالله شك ولا ريب ولا هم بحزنون.

الله الصمد: شعارهم فهم الفقراء في حضرته وهو الغني المطلق الكريم الذي لا يخيب قلبه ولا بطرد عن بابه سائليه.

وهذا القرآن الكريم يروي على لسان سيدنا إبراهيم قوله:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾^(١).

الدعاء هو الذي كان وراء ولادة يحيى وقد بلغ الكبر بوالده زكريا ما بلغ حتى اشتعل الشيب في رأسه.

أجل ولد يحيى وكان أبوه شيخاً طاعناً في السن وكانت أمه عاقراً غير ولود. لم يشعر زكريا عليه السلام باليأس حتى سمع الملك يخاطبه:

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾^(٢).

والدعاء كان وراء نزول مائدة من السماء عندما أراد الحواريون أنصار المسيح عليه السلام ذلك فما أن رفع كفيه إلى السماء طالباً مائدة سماوية الهية تكون لهم عيداً، حتى استجاب الله عز وجل وأنزل عليهم مائدة تزخر بالبركة والخير وكانت

١ - سورة إبراهيم: ٣٩.

٢ - سورة مريم: ٥ - ٩.

كرامة للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام (١).

وقد أمر الله عز وجل عباده بالدعاء ودعاهم إلى ذلك ليَجسّدوا العبودية له ويعبّروا عن حاجتهم الدائمة إليه.

لا عبادة أرقى وأسمى وأكثر تعبيراً من كلمات خاشعة خاضعة نمتزج بالدموع، تخرج من قلب كسير ونفس تعي بأنها لا شيء وأنها مجرد صفر أمام الواحد الأحد الفرد الصمد.

أجل لا شيء أجمل من مشهد الانسان وهو يمدّ كفيه إلى رب الوجود وخالق كل شيء.

نعم الدعاء هو التعبير الكامل الذي يجسّد حالة الانسان المتواضع لسيّده والعبد إلى مولاه والدعاء هو الذي يحطم روح الغرور الفارغ والتكبر البشري الذي لا يعني شيئاً غير الجهل.

قال الله عز وجل في محكم كتابه :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٢).

الدعاء في الروايات

ان فضل الله سبحانه تبارك وتعالى يغمر كل الكائنات وبخاصّة لانسان، وهذه مائدة الوجود مفعمة برحمته ولطفه وكرمه.

لا يوجد في رحابه معنى لليأس أو القنوط، ولا في حضرته بخل وليس في صفاته مكان للطرد.

١ - سورة المائدة . ١١٢ - ١١٥ .

٢ - سورة المؤمنون : ٦٠ .

نبع يتدفق فضلاً وكرماً وجوداً وعطاءً، فالجميع يرنو إليه وينظر إلى وجهه الكريم.

قال تبارك وتعالى يخاطب عبده داود:

﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾^(١).

وهذا تراثنا الاسلامي يحفل بالنصوص الرائعة الجميلة الزاخرة بالمعاني النبيلة، التي تشكل مع ما يسطع من آيات الله البينات بشارة كبرى من الله عز وجل إلى عباده، إلا ييأسو من رحمته وفضله وأن تبقى قلوبهم تنبض بالأمل ولرجاء، في كل الظروف والأحوال وليعلموا إلا سبيل إلى الله إلا باللجوء إليه وإلا طريق إلى السعادة والخلود إلا بدعائه والتواضع في حضرته والتضرع في رحابه والخضوع بين يديه؛ وأنه لا يمكن تحقيق ما يصبو إليه البشر إلا بدعائه باخلاص وحب وإيمان.

من هنا أكّدت الشريعة الاسلامية وجاء في الروايات والآثار ما يبين منزلة لدعاء وأهميته وبخاصة ما روي عن أئمة المسلمين أئمة أهل البيت الطاهرين إذ جاء من التأكيد على الدعاء ما يجعله عبادة رفيعة لا تضاهيها عبادة.

جاء عن سيدنا محمد ﷺ قوله:

«إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(٢).

وعنه ﷺ قال:

١ - سورة مريم ٢٦.

٢ - المحجة البيضاء: ٢/٢٨٢، كتاب الأذكار والدعوات، باب ٢.

«الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»^(١).

وجاء عن الامام محمد الباقر عليه السلام قوله :

«أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الدُّعَاءُ»^(٢).

وعنه عليه السلام أيضاً قال :

«مَا مِنْ شَيْءٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا مِنْ أَنْ يُسْأَلَ وَيُطْلَبَ مِمَّا عِنْدَهُ، وَمَا أَخَذَ

أَبْغَضَ إِلَى اللَّهِ مِمَّنْ يَسْتَكْبِرُ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْأَلُ مَا عِنْدَهُ»^(٣).

وعن الامام علي أمير المؤمنين عليه السلام قوله :

«أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَرْضِ الدُّعَاءُ»^(٤).

وعنه عليه السلام قوله :

«الدُّعَاءُ مِفَاتِيحُ النَّجَاحِ، وَمَقَالِيدُ الْفَلَاحِ، وَخَيْرُ الدُّعَاءِ مَا صَدَرَ عَنْ صَدْرِ نَقِيٍّ

وَقَلْبٍ تَقِيٍّ، وَفِي الْمُنَاجَاةِ سَبَبُ النُّجَاةِ وَبِالإِخْلَاصِ يَكُونُ الْخَلَاصُ، فَإِذَا اشْتَدَّ

الْفَرْعُ قَالَى اللَّهُ الْمَفْرَعُ»^(٥).

وعن الامام الصادق عليه السلام :

«إِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ فَعَلَيْكُمْ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ»^(٦).

١ - محجة البيضاء : ٢/٢٨٢، كتاب الأذكار والدعوات، باب ٢.

٢ - محجة البيضاء : ٢/٢٨٣، كتاب الأذكار والدعوات، باب ٢.

٣ - الكافي : ٢/٤٦٦، باب فضل الدعاء، حديث ٢.

٤ - الكافي : ٢/٤٦٧، باب فضل الدعاء، حديث ٨.

٥ - الكافي : ٢/٤٦٨، باب أن الدعاء سلاح المؤمن، حديث ٢؛ محجة البيضاء : ٢/٢٨٤، باب الثاني في

آداب الدعاء.

٦ - الكافي : ٢/٤٧١، باب إلهام الدعاء، حديث ٢؛ محجة البيضاء : ٢/٢٨٤، باب الثاني في آداب الدعاء.

وعنه عليه السلام قال :

«عليك بالدُّعاء؛ فإنَّ فيه شفاءً من كلِّ داءٍ» (١).

قيمة الدعاء عند ما يكون اجتماعياً

تتخذ عبادة الدعاء عندما تتم بصورة جماعات جماعات حلّة أخرى وتصبح لها قيمة أكبر، إذ أننا سنشهد حالة أخرى من أداء هذه لعبادة حيث يجتمع بعض الناس في مكان واحد متجهين بقلوبهم جميعاً إلى نقطة واحدة ثم تمتد الأكف والأيدي المتضرعة إلى الله سبحانه وتعالى تستمطر رحمته وتستنزل فضله وكرمه، فتتفتح أبواب الرحمة والجود الإلهي؛ تغمرهم بالبركات، ذلك أنه عندما تتفتح القلوب ونشرح لصدور فان الله سبحانه هو السميع المجيب.

وعندما تصاعد كلمات التضرع والمناجاة، وعند تمتزج بأهات القلوب وفطرات الدموع حينئذ تنفتح أبواب السماء بغيث الرحمة والبركات والسخاء.

ونقد ورد فضل وقيمة الدعاء الجماعي في حشد من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام.

عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام قال :

«مَا اجْتَمَعَ أَرْبَعَةٌ قَطُّ عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ قَدَعُوا إِلَّا تَفَرَّقُوا عَنْ إِجَابَةٍ» (٢).

وعن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله قال :

«لَا يَجْتَمِعُ أَرْبَعُونَ رَجُلًا فِي أَمْرٍ وَاحِدٍ إِلَّا اسْتَجَابَ إِلَهُ تَعَالَى لَهُمْ حَتَّى لَوْ دَعَوْا

١ - الكافي : ٤٧٠/٢، باب أن الدعاء شفاء من كل داء، حديث ١؛ محجة البيضاء . ٢٨٥/٢، باب الثاني في آداب الدعاء.

٢ - الكافي : ٤٨٧/٢، باب الاجتماع في الدعاء، حديث ٢؛ جامع أحاديث الشيعة : ٣٥٤/١٩.

على جَبَلٍ لَأَزَالُوهُ»^(١).

ويروي العالم الرباني ابن فهد الحلبي ممّا ورد في كتاب «وسائل الشيعة» في كتابه «عَدَّة الداعي»:

إن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى! تقرب إلى المؤمنين، ومُرهم أن يدعوني معك^(٢).

وعن الامام الصادق عليه السلام قال:

«كَانَ أَبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا خَرَجَ أَمَرَ جَمَعَ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ ثُمَّ دَعَا وَأَمَّنُوا»^(٣).

لا يأس مع الايمان

ينبغي للداعي أن يعي هذه الحقيقة جيداً وهي أن الله سبحانه الرحمن الرحيم هو الذي أمر بالدعاء وضمن الاجابة، فقال عز وجل:

﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٤).

ان الله عز وجل هو القادر على كل شيء، فكل هذا الوجود يحيا في ظلاله الوارفة وهو الحاكم المطلق في هذا العالم وهو الذي إذا قال للشيء كن فيكون، يستجيب كل دقائق هذا الكون المترامي لأمره وتخضع لسلطوته الأشياء وتتحرك بمشيئته.

من هنا لا ينبغي للداعي وهو يقف في حضرة الله سبحانه وفي رحابه عز وجل

١ - مستدرک الوسائل: ٢٣٩/٥، باب ٣٦، حديث ٥٧٧٢؛ جامع أحاديث الشيعة. ٣٥٤/١٩

٢ - وسائل الشيعة: ١٠٤/٧، باب ٣٨، حديث ٨٨٥٦.

٣ - وسائل الشيعة: ١٠٥/٧، باب ٣٩، حديث ٨٨٦٠.

٤ - سورة لمؤمنون: ٦٠.

وهو نبع الرحمة اللانهائي، لا ينبغي له أن تساوره ذرة من يأس وقنوط، ذلك أن حالة اليأس إنما هي حالة كفر لا تليق بالمؤمن الذي يعتقد بأن الله هو القادر المدبر السميع المجيب.

ان اليأس لا ينسجم مع الايمان بالله عزوجل بل هو حالة الكفار.
قال الله عزوجل:

﴿ لَا تَيْتَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْتَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
الْكَافِرُونَ ﴾^(١).

وقد أكد القرآن المجيد على الأمل الكامل بالله عزوجل ونهى عن اليأس.
قال الله تعالى:

﴿ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾^(٢).

وقل سيدنا محمد ﷺ:

«الْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ أَشَدُّ بَرْدًا مِنَ الزَّمْهِيرِ»^(٣).

وعنه ﷺ قال:

«الْفَاجِرُ الرَّاجِي لِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَقْرَبُ مِنْهَا مِنَ الْعَابِدِ الْمُقْنِطِ»^(٤).

وقد جاء في الروايات والمعارف الاسلامية أن اليأس والقنوط من رحمة الله من الكبائر، وقد توعد الله عزوجل اليائسين والقانطين بالعذاب الشديد.
ان عبي الداعي إلا يقنط من رحمة الله ولا يشعر باليأس إذا لم يستجب دعاؤه.

١ - سورة يوسف: ٨٧.

٢ - سورة زمر: ٥٣.

٣ - مستدرک الوسائل: ٥٩/١٢، باب ٦٤، حديث ١٣٥٠٧.

٤ - كنز العمال: ٥٨٦٩؛ ميزان الحكمة: ٥٠٤٦/١٠، القنوط، حديث ١٧١٠٩.

فقد جاء ذلك في الايات الكريمة وفي الرويات، فلعل عدم استجابة دعائه كان لمصلحة الداعي نفسه وربما لم تتوفر الظروف المناسبة لاجابة الدعاء. فعلى الداعي أن يتيقن من ذلك وهو ان عدم استجابة دعاؤه كان لمصلحة، وربما امتد ذلك إلى يوم القيامة يومئذ يستجاب له ذلك الدعاء فيعلم آنذاك انه كان لمصلحته ورحمة به من الله تبارك وتعالى.

وعلى أية حال على من يدعو إلّا ييأس من رحمة الله سبحانه؛ لأن اليأس ليست له أرضية عقلية ولا شرعية ولا أخلاقية ولا انسانية، وان المؤمن حقاً لا يدع لليأس طريقاً ينفذ إليه.

وقد ورد في مسألة الدعاء والاجابة كثير من الروايات الهامة في امهات الكتب الاسلامية وهذا مثال على هذه الروايات الاسلامية القيمة.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَدْعُو فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لِلْمَلَكَيْنِ: قَدْ اسْتَجَبْتُ لَهُ، وَلَكِنْ أَحْبَبَسُوهُ بِحَاجَّتِهِ؛ فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ. وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَدْعُو فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَجَلُوا لَهُ حَاجَّتَهُ؛ فَإِنِّي أَبْغِضُ صَوْتَهُ!»^(١).

عن منصور الصيقل قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ربما دعا الرجل بالدعاء فاستجيب له ثم أخر ذلك إلى حين قال: فقال: نعم، قلت: ولم ذلك ليزداد من الدعاء؟ قال: نعم^(٢).

شروط الدعاء

ان الداعي إذا أراد استجابة دعائه أن يتوافر على الشروط التالية قبل أن يلج

١ - الكافي: ٤٨٩/٢، باب من أبطأت عليه الاجابة، حديث ٣ و ٢.

٢ - الكافي: ٤٨٩/٢، باب من أبطأت عليه الاجابة، حديث ٣ و ٢.

ساحة الدعاء وقد ثبتت مصادر روائية هامة من قبيل: «أصول الكافي»، «المحجة البيضاء»، «وسائل الشيعة»، «جامع أحاديث الشيعة» شروط استجابة الدعاء وهي: الطهارة الشرعية من قبيل الوضوء، الغسل، التيمم، والنظهر من حق الناس، الاخلاص، قراءة نصوص الدعاء بطريقة صحيحة، الكسب الحلال، صلة الرحم، التصديق قبل الدعاء، طاعة الله عز وجل اجتناب المعاصي، العمل الصالح، الدعاء وف بلسحر، الدعاء في صلاة الوتر، الدعاء عند طلوع الفجر الصادق، الدعاء عند طلوع الشمس، الدعاء يوم الأربعاء بين الظهر والعصر، الصلاة على النبي ﷺ (١).

ليلة الجمعة

تؤكد الروايات الواردة عن أهل البيت ﷺ على أن ليلة الجمعة هي من أفضل الليالي والأوقات وأنسبها للدعاء وأنها ليلة لا تضاهيها ليالي الأيام الأخرى وأنها تكاد تضاهي ليلة القدر.

وقد أوصى الأولياء والصالحون ونصحوا باحياء هذه الليلة والعبادة والاستغفار ما أمكن، ذلك أن الله سبحانه يرسل في هذه الليالي ملائكة إلى أهل الالبمان، تغمرهم بالكرامة وتزيدهم حسنات إلى حسناتهم وتمحو سيئاتهم.

قال الامام الصادق عليه السلام:

«إن للجمعة حقاً فإياك أن تضيع حُرمتها أو تقصر في شيء من عبادة الله تعالى

وانتقرب إليه بالعمل الصالح وترك المحارم كلها فإن الله تعالى يضاعف فيه

الحسنات ويمحو السيئات ويرفع فيه الدرجات ويومه مثل ليلة القدر فان استطعت

أن تحييها بالدعاء والصلاة فافعل، فإن الله تعالى يرسل فيها الملائكة إلى

السماء الدنيا وتضاعف فيها الحسنات وتمحو السيئات وإن الله واسع
كريم» (١).

وقال الامام الباقر عليه السلام:

«إن الله تعالى يأمر ملكاً فينادي كل ليلة جمعة من فوق عرشه من أول الليل إلى
آخره:

ألا عبداً مؤمناً يدعوني لآخرته ودنياه قبل طلوع الفجر فأجيبه؟

ألا عبداً مؤمناً يتوب إلي من ذنوبه قبل طلوع الفجر فأتوب عليه؟

ألا عبداً مؤمناً قترت عليه رزقه فيسألني الزيادة في رزقه قبل طلوع الفجر
فأزيد وأوسع عليه؟

ألا عبداً مؤمناً سقيم فيسألني أن أشفيه قبل طلوع الفجر فأعافيه؟

ألا عبداً مؤمناً مغموم محبوس يسألني أن أطلقه من حبسه وأخرج عنه قبل
طلوع الفجر فأطلقه وأخلي سبيله؟

ألا عبداً مؤمناً يسألني أن آخذ له بظلامته قبل طلوع الفجر فانتصر له وأخذ
بظلامته؟ قال: فلا يزال ينادي حتى يطلع الفجر» (٢).

وليلة الجمعة لها آدابها من صلوات ودعاء ومناجاة وأوراد وأذكار كثيرة وفي
طليعتها دعاء كميل الذي يشغل منزلة خاصة.

كميل بن زياد النخعي

كان في طليعة العلماء سواء لدى الشيعة أو أهل السنة فلقد كان معروفاً

١ - مفاتيح الجنان المعرب: ٢٨.

٢ - بحار الأنوار: ٢٨٢/٨٦، باب ٢، حديث ٢٧.

بصلابته وإيمانه وثباته على الحق وروحه الكبيرة وإخلاصه وصفاء نيّته وحسن أخلاقه وسيرنه النبيلة.

عرف لدى الجميع بعدالته وجلال شأنه وعلو منزلته، كان من خواصّ أمير المؤمنين علي عليه السلام ومن أصحاب الامام الحسن عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته^(١).

وقد عدّه الامام أحد العشرة من أصحابه المقربين^(٢).

وكان في طليعة الشيعة المخلصين المحييين والموالين لأمر المؤمنين عليه السلام^(٣). وبلغ من ثقة أمير المؤمنين عليه السلام به أن أودعه أسراراً كبيرة وأوصاه بوصاياہ البليغة.

وبالرغم من نظرة الشك التي كان ينظر إليها أهل السنة عادة إلى أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام إلا أنهم يضعون ثقتهم كاملة في شخصية كميل^(٤).

ويعدّه العرفاء وأهل السلوك صاحب سرّ أمير المؤمنين عليه السلام وخازناً للمعارف الروحية التي أفاضها عليه مولاه مولى الموحدين وامام المتقين.

كان كميل بن زياد النخعي في الثامنة عشرة من عمره في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله حيث شمس النبوة مشرقة تفيض بنورها على الأرض الإسلامية.

كان كميل انساناً عظيماً نقيّاً طاهراً ورجلاً كريماً وكان يواجه الصعاب بروح ملؤها الصبر والاستقامة حتى نال شرف الشهادة على يد حاكم العراق الدموي الحجاج بن يوسف الثقفي، تلك الشهادة التي بشره بها سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام.

١ - مستدركات علم الرجال : ٣١٤/٦.

٢ - رسائل السيد المرتضى

٣ - حار الأنوار : ٣٣/٣٩٩، باب ٢٣، حديث ٦٢٠.

٤ - مستدركات علم الرجال : ٣١٤/٦.

وتدور رحى الايام حتى فوجئ أهل العراق بتنصيب الحجاج حاكماً عليهم من قبل الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وقد بدأ حكمه بمطاردة الشيعة والقاء القبض على رموزهم من من أصحاب الامام علي عليه السلام لا لذنوب سوى حبهم ووفائهم لأهل بيت النبوة ومعدن الرسالة.

اضطر كميل إلى الاختفاء عن الأنظار ولكن لحجاج عرف كيف يلقي القبض عليه من خلال المضايقات التي فرضها على قبليته وقطع ارزاقهم؛ فأبت نفس كميل أن يتجرّع قومه وعشيرته الآلام من وراء ذلك؛ فاضطر إلى تسليم نفسه وذهب إلى قصر الحجاج ليدور بينه وبين الطاغية هذا الحوار الخالد.

كان وجهه مضيقاً وكان وجه الحجاج مكفهراً ولم يعبأ كميل بمنظر الجلّادين. قال كميل بصلابة المؤمن: أخبرني سيدي أمير المؤمنين علي انك قاتلي واعلم ان بعد القتل الحساب.

قال الحجاج: تبرأ من علي لتنجو من الموت.

قال كميل: دلني على دين أفضل من دين علي.

وبهت الحجاج فأشار إلى الجلّادين. وفي لحظة هوى كميل شهيداً.

دعاء كميل

العارفون العاشقون والعاشقون العارفون من الذين امتلأت قلوبهم بنور الحقيقة وحدهم يعرفون شأن هذا الدعاء ومنزلته فكما ان الانسان هو اشرف المخلوقات فان دعاء كميل هو اشرف الأدعية ولذا قالوا عنه: «انسان الأدعية» وقد عدّ المجلسي رحمته الله وهو الخبير ومن علماء الحديث دعاء كميل أفضل الأدعية. قال عنه ذلك في كتاب «زاد المعاد»، وهو بروي عن كتاب «الاقبال» للسيد بن طاووس قصة الدعاء عن كميل بن زياد رضوان الله عليه.

« حل المساء وأوى الناس إلى النوم، وفي تلك الساعة نهض كميل صوب منزل أمير المؤمنين عليه السلام وطرق الباب، وسأله الامام عليه السلام :
ما جاء بك يا كميل ؟

قال : يا أمير المؤمنين دعاء لخضر .
واملى الامام على كميل الدعاء، ثم قال : إذا حفظت هذا الدعاء،
فادع به كل ليلة جمعة .

وظل كميل طوال حياته يفعل ذلك كلما غابت شمس يوم الخميس
ونالقت النجوم في السماء .

وينبغي لمن يريد قراءة هذا الدعاء الكريم أن يختار لذلك ليلة
لجمعة فيجلس قبالة الكعبة البيت الحرام كما يفعل ذلك عند كل
صلاة ولتكن جلسته متواضعة للغاية لأنه يجلس في رحاب الله
عز وجل وأن يخلص نيته وأن تغمره حالة من الخشوع تجتمع الدموع
في عينيه ثم يتلو الدعاء بصوت حزين، ومن المؤكد أن لمن يفعل
ذلك ثواباً عظيماً وأجرأً جزيلاً وسبكون دعاؤه مستجاباً» ^(١).

ان العيون الندبة بالدموع والآهات المتصاعدة من قلب محزون هي التي
تغسل القلوب وتمحو الذنوب وتطفئ غضب الرب وتقرب العبد إلى المحبوب ^(٢).

١ - المححة البيضاء : ٢/ ٢٨٥، داب الدعاء .

٢ - الكافي : ٢/ ٤٨١، باب لبكاء، حديث ١ .

نص الدعاء

ويبدأ نص الدعاء كما هو في كل الأدعية الكريمة بالبسملة حيث كل شيء باسمه عز وجل وانه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

وقد جاء في الروايات ما يبين دلائل ذلك :

١ - عن أمير المؤمنين عليه السلام عن سيدنا محمد ﷺ عن الله عز وجل :

كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُذَكَّرُ بِسْمِ اللَّهِ فِيهِ فَهُوَ أَبْتَرُ (١).

٢ - روى الطبرسي في كتابه القيم «مكارم الاخلاق» عن الامام موسى بن

جعفر عليه السلام :

مَا مِنْ أَحَدٍ دَهَمَهُ أَمْرٌ يَغْتُمُّهُ أَوْ كُرْبَتُهُ كُرْبَةً فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ كُرْبَتَهُ وَأَذْهَبَ غَمَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى (٢).

٣ - وفي حديث غاية في الأهمية :

١ - تفسير امام العسكري عليه السلام : ٢٥ ، الافتتاح بالتسمية ؛ وسائل الشريعة : ١٧٠ / ٧ ، باب ١٧ ، حديث ٩٠٣٢ .
٢ - مكارم الأخلاق : ٣٤٦ ، فى المهمات ؛ بحار الانوار : ١٥٩ / ٩٢ ، باب ١٥ .

«لَا يُرَدُّ دُعَاءُ أَوَّلِهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»^(١).

كما جاء في الأحاديث الشريفة ان المرء يوم القيامة إذا الهمها دفعت عنه الملائكة الغلاظ .

وان تعليمها للأطفال في الصغر تكون سبباً في غفران الذنوب لأبويه ومعلميه .

وأن أمة الاسلام سوف تبرز الامم الاخرى يوم القيامة في علو الشأن والمرتبة والثوب لأنها الأمة التي تبدأ أعمالها ونشاطها الانساني بقول: «بسم الله الرحمن الرحيم»؛ فهذه الجملة على قصرها تشتمل على ثلاثة أسماء لله عز وجل .

وجاء عن الامام علي بن موسى الرضا ان «بسم الله الرحمن الرحيم» تقترب من الاسم الأعظم اقتراب سواد العين من بياضها^(٢).

واذن من المؤكد ان دعاء كميل الذي يبدأ بالاسم الأعظم سيكون مضمون الاجابة وان الله سبحانه يستجيب لدعاء عبده إذا جاء مع قراءة هذا الدعاء الجليل .

ان «بسم الله» شراب طهور يسقي القلب الظامئ للحب الالهي ويرويه ويبعث في نفس الانسانية نشاطاً وشوقاً ويجعل القلب أكثر تفتحاً لتلقي الاشراق فيشعر بالهيام من أجل لقاء المحبوب .

اسم الله

يعتقد بعض علماء الصرف ان «اسم» ماخوذ من «السمو» وهي العظمة والارتفاع.

١ - مستدرک الوسائل : ٣٠٤/٥ ، باب ١٦ ، حديث ٥٩٢٩ .

٢ - راجع ما ورد في تفسير سورة الحمد .

وان الله سبحانه ألهم عباده اضافة حرف «ب» ليكون كل شيء باسم الحبيب .
ولا يجري هذا على لسان فقط بل انه يزيل على القلب لدى جريه على
اللسان كل الادران فيصبح برّاقاً متألقاً كما المرأة عندما تمسح عنها الغبار .
ولا يكون ذلك إلا بالصدق في الذكر والاخلاص وإلا يذكر اسم غيره ، وهذا
بدور لا يحصل إلا لدى النفوس الزكية والأرواح الطاهرة والنوايا المخلصة
وشعور المرء انه فقير وصفر وعدم أمام الله عزوجل الغني المطلق .
تبارك اسمه عزوجل وتقدس ؛ وما الانسان إلا تراب فهو في أدنى المراتب
وسيبقى في مرتبته الدني ، ما لم يرتبط بسبب .

يرفعه من مرتبته المتدنية إلى الأوج ؛ من أجل هذا جعل الله عزوجل بينه
وبين عبده وسيلة هي : «بسم الله» ليتسنى له الاتصال بالمفهوم والمعنى لهذا الكلام
العلوي ويكون الاتصال مع العالم السفلي ويكون بمقدور المخلوق الطيني
مشاهدة الجمال النوراني ويطل على عالم الغيب .

يقول عارف تلقى قلبه الاشراق : ان حرف «ب» شارة إلى البدء ، بدء
الحركة والسير والسلوك وان بين «الباء» و«السين» صحارى مترامية الاطراف
شاسعة لا نهائية .

من أجل هذا ذابت الألف في تلك الفلوات الوسعة ، وفي هذا اشارة إلى ان
لسالك لا يبلغ سرّ المعرفة ولا يصل إلى أنوار «المبهم» حتى ينزع عن نفسه
«أنايته» و«أنيته» وتحترق ذاته في لهب العشق ويسلم تسليمًا تاماً ويكون عبداً
خالصاً .

ويقول بعض العاشقين ان «الباء» إنما هي اشارة إلى البرّ والاحسان الالهي
الذي يغمر عوام الناس وهم أصحاب النفوس وأن «السين» عبارة عن «سرّه»
الذي أودعه لدى الخواص من أرباب القلوب وان «الميم» هي رمز محبته التي

وهبه لأخص الخواص من أصحاب الأسرار.

وجاء في بعض الكتب الشريفة من قبيل: «الكافي» و«توحيد» للصدوق و«معاني الأخبار» وفي «تفسير العياشي» عن الإمام الصادق عليه السلام أن كل حرف من هذه الحروف الثلاثة يشبر إلى اسم من أسمائه الحسنی فـ«الباء» تشير بهاء الله و«السين» إلى سناء الله و«الميم» إلى مجده تبارك وتعالى.

وفال عرفاء آخرون: أن الباء ترمز إلى البصير والسين إلى لسميع والميم إلى

المحصى.

وكان على الداعي أن يعي وهو يقرأ بسم الله هذه المعاني.

أن الله بصير يعلم ويرى باطن وظاهر أعمالنا وأنه عز وجل يسمع ما تخفي الصدور، وأنه تبارك وتعالى يحصي الأعمال ويعلم عدد الأنفاس فليجنب المرء الرياء وليرتدي حلل النعيم الدائم الذي لا يعرف الزوال، وليبتعد عن قول الزور وعن اللغو؛ ليكون أهلاً لا ارتداء معاطف الفيض والمغفرة والصفاء وفي ظلال من يحصي كل شيء لينتبه الإنسان فلا يغفل عن ذكره عز وجل لحظة واحدة ليكون أهلاً للقاء المحبوب.

ويقول العارفون السالكون ممن احترقوا بنار الحب ولهيب المحبوب أن لبسم الله معان ملكوتية وعرفانية وعرشية منها الصبر على بلاء الحبيب وأن يكون هم العبد وهاجسه السلوك في صراطه المستقيم حتى يبلغ ساحة «الميم» النورانية. أن لفظ الجلالة «الله» اسم جامع وكامل للذات المقدسة الأحادية حيث تنضوي فيه كل صفات الكمال والجمال والجلال.

فقالوا: أن فيه ثلاثة معاني:

١- أنه دائم أزلي وقائم أبدي وذات سرمد.

٢- وأن العقول والأوهام لا تدرك كنهه وأنه لا يعرف إلا بالعجز عن معرفته.

٣- وأنه المعاد والمرجع الذي ترجع إليه كل الخلائق والكائنات.

وقال بعض من تشرق على نفسه الألفاظ: إن لفظ الجلالة «الله» هو الاسم الأعظم وأن أساس التوحيد قائم عنده وإن الكافر إذا نطق بهذا الاسم إذا كان صادق النية وكان لسانه في قلبه فإنه سينتقل من انحطاط الكفر إلى أوج الإيمان. وأنه إذا تلفظ به مخلصاً واعياً فإنه سيخرج من دنيا الغفلة والأدران من عرصة الوحشة والوحدة إلى دائرة الوعي والصفاء والنقاء والأمن والطمأنينة والسلام.

وأنه لو قال «لا إله إلا الرحمن» أو شيئاً غير «لا إله إلا الله» ما خرج من عرصة الكفر وما دخل إلى دائرة الإسلام، فالفلاح والنجاح لعباد الله يكمن في ذكر هذا الاسم النوراني والكلمة الطيبة والمفردة العرشية.

وإن تمام مناقب الكمال لدى الذاكرين هي في شرف هذا الاسم وإن نجاح الأعمال وصحتها إنما تتم في البدء به وفي الاختتام، ولا نستحكم قواعد الرسالة إلا به حيث «محمد رسول الله» ولا تستمر الاستقامة والثبات على ولايته إلا به حيث «علي ولي الله».

فمن خواص هذا الاسم أنه إذا حذف الألف أصبح كل شيء له حيث: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾^(١).

وإن حذفت اللام بقي له كل شيء إذ ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾^(٢).

وإن حذفت اللام الأخرى بقي هو حيث ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٣).

واذن فالاسم الذي له كل هذه الخصائص إنما هو الاسم الأعظم.

١ - سورة الروم: ٤.

٢ - سورة التغابن: ١.

٣ - سورة الإخلاص: ١.

وان كلمة «الرحمن» أساسها «الرحمة» وهي على ما يقوله الضالعون في علم الصرف واللغة صيغة مبالغة ودلالة على الكثرة، وهي لدى العلماء تعني «مصدر الرحمة» العامة التي تغمر كل الكائنات.

وهي في لغة أهل الكشف واليقين افاضة الوجود والكمال على كل الذرات وبحسب ما تقتضيه الحكمة وما تستوعبه القابلية وانه لو لا هذه لافاضة ما كان للوجود من خبر ولا للكمال من اثر.

ونقول أهل البصيرة ان الرحمن هي ارادة الحق في ايصال الخير ودفع الشر عن كل الموجودات.

فكل انعم ما ظهر منها وما استتر؛ هي من حيث التجلي رحمانية الحق وقد بيئت سورة الرحمن جزء من هذا التجلي الرحماني.

وان مفردة «الرحيم» هي لدى أرباب علوم العربية صفة مشبهة لدالتها على الثبات والدوام؛ يعني ان رحمة الله أبدية لا تزول.

وقال بعض العلماء: ان الرحمة الرحيمية إنما تخص الناس المؤمنين وأهل اليقين لأنهم ارتضوا الهداية الالهية وعرفوا الحلال والحرام، فأخذوا بالأول واجتنبوا الآخر ولأنهم تحلّوا بالاخلاق الكريمة وشكروا الله عزوجل على انعامه واكرامه فشملتهم هذه الرحمة وخصهم الله عزوجل بها.

وقد جاء في تراث الاسلام ان الرحمة الرحمانية هي يوم الرحمة العامة لكن لبشر مؤمنهم وكفرهم محسنهم ومسيئهم.

وان الرحمة الرحيمية هي افاضة الكمال على الانسان المؤمن حيث تشمله الرحمة في الدنيا والآخرة.

وفي الرحمانية «الرحيمية» ينضوي معنى العافية أحدها عافية الدنيا والثانية عافية الآخرة.

والرحمة الرحيمية تشمل المطيعين بقبول الحسنات والعبادة وتشمل أيضاً العاصين من أهل الايمان بالرحمة وغفران السيئات .

فالمؤمنون المحسنون ينتظرون نزول الرحمة جزاء لعبوديتهم لله عزوجل والمسيئون خجلون نادمون بائسون يرجون عفو الله تبارك وتعالى .

وفي رأي ابن المبارك ان «الرحمن» أن تطلب منه عزوجل أن يأخذ بيدك و«الرحيم» يعني إذا لم تطلب منه غضب عليك ويقول عارف : ان الله تعالى «رحمن» يرزق الخلائق أجمعين وانه عزوجل «رحيم» يغفر سيئات المؤمنين ، فتوكل على «رحمانيته» سبحانه في الرزق لا على عملك وكسبك ونشاطك وتجارتك شرط إلا تدع العمل والتجارة والكسب الحلال لأن ذلك خلاف العقل . وتوكل على رحيمته عزوجل في غفران السيئات لا على عملك وفعلك ؛ شرط إلا تدع العمل الصالح لأن في ذلك معصية لله وطاعة للشيطان .

يقول أهل الأسرار : إن للعبد ثلاث حالات :

الأولى : حالة المعدوم الذي يحتاج إلى الوجود .

الثانية : حالة الوجود الذي يحتاج إلى أسباب البقاء .

الثالثة : حالة الحضور يوم القيامة والحاجة إلى الرحمة والمغفرة .

وهذه الحالات الثلاث منضوية تحته مندرجة فيه .

لأن لفظ الجلالة «الله» مستجمع لكل صفات الكمال .

فتدبر كيف جئت أيها الانسان من ديار العدم إلى رحاب الوجود .

وتأمل في «رحمانيته» كيف أصبحت مصدراً لأسباب البقاء والحياة .

وترقب رحيمته غداً يوم القيامة لأنها ستكون الملاذ والمأوى والخلاص

وغفران الذنوب ومحو السيئات وستر العيوب .

يقول أهل البصائر وعشاق الحقيقة : ان الانسان عبارة عن قلب ونفس وروح .

فالنفس هواها الرزق ، والقلب مناه المعرفة والايمان ، والروح تنشد الرحمة والرضوان .

ولكل نصيبه اسم من الأسماء فالقلب يجد في اسم « الله » طعم المعرفة والايمان ، والنفس تجد في اسم « الرحمن » الرزق والاحسان والروح في الرحيم ؛ الرحمة والرضوان .

والذي يندمج قلبه وروحه مع هذه المفاهيم الثلاثة ويندك في هذه الاسماء الثلاثة المباركة سوف يتحرر عن عبادة كل معبود غير الله ويكون نبعا للرحمة لكل عباد الله ويكون سببا لنزول الرحمة على الجميع .

ان ذكر هذا الكلام النوراني والافادة من هذا الكنز الرباني في وقت وعلى كل حال وفي كل عمل أمر مطلوب ، ومن يفعل ذلك باخلاص ويتشرب معانيه بعمق ويكون هدفه تزكية الباطن من كل ادران المادة ومن كل ما يشده إلى الدنيا الزائلة ؛ فانه سيجد من الفوائد والعوائد ما لا يتصوره ينتزل عليه الخير في الدنيا والرضوان في الآخرة .

وقد جاء في الأحاديث النبوية الشريفة : ان المرء إذا ذكر « بسم الله الرحمن الرحيم » و « لا حول ولا وقوة إلا بالله العلي العظيم » عشر مرات غفر الله له كل ذنوبه وحفظه الله من بلاء الدنيا كالبرص والجذام والشلل .

كما جاء في هذه الأحاديث الشريفة ان المؤمن إذا قال « بسم الله » كتب الله تعالى على كل حرف أربعة آلاف حسنة ومحى عنه أربعة آلاف سيئة .
وجاء في الروايات ان من قال عند تناوله الطعام « بسم الله » لم يشاركه الشيطان طعامه ومن غفل عن ذلك شاركه الشيطان وكان له رفيقا^(١) .

١ - لمزيد من التفاصيل حول أهمية البسملة يمكن مراجعة الكتب الجليلة كالكافي ، معاني الأخبار ، التوحيد للصدوق ، وسائل الشيعة ، بحر الحقائق ، مفاتيح الغيب وتفسير سورة الحمد .

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ»

بهذه الكلمات الموحية المعبرة بإيقاعها، يبدأ هذا الدعاء الكريم، كلمات تتضمن ينابيع من لمعرفة السماوية الزاخرة بالرموز والاشارات والأسرار الملكوتية .

أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي غَمَرَتْ كُلَّ الْأَشْيَاءِ فِي هَذَا الْوُجُودِ الْمَتْرَامِيِّ الْبَعِيدِ .

«اللهم» هذه المفردة التي تستند إلى الأصل والتي تعني «يا الله» وقد حذفت «الياء» ليشغل مكانها «ميم» مشددة لتؤدي دور التعظيم والجلال والتقديس ولتعبّر عن عظمة ورفعة وعلو المخاطب «الله» جل شأنه وتعالى مكانه وحيث وجوده يمتد من الأزل إلى الأبد وحيث لا شيء قبله ولا شيء بعده .

ومن هنا فمن غير اللائق أن يتقدم على «الله» سبحانه شيء حتى لو كان مجرد حرف فهو الأول و لآخر، لكي يحدث الانسجام بين الحقيقة والقوالب اللفظية التي تعبّر عنها وتحاول تجسيدها .

إنّ على الداعي الذي يريد مخاطبة ذلك الوجود المقدّس أن يدرك انه وهو يقول «اللهم» ان الله عزوجل لو لم يأذن له في ذلك لافتقد العاشق الهائم قدرته على التفوّه بأية كلمة مع المعشوق ولما كان له من الحول أن يلج رحابه ولانعقد

لسانه وامحت أحواله .

فلسان داعي الحق متصل بقدرة الحق « اللهم » وبه ينطق وبطيفه وكرمه
ينفتح .

وعلى الداعي أن يعي هذه حقيقة ؛ وهي لولا ارادة المحبوب لما كان له من
القدرة على أداء الدعاء ولولا تجنيء تبارك وتعالى في وجود عبده لما استطاع
العبد أن يدعوه ويطلب منه جل شأنه حاجته أو يخطو في رحابه .

أجل إن الدعاء الهامة عز وجل وحياة الداعي رشحة منه سبحانه .
وان وجود عبده الداعي في قبضته ورهن ارادته وطوع قدرته وفي حريم
مملكته .

« إني أسألك » :

إني بمعنى « أنا » ولكن هذه الأنا تتجرد من كل الانانية والحالة الفرعونية .
وما هذه الأنية في هذه الاطلالة المسكوتية وفي غيرها من مفردات الدعاء إلا
إشارات إلى إنية الطبيعة والعقل والأنا المتجرّدة من الأنانية والغرور وهي « أنا » لا
تتمتع بالاستقلال أبداً وإنما مرتبط ارتباطاً تبعياً ومستسلمة استسلاماً تاماً أنا
معنوية تجسّد الفقر الذاتي ، والعوز والحاجة الدائمة .

وليس للداعي في هذا المقام من أنيته وذاته سوى الفقر والانكسار والذلة
والبؤس والتضرع والمسكنة والخشوع والخضوع والضعف المطلق .

أما المحبوب فهو الرحمة المطلقة والكرم والجود واللفظ والحب والاحسان
والفضل والعفو والمغفرة .

من أجل هذا تمتد له لأيدي تسأله وتستعطفه وتتضرع إليه لأنها تمتد إلى
الاله الواحد الأحد الصمد وهذه هي العلاقة الحقيقية بين الانسان وربّه .

« برحمتك التي وسعت كل شيء » :

ان رحمة المحبوب تغمر كل شيء ظاهر الأشياء وأعماقها وهذه الرحمة الواسعة هي فيض المحبوب العامل والشامل الذي يغمر الأشياء كل الأشياء بالبركة والتماء.

لقد كانت الأشياء في ظلمات العدم لتخرج برحمته سبحانه إلى نور الوجود الساطع، وكل قد علم مكانه حيث توافر فيه أسباب النمو والسمو، النمو في طبيعته والسمو في كينونته وروحه وجوهره وكيف لا يكون ذلك ووهاب الوجود كريم ليس مثل جوده جود.

جاء في كتاب «أنيس الليل»: إن صفة الفيض الالهي العام كالشمس إذ تشرق فتغمر كل الأشياء بأشعتها، لا تجد في اشراقها ذرة بخل وقصور وكل شيء يتلقى نورها بقدر قابليته على التلقي واستقبال الانوار.

وهكذا كل الكائنات في عوالم الغيب والشهادة، من المجرات والسدم الكبيرة، الذرات الصغيرة المنتهية في الصغر مغمورة بالرحمة الالهية والفيض الرباني كل حسب طاقته واستعداده.

فهي تنمو في ظلال هذه الأنوار الالهية أجل تنمو وتتقدم وتسير في طريق التكامل والكمال.

وهذا الوجود المترامي الشاسع من أقصاه إلى أقصاه، من عوالم الغيب والشهادة، ممّا ظهر منه وما استتر، من غاية الأوج إلى نقطة الحضيض إنما هو في دائرة الرحمة الالهية والفيض الرباني اللانهائي.

انه خالق الوجود ووهاب الحياة وربّ العالمين.

ان الوجود هو في معرض الفيض باستمرار لا ينقطع عنه لحظة واحدة لو افترضنا انقطاعه لاستحال إلى عدم؛ انه موجد الكائنات، ورزاق الخلائق والموجودات، ونموّ النباتات، وكمال الجمادات، ومنزل الآبات، ومظهر وباعث

ومع كل هذا التناهي المدهش في الصغر فإن الذرة هي الأخرى تنقسم إلى ثلاثة أجزاء هي: الإلكترون، البروتون والنيوترون.

فلألكترون هو الشحنة السالبة والبروتون هو الشحنة الموجبة والنيوترون متعادل.

والنيوترون يشكل مع البروتون نواة لذرة فيما تدور حول النواة الالكترونات في مدارات، كما تدور الكواكب السيارة حول الشمس مركز المنظومة.

والذرات التي هي أجزاء العالم ودقائق الوجود ومادة الكون كيف ظهرت، كيف خرجت من ديار العدم؟ لا يعلم ذلك إلا الخالق تبارك وتعالى :

﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾^(١).

إنّ مادة هذا العالم كما أثبتها القرآن الكريم وكما وصل إليه العلم البشري عبارة عن ذرات دخان وغاز هائلة في فضاء واسع إذ يمكن تصورها كالغبار ومع كل هذا فمن النادر أن تصطدم الذرات الهائلة فيما بينها.

﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾^(٢).

وهذه السماء الدنيا حيث تناثرت فيها ملايين وملايين من النجوم كمصابيح مضيئة اضافة إلى المجرات والسدم الهائلة والغازات الكونية حيث تولد نجوم جديدة وتظهر شمس وشمس تضيء في فضاء غارق في ظلمات متكاثفة. ومن بين مجرات ومجرات تبدو مجرة تشبه طريقاً تناثر عليه التبن عندما يعود الفلاحون حاملين معهم التبن أو حليباً تناثر في طريق الرعاة بعد أن ملأوا أوعيتهم من اللبن منطلقين إلى سوق القرية لبيعه.

هذه المجرة هي مجرة درب التبانة حيث توجد فيها منظومنا الشمسية

١ - سورة الكهف : ٥١ .

٢ - سورة فصلت : ١١ .

النبوءات، ومنزل الرسالات، وهادي الضالين، ودليل المتحيرين، وخالق الملائكة أجمعين، محبي الموتى، وهو الذي يثيب المحسنين، ويجازي المسيئين، يكرم المؤمنين، ويمحق الكافرين، ديان يوم الدين، يوم يقوم الناس لرب العالمين. خالق الجنة والجحيم، ومن يغفر للعاصين من أهل الايمان وهو سبحانه نبع الخير في الوجود، وما هذا الوجود إلا شعاع من فيض رحمته الواسعة، وقد وسعت رحمته كل شيء، وكل شيء هنا لا يمكن أن يتصوره خيالنا أو تجتازه أوهامنا فلو كان الشجر كله أقلام والبحار مداداً وكان البشر كله كُتُاباً لنفد البحر ولعجز البشر وما انتهت كلمات الله وآثاره وموجود ته. فهل يمكن أن نتصور رحمة الله التي غمرت كل شيء وكل شيء هو جزء من هذه الرحمة الواسعة الشاسعة؟! لا أبداً إنَّ عقولنا لا تدرك ذلك وخيالنا الوثاب لا يمكن أن يتصور أبداً.

عالم الوجود

ولكن هلموا للتأمل جزءً متناهياً جداً في الصغر من صرح الوجود العظيم. هذا الانسن الذي يعيش على جزء بسيط على كوكب صغير في هذا العالم الفسيح المغمور بالنعيم والمواهب الالهية. أجل إن هذا الوجود الكبير بكل دقائقه الصغيرة إلى مجرّاته الكبيرة كل هذا يتألف من ذرات متناهية في الصغر لا يمكن رؤيتها أبداً بل يستحيل رؤيتها حتى ادق وأعـقـد المـكـرـسـكـوبـات إن رأس الابرة يتكون من «.....,.....,.....,.....,.....,.....» أي ٥٥ مليون مليون ذرة!!! ومع كل هذا التناهي المدهش في الصغر فان الذرة هي الاخرى تنقسم إلى ثلاثة أجزاء هي: الالكترن، البروتون والنيوترون.

فلألكترون هو الشحنة السالبة والبروتون هو الشحنة الموجبة والنيوترون متعادل.

والنيوترون يشكل مع البروتون نواة الذرة فيما تدور حول النواة الالكترونات في مدارات، كما تدور الكواكب السيارة حول الشمس مركز المنظومة.

والذرات التي هي أجزاء العالم ودقائق الوجود ومادة الكون كلف ظهرت، كيف خرجت من ديار العدم؟ لا يعلم ذلك إلا لخالق تبارك وتعالى:

﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾^(١).

إنّ مادة هذا العالم كما أثبتها القرآن الكريم وكما وصل إليه العلم البشري عبارة عن ذرات دخان وغاز هائلة في فضاء واسع إذ يمكن تصورها كالغبار ومع كل هذا فمن النادر أن تصطدم الذرات الهائلة فيما بينها.

﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾^(٢).

وهذه السماء الدنيا حيث تناثرت فيها ملايين وملايين من النجوم كمصابيح مضيئة اضافة إلى المجرات والسدم الهائلة والغازات الكونية حيث تولد نجوم جديدة وتظهر شمس وشموس تضيء في فضاء غارق في ظلمات متكاثفة. ومن بين مجرات ومجرات تبدو مجرة تشبه طريقاً تناثر عليه التبن عندما يعود الفلاحون حاملين معهم التبن أو حليياً تناثر في طريق الرعاة بعد أن ملأوا أوعيتهم من اللبن منطلقين إلى سوق القرية لبيعه.

هذه المجرة هي مجرة درب التبانة حيث توجد فيها منظومتنا الشمسية

١ - سورة الكهف: ٥١.

٢ - سورة فصلت: ١١.

وحيث تسطع الشمس في المركز وقد تناثرت حولها الكواكب تسبح في مداراتها:
﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴾^(١).

فترى الكواكب السبابة دائمة في سيرها تدور وتدور حول الشمس أقربها إلى الشمس عطارد ثم يليه كوكب الزهرة ثم كوكبنا الأرض وبعدها المريخ ثم يليه الكوكب العظيم المشتري ثم زحل بحلقاته الملونة ثم أورانوس ونبتون ثم في أقصى المنظومة يدور الكوكب الأزرق بلوتو^(٢).

وهذا العالم الكبير هو كالذرة الصغيرة وان الانسان لم يتمكن من رؤية حدوده أبداً.

وهذا النور الذي يطوي مسافات هائلة في الثانية الواحدة حيث سرعة الضوء ٣٠٠,٠٠٠ كم في الثانية انه يستغرق أربعة أعوام كاملة لكي يصل إلينا من أقرب نجمة إلى الأرض.

ان التلسكوب المتربع فوق جبل « پالومار » في كاليفورنيا بامريكا حيث يبلغ قطر مرآته خمسة أمتار يرصد نجومًا في الفضاء السحيق يصلنا نورها منذ ألف مليون عام.

ولو أراد الانسان أن يحصي نجوم السماء بمعدل نجمة في كل ثانية لتطلب منه زمناً يمتد إلى مئة عام لا يفتر لحظة واحدة عن العدّ والاحصاء ثم تكون النتيجة انه لم ينته من عمله بعد لأنه بقي عليه الكثير الكثير من النجوم التي لم يعدّها.

ان مجرتنا تشتمل على حوالي ألف مليون نجم تمتد على مسافة تبلغ مئة ألف سنة ضوئية فيما بلغ عرضها عشرين ألف سنة ضوئية.

١ - سورة نوح: ١٦.

٢ - ماضي ومستقبل العالم: ٢٠ - ٢٧.

واستطاع الانسان في الوقت الحاضر حيث علم الفلك ما يزال يحبوا أن يخمن وجود ١٥٠,٠٠٠,٠٠٠ مجرة!!

وحيث يبلغ متوسط المسافة بين مجرة وأخرى ٢,٠٠٠,٠٠٠ سنة ضوئية^(١). وما يزال هناك المزيد من الكشوفات البشرية في هذا العالم الشاسع. يقول سيدنا أمير المؤمنين علي عليه السلام يصف نشوء العالم:

«أنشأ الخلق إنشاءً، وابتدأه ابتداءً، بلا روية أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، ولأم بين مختلفاتها وعرّز غرائزها، وألزمها أشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها محيطاً بحدودها وانتهائها، عارف بقرائنها وأحنائها.

ثم أنشأ - سبحانه - فتنق الأجواء، وشقّ الأرجاء، وسكّك الهواء، فأجرى فيها ماءً متلاطماً تياره، متراكماً زخاره. حمله على متن الريح العاصفة، والزعرع انقاصفة، فأمرها برده، وسلّطها على شدّه، وقرنها إلى حدّه. الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق.

ثم أنشأ - سبحانه - ريحاً اعتقم مهبّها، وأدام مربّها، وأعصف مجراها، وأبعد منشأها، فأمرها بتصفيق الماء الزخار، وإثارة موج البحار، فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء. تردّ أوله إلى آخره، وساجيه إلى مانره، حتى عبّ عبابه، ورمى بالزبد ركامه. قرفعه في هواء منفتق، وجو منفهق، فسوى منه سبع سموات، جعل سفلاً من موجاً مكفوفاً، وعليها من سقفاً محفوظاً، وسمكاً مرفوعاً، بغير عمد يدعمها، ولا دسار ينظمها. ثم زينها بزينة الكواكب، وضياء الثواقب، وأجرى فيها سراجاً مستطيراً، وقمرأ منيراً، في فلك دائر،

وسقف سائر، ورقيم مائر.

واصغ الآن إلى ما يقوله مؤسس البلاغة في دنيا العرب في خلق الانسان:
ثم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها، وعذبتها سبخها، تربة سنها بالماء
حتى خلصت، ولاطها بالبلّة حتى لزبت، فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول،
وأعضاء وقصول، أجدها حتى استمسكت، وأصلدها حتى صلصلت، لوقت
معدود، وأمد معلوم، ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنساناً ذا أذهان يجيلها وفكر
يتصرف بها، وجوارح يخدمها، وأدوات يقنّبها، ومعرفة يفرق بها بين الحق
والباطل، والأذواق والمشام، والألوان والأجناس، معجوناً بطينة الألوان
المختلفة، والاشباه المؤتلفة، والأضداد المتعادية، والأخلاق المتباينة، من
احرّ والبرد، والبلّة والجمود، واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم،
وعهد وصيته إليهم، في الازعان بالسجود له، والخنوع لتكريمته، فقال سبحانه:
﴿ أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾^(١).

الانسان أشرف ضيوف العالم

وهدأت الأرض. وهدأت الأمواج المتلاطمة في البحار الزخارة، وهدأت
العواصف الثائرة وانطفأت لبراكين، ونمت الغابات وامتلأت بالحيوانات والطيور
وتدفقت الأنهار بالمياه العذبة وأصبحت الأرض خضراء مزدهرة وحينئذ أصبح
كل شيء موائماً لاستقبال مخلوق شريف هو الانسان خليفة في الأرض الزاخرة
بالنعم والخيرات.

أجل ظهر الانسان على سطح هذا الكوكب بكل عناصره المنسجمة مع

الرسالات الالهية من أجل تمهيد الطريق طريق الانسان إلى الله وليمتحن الانسان في تجربته في هذا العالم ليلج من بوابه الموت فيما بعد إلى عالم آخر عالم خالد لا يزول وهناك يتم تقييم تجربة الانسان في الأرض، فيكون الجزاء ومصير الانسان.

وعندما تكون تجربته ايجابية فسيكون العالم الأخضر الجنة هو عالمه الدائم المفعم بالسعادة والخير في ظلال رحمة الله الأبدية.
والآن لنحاول مشاهدة آثار رحمة الله الوسعة التي نغمر الانسان من كل جانب ومكان.

مراحل تبلور حياة الانسان

سجّل القرآن الكريم مراحل تبلور حياة الانسان ببلاغة اعجازية مشيراً إلى هذه المراحل في قوله تعالى :

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾^(١).

المرحلة الاولى : التراب

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾^(٢).

ان نطفة البشر إنما هي حصيلة أنواع الغذاء من نبات ولحوم وألبان؛ والحيوانات هي الاخرى إنما تعود في تكونها إلى النباتات على أساس ان ما تتغذى به هو النبات والنباتات مصدرها التراب.

١ - سورة نوح : ١٤

٢ - سورة المؤمنون : ١٢.

من هنا فان نطفة الانسان التي تتخلق وتصبح انساناً سوياً إنما هي وليدة التراب وها هي كشوفات العلم الحديث تحلل تكوين الانسان وتبين العناصر التي يتألف منها وهي عناصر موجودة في الأرض من قبيل الحديد، النحاس، الكالسيوم، اليود إلى آخره من عناصر التراب.

فالانسان في تكوينه المادي إنما هو عصاره هذه العناصر الترابية التي تنتقل باستمرار عبر الحيوان والنبات.

المرحلة الثانية: الماء

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾^(١).

بشبه علماء الاحياء الانسان بانه اسفنجة منقوعة بالماء.

ان جسم الشخص الذي يزن ٧٠ كغم فيه من الماء ما يساوي ٥٠ لتراً وهذه نسبة ثابتة.

ولو فقد انسان ٢٠٪ من الماء الذي في جسمه فانه لن يستعيد عافيته أبداً. والماء الموجود في بدن الانسان يحوي مقادير كبيرة من البوتاسيوم ولا يحوي ملحاً ولكن الماء الخارج من خلايا لا يحوي على البوتاسيوم بل على مقادير كبيرة من الملح وهذا الماء الذي يخرج من الخلايا يشبه في تكوينه ماء البحر حيث شهد قبل ملايين السنين أول اشكال الحياة ثم اعقب ذلك انتقال هذه الكائنات الحية الموجودة في الماء إلى اليابسة واصطحبت معها أيضاً هذه الحالة البحرية، ولولا ذلك لأصبحت الحياة في اليابسة بالنسبة له أمراً مستحيلاً.

أجل هذه معجزة القرآن الكريم الذي اعلن من صحراء الجزيرة العربية هذه

الحقيقة المذهلة في مجتمع أُمِّي لا يعرف من أسباب العلم شيئاً.

المرحلة الثالثة : العلق

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾^(١).

العلق في اللغة نوع من الديدان الذي يلتصق بجدار الرحم وقد يعني أيضاً حيواناً يسبح ويتغذى على الدم وعندما يوضع الاسبرماتوزيد تحت المجهر فانه يشاهد اعداداً هائلة من الكائنات الحية تسبح وعندما نلج هذه الكائنات الرحم فانها تلتصق بالجدار.

ان السائتمر المكعب من ماء الذكر يحوي على من مئة إلى مئتي مليون من الحيامن .

المرحلة الرابعة : الماء المهيّن

﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾^(٢).

المرحلة الخامسة : الامشاج

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾^(٣).

١ - سورة العلق : ٢ .

٢ - سورة السجدة : ٨ .

٣ - سورة الانسان : ٢ .

المرحلة السادسة : الجنين

﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾^(١).

المرحلة السابعة : الظلمات الثلاث

﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾^(٢).

المرحلة الثامنة : ولوج الروح

﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾^(٣).

المرحلة التاسعة : الميلاد

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾^(٤).

عرس الحياة

إذ كانت أعراسنا الاجتماعية لا تخلو من شيء من الفوضى أو التناقضات، وإذا كانت احتفالاتنا لا تخلو من نقص في الترتيب، أو خطأ في اختيار الوقت المناسب لها، فليس شيء من ذلك في عرس الحياة، العرس الذي يحفظ النسل،

١ - سورة الحشر: ٢٤.

٢ - سورة الزمر: ٦.

٣ - سورة المؤمنون: ١٤.

٤ - سورة الحل: ٧٨.

ويدفع بالحياة إلى الأمام باستمرار، فلنقف على بعض أحداث هذا العرس المهيّب:
من مراسيم العرس:

مع مطلع الشهر، وبأمر من ملكة الغدد الصماء (الفص الأمامي للغدة النخامية) وتحت إشراف مركز والمراقبة العليا في قشرة الدماغ Cortex، تبدأ إحدى فتيات المبيض (أحدى الجريبات الابتدائية) بالاستعداد لأن تكون عروس الشهر، فتكبر بالحجم بشكل ملحوظ، وتتكاثر من حولها الخلايا الجريبية المحبطة بها، وتفرز هذه الخلايا هرمون الجريبين Ostrogen، فيتجمع قسم من هذا الهرمون في السائل الجريبي داخل الجريب نفسه، ويمتص الدم القسم الآخر منه، ونحت تأثير هذا الهرمون تحصل تغيرات عديدة في مخاطية الجهاز التناسلي، وخاصة في المهبل والرحم والبوقين، فتتولد غدد هذا الغشاء، وتزداد عناصره الخلوية، وتنمو أوعيته الدموية وتحتقن، وبذلك تزداد سماكته حوالي ٤-٥ أضعاف حتى إذا حصلت الإباضة في اليوم الرابع عشر من الشهر، كان هذا الجهاز على أتم استعداد لاستقبال وفد العريس الضيف.

ومما يلفت الانتباه هو ذلك السائل الشفاف اللزج، والقلوي التفاعل الذي نلاحظه على عنق الرحم في وقت الإباضة تماماً، ويستمر ليومين فقط، هذه المادة تجذب النطاف، ونزودهم بمقدرة على اجتياز جوف الرحم والبوق بشكل جيد في سباقها المثير نحو العروس «البويضة».

أما البويضة، فعند ما تطل من حجرها «المبيض» بواسطة عملية الإباضة، Ovulation تكون محاطة بتاج شعاعي من الخلايا الجريبية، كأحلى ما تكون العروس في يوم زفافها فهي ناضجة تماماً، ونكون قد كبرت بالحجم حوالي ٥-٦ مرات، وتعرضت لانقسامين: أولهما خيطي، والثاني مُنَصَّف يتم فيه اختزال العدد الصبغي إلى النصف، فيصبح (٢٢ + X) بعد أن كان (٤٤ + ٢X) في الجريب الابتدائي.

وهكذا أصبح البويضة جاهزة لتضم النطفة إليها، ولتشيد معها ذلك البناء العظيم، الا وهو الانسان، قال تعالى في سورة الدهر:

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ^(١) .

ولكي تكتمل المراسيم، وتتم عملية الالتحاق في أحسن جو، فان تلك القرية من السائل الجريبي التي تجمعت خلال تطور الجريب، تنسكب مع البويضة في جوف البطن أثناء عملية الاباضة، وبسبب غناء هذا السائل بهرمون الجريبين Ostrogen، فان امتصاصه للدم بسرعة يؤدي لتغير مزاج المرأة بشكل يتلائم مع غريزة الالتحاق، حيث يزيد من توترها الجنسي، ومبلها النفسي للجماع، وفي ذلك حكمة مدبرة، حيث ان هذه الفترة هي أكثر أيام الشهر إخصاباً.

موكب العريس:

قال تعالى في سورة الطلاق:

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ^(٢) .

موكب العريس سباق جبار بين نصف مليار نطفة ^(٣)، يبدأ هذا السابق من مهبل الأنثى، وينتهي ليس بالوصول إلى العروس فقط، وإنما ينتهي يقفزة النصر ألا وهي اجتياز جدار البيضة الشفاف، فما يصل إلى البيضة عشرات النطاف، لكنها لا

١ - سورة الدهر ٢ - ٣.

٢ - سورة الطارق: ٥ - ٦.

٣ - كل دفقة منى تحوي (٣ - ٥ سم^٣) وكل (١ سم^٣) من هذا الماء الدافق يحوي (٦٠ - ٨٠) مليون نطفة، وكل نطفة بطول (٦٥) ميكرون، وتتألف من رأس كمثري الشكل، وعقب وذيل طويل يبلغ صوه (٤٥) ميكرون، يساعد النطفة في الحركة أثناء عبورها الرحم والبوق، وتقدر سرعتها وسطياً بـ (٢ - ٣) مم/دقيقة.

تستطيع الدخول إليها كلها، «وتجذب البيضة من هذه النطاف الكثيرة واحدة فقط، وذلك بالانجذاب الايجابي الذي تنحلى به Positive chimotomie، فيظهر على سطحها بمحاذاة هذه النطفة نتوء هيلي، يدعى مخروط الجذب Attraction cone، وهي البقعة التي سيجتاز منها الحيوان المنوي الغشاء الشفاف»^(١).

وبعدها تحدث حادثات خلوية دقيقة وغريبة، تنتهي بالتحام نواتي النطفة والبيضة، فيكتمل العدد الصبغي، ويطلق عندئذ على البيضة الملقحة إسم البيضة Zygote، وتكتسب البيضة بالالقاح قوة حيوية جديدة على الحياة ولانقسام والنمو لتكون الجنين وبذلك يشترك الوالد والوالدة في ايراث صفاتهما لوليدهما. وهكذا نجد أن من بين مئات الملايين من النطف التي بدأت السباق، لا يصل سوى العشرات إلى البيضة، وتموت النطاف الباقية صرعى على الطريق، ومن تلك العشرات التي وصلت، تدخل البيضة نطفة واحدة فقط لتشاركها في عملية الالتحام المصيري، ويمكن استشفاف ذلك من قوله تعالى وهو يذكر الانسان حيث كان من نطفة من نصف مليار، كلها متجه إلى البيضة فقال في سورة القامة:

﴿ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُنْفَى ۙ ﴾^(٢).

وقوله تعالى في سورة السجدة:

﴿ ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۙ ﴾^(٣).

فحرف «من» في هاتين الآيتين تبعية كما يسميها النحاة وتعني هنا أنه شيء قليل من شيء كثير. وكذلك لفظة «سلالة» والطريف في هذا السباق إن

١ - عن كتاب فن التوليد، د. محمود برمدا ود. شوكت لفتوتي.

٢ - سورة القامة: ٣٧.

٣ - سورة السجدة: ٨.

النطاف بعد أن تجتاز جوف الرحم لا تدخل إلا إلى البوق الذي يحوي البيضة، ولا تدخل في البوق الآخر، فتبارك الله الذي قدر فهدى، والذي علم النطاف أين تسير.

وفوق ذلك كله تشترط لبيضة على الفائز الأول أن يلاقى في الثلث الأخير - البعيد - من البوق، وهو شرط أساسي لا ينم الالتحاق إلا بتحقيقه^(١).
والحكمة في ذلك بالغة جداً، فلكي يتم العلق أو التعشيش Implantation يلزم أن يتحقق شرطان وهما:

١ - تطور البيضة الملقحة لمرحلة تصبح معها قادرة على العلق في جدار الرحم بواسطة الخلايا المغذية.

٢ - أن يكون غشاء الرحم المخاطي قد تهيأ لاستقبال البيضة الملقحة تلك، وذلك بتكاثر غده، وزيادة مفرزاته، وبادخار مولد السكر «الغليكوجين» والكليسيوم والبروتين في خلاياه.

وهذا يتحقق بتأثير هرمون البروجسترون الذي يفرزه الجسم الأصفر، الذي هو تحور الخلايا الجريبية الني بقيت في المبيض بعد الإباضة.

وهذان الشرطان يتحققان خلال الفترة التي تقضيها البيضة الملقحة في مسيرها من الثلث البعيد للبوق إلى جوف الرحم، وتقدر هذه المدة بـ «٧ - ١٠» أيام وهكذا نجد وباستمرار أن كل شيء يسير نحو هدف واحد، بتعاون وتقدير محكم، وصدق الله اذ يقول في سورة الرعد:

١ - تختلف العلماء في تعليل هذا السر. فمنهم من عزا الأمر إلى تشكل غشاء كتيماً لا يسمح للنطاف بأختياره بعد أن تقطع البيضة الثلث البعيد لبوق. وبعضهم الآخر يعتقد أن المدة القصيرة لحياة لبيضة والتي هي حول (٢٠) عشرين ساعة. تقضيها البيضة باختيار هذا الثلث، ثم يطرأ عليها تبدلات فلا تعود سالحة للالتحاق.

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾^(١)

وفي سورة القمر:

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾^(٢)

ظاهرة غريبة في آليات المناعة الحيوية

ونحن نقف أمام هذا المشهد الرائع من علاقة التعاون والحب بين النطفة والبيضة في عرس الحياة، حيث تعطي عملية الإلقاح العروسين قوة حيوية جديدة للحياة والتكاثر، وإذا لم تتم عملية الإلقاح فالموت مصيرهما، ونحن نرى هذا الاستعداد العام والخاص عند الفتاة، فتبدي استعداداً نفسياً وعصبياً كما بينا سابقاً، ويظهر الجهاز التناسلي عندها حفاوة بالغة للضيف العزيز، فيقدم له الفرش والغذاء رغم أنه في حقيقته جسم غريب تماماً.

وإذا ما تذكرنا خاصة المناعة التي يتميز بها الجسم الحي أمام العناصر الغريبة التي تحاول دخوله، حيث تتحرك كل آليات المناعة وكل وسائل المقاومة التي يمتلكها للقضاء عليه. نشعر فعلاً أننا أمام ظاهرة غريبة في آليات المناعة الحيوية، رغم أنها تكرر في كل ثانية مئات المرات، وهكذا:

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾^(٣)

١ - سورة الرعد: ٨

٢ - سورة القمر: ٤٩.

٣ - سورة إبراهيم: ٣٤.

أطوار التخلق الانساني

قال تعالى في سورة نوح:

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً • وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾^(١).

يبين تبارك وتعالى أن تخلق الانسان إنما يتم على اطوار متتالية، ثم يشير في سورة المؤمنون إلى أهم هذه الأطوار حيث يقول:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ • ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ • ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾^(٢).

إن الناظر اليوم في هذه الآيات البينات وهو يضع في جعبته حقائق القرن العشرين عن علم الاجنة Embryology يشعر بأن الله تبارك وتعالى إنما خصه هو بهذه الآيات، وإن كانت قد نزلت منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، لأنها تخاطبه باللغة التي يتباهى بها اليوم!!

فهذه الآيات تحوي على ايجازها أهم أطوار تخلق الجنين في بطن أمه وهي (النطفة، والعلقة، والمضغة، ومرحلة تخلق الأجهزة، ثم الخلق الآخر) هذه الأطوار التي استخدم لها القرآن ألفاظاً لم يستطع العلم الحديث إلا أن يستخدمها، وبذلك نجد أن الآيات القرآنية قد جاءت إضافة لاعجازها العلمي باعجاز بلاغي فريد ومدهش.

١ - سورة نوح: ١٣ - ١٤.

٢ - سورة المؤمنون ١٢ - ١٤.

والآن لنسرم مع آيات القرآن في تلك الأطوار التي أشار إليها:
من النطفة إلى العلقه:

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ (١).

ما إن يتم التحام النطفة بالبيضة، حتى تباشر البيضة الملقحة بالانقسام إلى خليتين، فأربع، فثمان، وهكذا. دون زيادة في حجم مجموع هذه الخلايا عن حجم البيضة الملقحة، وتتم عملية الانقسام هذه والبيضة في طريقها إلى الرحم، تدفعها حركة أهداب البوق، والتقلصات العضلية المنتظمة لعضلات جدار البوق، حتى إذا وصلت إلى الرحم كانت كتلة من الخلايا الصغيرة الضلعة، يطلق عليها اسم التوتة Marula حيث تشبه ثمرة التوت بتقسيمها الخارجي، ثم لا تلبث الخلايا السطحية لهذه الكتلة أن تفرق عن الخلايا الداخلية، وتصبح بشكل خلايا أسطوانية، ومهمة هذه الخلايا تأمين الغذاء وتسمى بالخلايا المغذية Troph blast وبذلك يصبح محصول الحمل قابلاً للتعيش، فتغرس الخلايا المغذية استطالاتها في مخاطية الرحم، وتستمر عملية العلوق مدة ٢٤ أربع وعشرين ساعة، وبذلك تنتهي مرحلة تشكل العلقه.

وقد لا يدرك روعة التصوير القرآني لهذه المرحلة بالعلقه إلا من شاهد تلك الكتلة الخلوية وهي عالقة علوقاً - وليس التصاقاً - بواسطة تلك الاستطالات التي غرستها في مخاطية الرحم، وما أجدرنا هنا أن نخرج على هذه الآيات التي تذكر الانسان بتلك اللحظات التي كان فيها مجموعة خلوية عالقة بجدار رحم الأم، تستمد منها الدفء والغذاء والسكن، فيقول في أول سورة نزلت من القرآن، وأسماها الحق تبارك وتعالى بالعلق:

﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾^(١).

من العلقة إلى المضغة :

﴿ فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾^(٢).

بعد عملية العلوق تبدأ مرحلة المضغة في الاسبوع الثالث، بتشكيل اللوحة المضغية، وذلك 'ابتداء من الخلايا المضغية Embryoblast، وهي الخلايا التي بقيت بعد انفصال الخلايا المغذية، واللوحة المضغية هي عبارة عن قرص مؤلف في البدء من وريقتين: خارجية Ectoderm، وداخلية Endoderm، ثم تتشكل بينهما وريقة ثالثة هي الوريقة المتوسطة Mesoderm، وحتى نهاية الاسبوع الرابع لا يكون هناك أي تمايز لأي عضو أو جهاز، ويمكن أن نسمي هذه المرحلة بالمضغة غير المخلقة. ثم يمر الحمل في أدق مراحل وأصعبها حيث يطرأ على اللوحة المضغية المؤلفة من الوريقات الثلاث جملة تغيرات نسيجية هادفة ومدهشة ابتداء من الاسبوع الخامس، وتسمى بعملية التمايز Defferentiation، أو كما أسماها القرآن «التخلق»، فكل زمرة من خلايا هذه الوريقات تأخذ على عاتقها تشكيل واحد من أجهزة الجسم وأعضائه، وذلك في إطار من التكامل والتنسيق بين هذه الأجهزة، وهي تنمو وتتطور، ليكون الإنسان في أحسن تفويم، وتنتهي عملية التخلق في نهاية الشهر الثالث تقريباً، ويكون طور الجنين عندها (١٠) سم، ويزن حوال (٥٥) غم ويمكن تسمية هذه المرحلة بمرحلة المضغة المخلقة، فطور المضغة يمر إذاً بمرحلتين: المرحلة الأولى حيث لم يتشكل فيها

١ - سورة العلق: ١ - ٢.

٢ - سورة المؤمنون: ١٤.

أي عضو أو جهاز وأسميناها مرحلة المضغة غير المخلقة، والمرحلة الثانية حيث تم فيها تمييز الأجهزة المختلفة وأسميناها مرحلة المضغة المخلقة، وهكذا يتضح جلياً اعجاز القرآن الكريم في وصفه لطور المضغة بقوله:

﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾^(١).

اللفز المحير:

لا بد أن يستوقفنا ونحن نتكلم عن عملية التخلق سؤال هام، وهو: كيف يمكن للخلايا المضغية Embryoblast المتماثلة تماماً في بنائها أن تعطي هذه الوريقات الثلاث «الداخلية والخارجية والمتوسطة» المختلفة عن بعضها البعض؟ ثم كيف يمكن لخلايا المتماثلة في كل وريقة على حدة أن تعطي الأجهزة المختلفة في بنائها ووظائفها وخصائصها؟^(٢).

فالوريقة الخارجية مثلاً يتشكل منها: الدماغ، والأعصاب، وبشرة الجلد ولواحقه من الغدد والأشعار والأغشية المخاطية بالفم والأنف. والوريقة المتوسطة يتشكل منها: القلب والأوعية الدموية، والدم والعظام، والعضلات، والكليتين، وأدمة الجلد، وفسم من الغدد الصماء. أما الوريقة الداخلية فيتشكل منها: مخاطية الجهاز التنفسي، والطريق الهضمي، والغدة الدرقية، والغدة جار الدرقية، والكبد، والبنكرياس. وهكذا.

أجل كيف تم ذلك؟ ومن الذي دفع هذه الخلايا المتماثلة الضعيفة لتعطي كل هذا من مراكز التفكير والشعور والابداع؟ وكل هذا من مصانع الدم والسكاكر

١ - سورة الحج : ٥.

٢ - الانقسام أو التكاثر الخوي من أهم مبررات الخلية الحية، ومعروف أن الخلية عندما تنقسم تعطي خليتين متماثلتين تماماً وبكل شيء في البناء والخصائص والوظائف.

والبروتين؟ وكل هذا من أجهزة التكليف والراحة ومن وسائل الوقاية والحماية ولأمن في الجسم؟ انه اللغز الذي حير وما زال يحير كل علماء الدنيا حتى يعلموا أن المبدع والموجه في هذه الحياة، هو الله. ويوم يصلون إلى هذا اللغز فسيقنون أكثر أنه:

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَنْهَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

ويتمالكنا العجب ونحن نرى أن القرآن قد أشار لهذا اللغز، في آيات تعد منارات هدية على طريق العلم، وبواعث تدفع للبحث والتحليل باستمرار، قال تعالى في سورة الحج:

﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾.

ثم يؤكد على هذه الناحية حيث يقول في سورة المؤمنون:

﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾.

فهذه الآية تشير فقط إلى بدء تشكل العظام قبل تشكل اللحم «العضلات»، كما لا تقتصر على الابداع التعبيري الواقعي في تصوير علاقة العضلات بالعظام على أنها علاقة كساء، ومن يدرس التشریح يعلم تماماً كيف تحيط العضلات بالعظام كأنها كساؤها. أجل لا تقتصر الآية على ذلك فقط، وإنما تشير في تقديرنا إلى عملية التمايز والتخلق، التي تبتدئ من تلك المضغة الصغيرة:

﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾.

ثم أنشأنا خلقاً آخر «طور الجنين»

يميل محصول الحمل نحو الزيادة في الوزن بعد الشهر الثالث، وتسعى الأجهزة التي تشكلت نحو التكامل، حتى أن بعض الأجهزة تبدأ عملها أثناء الحياة الجنينية، كالقلب وجهاز الهضم، ويقوم نقي العظم بتكوين عناصر الدم. وبشكل عام فإن أهم ما يطرأ على الجنين بعد الشهر الثالث هو: الحركة، ونبضان القلب، واستقلال افراز المشيمة الغدي، والنمو المتسارع في حجم الجنين، وتكامل شكله الخارجي.

أما الحركة، فتبدأ في آخر الشهر الثالث وابتداء الرابع حيث تتم عملية اتصال الجهاز العصبي بالأجهزة، والعضلات، وتشعر الحامل بحركات جنينها الفاعلة في الشهر الرابع، أو قبل ذلك في المولودات.

أما نبضات القلب فتبدأ بعد بداية الشهر الرابع، ويمكن سماعها أيضاً، وتكون واضحة في الشهر الخامس تذكر الدكتورة فلك الجعفري:

ان أحد الأساتذة المصريين أراد تسجيل أول دقة للقلب، وعند ما ابتداء مشعر المسجل بالحركة، قال: هنا الله، أي: هنا قدرة الله.

وبالنسبة لاستقلال المشيمة الغدي، فهو مباشرتها بافراز الهرمونات اللازمة لاستمرار الحمل بعد أن أصبحت الكميات التي يفزرها المبيض غير كافية، ولأن متطلبات الحمل من هذه الهرمونات تصبح أكبر بكثير من كفاءة المبيض.

أما نمو الجنين فيكون سريعاً في هذه المرحلة، فقعد أن كان وزنه في نهاية الشهر الثالث (٥٥) غم، وطوله (١٠) سم، يصبح وزنه عند تمام الحمل حوالي (٣٢٤٠) غم، وطوله (٥٠) سم، وخلال هذه الفترة، يتكامل شكله الخارجي، فيصبح لون الجلد أحمر، وتتبسط تجعدياته، وتسقط عنه الاوبار، وتفتح الجفون، وتتكامل الأظافر.

وبهذا الاستعراض السريع لأهم ميزات هذه المرحلة نجد أن تلك المضغة قد أخذت بعداً آخر، اكتسبت فيه قدرة على الحركة، وابتدأ بها القلب بالنبضان بلا توقف، ولهذا البعد أشار القرآن بعد عرضه لسلسلة أطوار تخلف الجنين، حيث قال:

﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾.

ولعل أكثر الناس شعوراً بهذا البعد ليس الطبيب وإنما الأم الحامل التي ما إن تشعر بحركات جنينها حتى نحس بشيء لم تعهده من قبل، إنها تحس أن روحاً أخرى تدب في أعماقها، فتظهر علامات الارتياح على ملامحها، وتعلو البسمة محياها، وإذا ما غابت عنها تلك الحركات مدة بسيطة، قلقت وتأرقت. وأبعد من هذا فقد وجد لعلماء أن الجنين يبدأ في آخر الحمل بالسماع، ومما يسترعي سمعه وهو في بطن أمه، ذلك الصوت الحنون الخالد الذي لا يعرف إلا الحب ولحنان والعتاء. إنه صوت خفقان القلب الكبير. قلب أمه، وهكذا تنشأ صلات الحب والمسؤولية بين الأم ووليدها، في الوقت الذي تعاني فيه الأم من الوهن والعذاب ما لا يحتمله غيرها، ولذلك قال تعالى في سورة لقمان:

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾^(١).

وبعد أن وقفنا على أطوار خلقنا البديعة لمدهشة، هل لنا أن نقدر الله حق قدره؟ هل لنا أن نرجو الله وقارا؟

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾^(١).

تشخيص الحمل اليقيني والعدة:

ان الشعور بحركة الجنين، وسماع نبضات القلب، هما علامتان اليقينيتان لتشخيص الحمل، وكل العلامات التي تسبقهما كانقطاع الطمث، وأعراض الوحام، وحتى ايجابية تفاعل الحمل الحيوي، لا تعتبر علامات يقينية نستطيع على أساسها القطع بحصول الحمل، فهناك حالات مرضية، يمكن أن تعطي نفس الأعراض، كالرحى العدارية، والورم الكوريوني البشري، والحمل الهستيرائي. وكما لاحظنا أن هاتين علامتين؛ شعور الحامل بحركة جنينها وسماع الطبيب لدقات قلب الجنين، يحصلان بعد الشهر الرابع، وهذا ما بينه القرآن الكريم منذ ألف وأربع مئة عام، حيث قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً ﴾^(٢).

إن وجه الإعجاز في هذه الآية الكريمة ظاهر بلا شك، وهي تقرر ما يسمى بعدة المرأة التي توفي زوجها، حيث حددت وبالضبط المدة التي يصبح عندها أو بعدها تشخيص الحمل يقيناً.

أما عن الحكمة في هذه العدة فيعلمها الأطباء الشرعيون، إذ يجب أن يعرف ما إذا كان الحمل من الزوج المتوفى أم لا، وحتى لا تنسب المرأة حملاً حملته سفاحاً لزوجها المتوفى، وحتى لا ينكر أهل الزوج المتوفى بنوة الجنين الجديد

١ - سورة نوح: ١٣ - ١٤.

٢ - سورة البقرة: ٢٣٤.

لأبيه بغية التخلص من ميراثه، وبتهمون الأم البريئة بأن حملها هذا سفاحاً أو من زوجها الجديد. إلى آخر ما هنا لك من المشاكل أو المظالم التي قد تقع.

البعد الانساني «الروح»:

البعد الانسان، هو البعد الذي جعل من الطين الرخيص، بشراً كريماً تسجد له الملائكة المكرمون، قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ • فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (١).

وهو بعد الحياة الانسانية - وليس الخلوية - الذي يمنحه الحق تبارك وتعالى للانسان وهو ما يزال في بطن أمه، عندما يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح. وقد بين ذلك أيضاً حديث الرسول ﷺ:

«ثُمَّ يَرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ».

وذلك بعد (١٢٠) يوماً، أي بعد أربعة أشهر، وهذا ما يطابق معطيات العلم الحديث.

وهكذا نفهم ذلك البعد الذي خص الله به الانسان، فلم يعد مجرد عناصر أولية لا تساوي في قيمتها سوى دراهم معدودة في ميزان البيع والشراء، كما لم يعد مجرد مجمعة خلوية حية، بل ميزه عن باقي مخلوقاته يوم جمع بين المادة والروح في خلقه، وبذلك كان الانسان خليفة الله في أرضه، ومهبط وحيه ورسالاته، وحامل أمانته، قال تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ

يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴿١﴾

الظلمات الثلاث:

قال تعالى:

﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ
اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ (٢)

في الوقت الذي تعرض فيه الخلايا المضغية للاطوار التي ذكرناها، يكون هناك ما يسمى بالخلايا المغذية التي تأخذ على عاتقها تأمين الغذاء والهواء لحصول الحمل، ثم يتشكل منها ملحقات الجنين والتي منها، هذه الأغشية الثلاثة التي تحيط ببعظها وهي من الداخل إلى الخارج:

- ١ - الغشاء الأمنيوسي Amniotic membrane، وهو يحيط بالجوف الأمنيوسي المملوء بالسائل الأمنيوسي، الذي يسبح فيه الجنين بشكل حر.
 - ٢ - الغشاء الكوريوني Chorionic membrane، الذي تصدر عنه الزغابات الكوريونية التي تنغرس في مخاطية الرحم.
 - ٣ - الغشاء الساقط Disidia membrane، وهو عبارة عن مخاطية الرحم السطحية بعد عملية التعشيش ونمو محصول الحمل، وسمي بالساقط لأنه يسقط مع الجنين عند الولادة.
- وبالنظر إلى الآية السابقة:

﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾

١ - سورة الأحزاب: ٧٢

٢ - سورة الزمر: ٦

واستناداً إلى المعطيات العلمية التي ذكرناها حول الأغشية الثلاثة، نجد أنفسنا مرة أخرى امام اعجاز قرآني جديد، إذ أشارت الآية الكريمة لأغشية الجنين الثلاثة بتصوير واقعي لجو الظلمة المحيطة بالجنين، فما أسمىها بالغشاء أسماه القرآن بالظلمة: ظلمة الغشاء الأمبوسي، وظلمة الغشاء الكوريوني، وظلمة الغشاء الساقط. وشيء آخر في الآية الكريمة هو تبيانها أن عملية الخلق تتم على أطوار متلاحفة داخل هذه الظلمات الثلاث:

﴿ خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾.

أجل ينبغي للداعي أن يهتف من أعماقه:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ»

تجليات مدهشة من رحمة الله الواسعة

وإن شئت نظرت إلى جانب آخر ترى آثاراً مدهشة أخرى من رحمة الله الواسعة، فلعل الغبار الذي يكتنف مرايا لقلوب فتسطع عليها الأنوار، ويتأجج الحب في أرواحنا فتهب إلى العبادة الخالصة وتنفر من المعاصي والذنوب نفوسنا. ان جهاز دماغ لانسان لهو من أعجب الأجهزة عندما تستعرض الأعمال والوظائف التي يؤديها ويقوم بها؛ إذ تتقف أعظم الأجهزة التي صنعها الانسان عاجزة أمام عظمتة.

ان احدى وظائف الدماغ هو تسجيله جميع الوقائع المختلفة ليشكل في مجموعها الذاكرة، والذاكرة البشرية وحدها ترتبط بجزء صغير من الدماغ وإليك هذا المثال لتصور قوة الذاكرة:

لنفترض ان شخصاً أمضى من عمره خمسين سنة وأراد أن يدون ذكرياته من دون زيادة أو نقصان، انه يحتاج إلى ذلك إلى ما يعادل ١٦٠,٠٠٠,٠٠٠ صحيفة من القطع الكبير وعشرين صفحة مليئة كلها بسطور وحروف ناعمة. ان آلية الاستذكار أو استعادة الذكريات الماضية تشبه كثيراً شريط الكاسيت والفرق الوحيد ان القوة الكهربائية لشريط المخ هي من أعصاب البدن ولا تحتاج إلى تدوير.

ولو أراد الانسان أن يجسد عمل المخ في جهاز آلي للزمه أن يركب جهازين متجاورين كناطحتي سحاب وأن يجهزهما بالقوة الكهربائية من خلال أعظم شلال في العالم وحتى لا تحدث كارثة بسبب الحرارة التي تشع من الاسلاك الساخنة بسبب جريان القوة الكهربائية؛ فانه يحتاج إلى جميع ماء الشلال العظيم ذلك من أجل التبريد.

وحتى هذا الجهاز الخيالي لمخترع لن يكون بإمكانه اداء جميع ما يؤديه دماغ الانسان العادي في طريقة تفكيره فما بالك بالعابرة! ان الأمر الذي يصدر عن مخ الطفل الرضيع إلى الشفتين لامتناس اللبن من ثدي الأم هو وراء هذه الحالة من الطمأنينة التي تستغرق الطفل في الحضان الرؤوم.

وهناك في جسم الأم أعظم مصنع كيميائي آلي يقوم بتحويل الدم القاني إلى لبن ناصع سائغ غني بكل الفيتامينات اللازمة لنمو الطفل. كل هذا الغذاء الغني والعذب يتدفق من مخزنين إلى حلمتين إلى فم الطفل وانظر إلى ذلك الانسجام بين الحلمة وفم الطفل حيث الحلمة مجهزة بثقوب مناسبة تنفتح بمجرد أن يقوم الطفل بعملية المص ثم تنغلق حالما يرتوي ويكف عن العمل.

وهذا المصنع الهائل غارق في سبات عميق مادام الطفل ما يزال جنيناً في بطن أمه، حتى إذا حانت لحظة الميلاد وخرج إلى الدنيا يستيفظ هذا المجمع الصناعي الكبير ويعمل بكل طاقته الانتاجية، لعمل ويتتج لبناً غنياً بمادته طيباً في مذاقه ومتناسباً مع نفس الطفل في ما يلزمه من أسباب النمو؛ والأعجب والأكثر إثارة أن المصنع بتطور كلما تقدّم لطفل في عمره فينتج بما يتواءم مع حالة الطفل الرضيع، حيث تتضاعف المواد الغذائية التي يزخر بها الحليب!

انها حقائق مذهلة ومحيّرة لا تعكس سوى تجليات من رحمة الله الرحمن الرحيم هذه الرحمة المطلقة التي تغمر كل الوجود.

وما على الانسان إلا أن يتأمل ما حوله من الآيات وفي أعماقه من الأسرار المثيرة، ليعي الفيض الذي يغمره ويغمر لعالم من حوله، ومن ثم يعرف الطريق إلى خالقه وحينئذ سيمد كفيه باتجاه الأزلي الأبدي هاتفاً:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ»

الجهاز التنفسي

تقوم الرئتان في متوسط حياة الانسان العادية بما يناهز الخمسة مليون عملية من الشهيق والزفير.

وتوجد في الجهاز التنفسي مئات الآلاف من الغدد تفرز السوائل اللزجة ووظيفة هذه الغدد هو اجتذاب الذرات الضارة الموجودة في الهواء في حالات الغبار عندما تلج حين التنفس.

وفي غياب هذه السوائل ولو لحظات فان الأنابيب التنفسية سوف تنسد وتؤدي بحياة الانسان.

وتزخر الأنابيب (القصبات الهوائية) تلك بالآلاف من الشعيرات التي تقوم بدور التنقية .

وتقوم هذه الشعيرات في الثانية باثني عشر عملية كنس في الأنابيب ودفع الذرات الضارة إلى الجهاز الهضمي وإبطال آثارها السلبية .

وتقوم القصبات الهوائية بإيصال ٧٥٠ مليون كيس رئوي إلى الهواء النقي واستبدال الكربون والدم المؤكد بالأوكسجين النقي واهب الحياة .
وهذه حقيقة أخرى وهي جزء من « كل شيء » حيث كل شيء مغفور برحمة الله .

الجلد

للجلد منافع لا تحصى ومنها :

- ١ - انه مزود بمسامات غاية في الدقة حيث يمكن للانسان أن يتنفس منها قدراً ممّا يلزمه من الهواء ولو لا هذه المسامات لاستحالت الحياة .
- ٢ - انه مزود بالغدد التي تقوم بالتعرق وتلطيف حرارة الجسم والمحافظة على درجة حرارة مناسبة لحياة الانسان .
- ٣ - انه مجهز بالغدد الدهنية تجعل منه طرياً ومن الشعر فتياً .
- ٤ - انه الخط الأول في عملية الدفاع أمام هجومات الجراثيم .
- ٥ - انه ومن خلال عملية التعرق يقوم بطرد السموم من البدن وهذا ما يخفف الاعباء عن الكليتين .

٦ - انه يحفظ السوائل اللازمة لحياة الانسان في الجسم ويمنع تسربها إلى

الخارج .

٧ - انه مركز الحاسة اللامسة ، ومن خلاله يتحسس الانسان الحرارة

والبرودة ، النعومة والخشونة ، المرونة والصلابة ، الرقة والضخامة ، ويرسل تقاريره

إلى مركز المحاسبات المنطقية.

انه بايجاز جزء آخر من تجليات الرحمة الالهية والفيض السماوي.

المنظومة الدفاعية

ان الله عزوجل الذي خلق بدن الانسان جعل له برحمته خمسة خطوط دفاعية نصد عنه هجمات المغيرين وهي الجراثيم والفيروسات:

١- الجلد الذي يحبط بالبدن احاطة الفعة بأسوارها.

٢- الانسجة اللمفاوية: وهي انسجة تشبه النسيج القطني الذي يلي الجلد ولونه حليبي وقد يتغير لونه ويكون في بعض الاحيان سميكاً وفي أجزاء اخرى رقيقاً، فاذا استطاع العدو اختراق الخط الأول تصدى له النسيج اللمفاوي بالمقاومة.

٣- الأغشية المخاطية ولونها يتناسب مع العضو الذي تغطيه ووظيفتها الدفاع عن العضو.

ولبعض الأعضاء كالقلب غشاءان من هذه الأغشية المخاطية الأول خارجي ويحيط بالقلب من الخارج والآخر داخلي يغطي القلب من الداخل.

٤- الحامض المعدي: عندما يتمكن العدو من الوصول إلى المعدة يتصدى له هذا الحامض بالمقاومة.

٥- الكريات البيض وهي الكريات التي تسبح في الدم وتشترك مع الجراثيم الواردة في الدم ولا تكف عن القتال والصراع ولمقاومة إلى أن يتم القضاء على العدو، ولكنه من المثير أنها تشخص العدو من الصديق لأنها عندما تشعر بدخول

جراثيم مفيدة فانها سرعان ما تتعاون معها^(١).

وهل هناك غير الرحمة الالهية والرافة الرحمانية التي تغمر البشر وتحفظه من الآفات وتحميه في دروب سبي الحياة؟!
حقاً انها رحمة مطلقة تغمر كل شيء.

النباتات وفوائدها المدهشة

انها جزء من الرحمة التي تغمر كل شيء فالنباتات بأنواعها وما تنطوي عليه من فوائد كبرى تلعب دوراً في حياة الانسان واستمرار وجوده وبقائه.
ففي الهواء نسبة محدودة من غاز الأوكسجين هذا الغاز الذي لا يستطيع الكائن الحي أن يستغني عنه أبداً.

ان عملية الشهيق في النفس تعني استنشاق قدر من الأوكسجين يرد الدم من خلال الرئتين ليشتشر في انحاء البدن. والأوكسجين يحرق الغذاء في الخلايا المختلفة مخلفاً غاز الكاربون الذي ينتقل عبر الدم أيضاً إلى الرئتين ليطرد خارج الجسم بعملية الزفير. وعملية التنفس بالشهيق والزفير تعني احراق الأوكسجين واطلاق غاز ثاني أوكسيد الكاربون.

وهنا يرد هذا السؤال لماذا لا ينضب اذن غاز الأوكسجين؟ ان نسبته في الهواء تبقى ثابتة بالرغم من وجود المليارات من البشر والكائنات الحية الاخرى وعلى امتداد آلاف السنين. ان الشخص الواحد وخلال ٢٤ ساعة ينفث في الجو ما يعادل ٢٥٠ غم من الكاربون فان مجموع البشر ينفثون إلى الجو حوالي ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ خمسمئة مليون طن من الكاربون.

وعليه يفترض انحسار نسبة الأوكسجين وتفاقم نسبة ثاني أوكسيد الكربون!!

ولكن رحمة الله عز وجل حفظت للبشر والكائنات الحية حياتها ودفعت عنها الخطر الحتمي .

لقد خلق الله عز وجل كائنات حية أخرى تقوم في تنفسها بعكس ما يقوم به البشر يعني ان النباتات تستفيد من ثاني أوكسيد الكربون وتطلق إلى الجو والهواء الأوكسجين وهذا بالضبط ما تقوم به النباتات في عملية التركيب الضوئي في صنع الغذاء المعروفة .

ان هذا التوازن في نسب الغازات في الهواء يعكس جانباً من الرحمة الالهية المطلقة .

فيا حسرة على من لا يرى نعمة الله تبارك وتعالى رحمته ويا حسرة على من لا ينتبه من غفلته فيرى الآيات من حوله .

والنباتات في دورها الحياتي هذا هي ليست كل شيء وان الانسان ليرى ألوانها المختلفة ويشم روائحها ويتلذذ باطعمتها المتنوعة .

دور الحشرات والحيوانات في الحياة

الله سبحانه وحده الذي يعرف عدد الحشرات والحيوانات فهو الذي خلفها فلا يحصيها غيره، انها تملأ البحار والبراري والغابات وما أعظم فوائدها على الناس .

١ - حشرات تقوم بدور التلقيح: لقد خلق الله سبحانه الأشجار المثمرة زوجين ذكراً وأنثاً والأشجار المثمرة تحتاج إلى تلقيح من الاشجار الاخرى الشبيهة لها في الشكل ولا تثمر .

ولكن من يقوم بعملية التلقيح يا ترى؟ إن الله سبحانه سخر لذلك بعض الحشرات التي تقوم بهذه المهمة على أحسن وجه؛ فهي تنتقل بين زهور الأشجار ويلصق بأرجلها من اللقاح من هذه الزهرة لتحط على زهرة أخرى ويتم التلقيح وتحمل الأشجار الثمار!!

والمدحش هنا أن هذه الحشرات تقوم بهذه المهمات دون أن يصدر عنها خطأ فهي لا تنتقل اللقاح من شجرة التفاح إلى أشجار الخوخ ولا من أشجار الخوخ إلى شجرة التفاح وإنما يتم التنقل بين النوع الواحد من الأشجار، وتقوم الأشجار بتقديم المكافأة لهذه الحشرات فتقدم لها الرحيق والشهد.

٢- الأبقار والغنم: يقول علماء الأحياء أن كل شيء موجود بالقدر المطلوب فاللبن الموجود في الثدييات موجود بقدر ما يحتاج الرضع من الصغار ولكن الله عز وجل جعل في هذه القاعدة العامة استثناء حيث نجد الأبقار والأغنام خارجة عن هذا القانون الطبيعي لأن الله جعل من لبن الأبقار والأغنام ليس غذاء لصغارها فحسب، بل يوجد فائض كبير يصل إلى الإنسان لأن حليب الأبقار والأغنام غذاء غني بالفيتامينات وهي حيوية في حياة البشر^(١).

أليس هذه رحمة من الله عز وجل للإنسان أن سخر له هذه الأنعام، فهذه يركبها وتلك تحمل أثقاله من بلد إلى بلد وثالثة يحلبها!!

وليتأمل الإنسان في قطعان الغنم وهو يشرب لبنها وينغذى بلحمها ويرتدي من أصوافها ما يدرأ عنه غائلة البرد في فصل الشتاء؛ أنها آثار رحمة الله وما على الإنسان إلا أن ينظر ويعتبر.

٣- النحل: يقول علماء النبات أن الأزهار لا تنتج الرحيق على مدار اليوم بل

ان لها أوقاً محددة في اليوم؛ تقدم فيها الرحيق وهي لا تعدو ثلاث ساعات في اليوم كما أنها لا تعرضها في وقت متواصل في اليوم الواحد فهي تقدم جزء من رحيقها في الصباح وعند الظهر وفي الأصيل.

ويعدّ النحل خبيراً متمرساً في شؤون الأزهار كما أنه يعرف الوقت المناسب والساعات التي تقدم فيها الأزهار الشهد والرحيق وفي تلك الاوقات المحددة تنطلق النحلة لامتصاص الرحيق من مختلف الأزهار^(١).

وبعد ذلك يقوم النحل بتحويل الرحيق والشهد إلى مادة أخرى شهية طيبة المذاق وهي العسل المصفى بألوانه الرائقة وطاقاته ومادته الغذائية الكبيرة، فالعسل كما هو معروف لا يعرف الفساد بل انه دواء ناجع لكثير من الأمراض وقد قال الله عز وجل:

﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾^(٢).

وقد ألف العلماء في النحل والعسل عشرات بل مئات الكتب وفي كل ورقة تجد آية من آيات الله ورحمته ورأفته.

الهداية نعمة كبرى

وشاءت الرحمة الالهية الازلية ان يعيش لانسان مدة من الزمن في مكان من صرح هذا الوجود الكبير؛ انه كوكب لأرض حيث الرياح والغيوم والشجر وحيث لشمس والقمر، وقد سخر الله له كل شيء في هذا الكوكب ليعيش تجربته الانسانية في البناء و لا اعمار وقد منحه الله سبحانه نعمة العقل مصباحاً وسراجاً

١ - المصدر نفسه: ٩٢/٢.

٢ - سورة النحل: ٦٩.

منيراً، يضيء له الطريق ومنحه الله سبحانه الإرادة والحرية في الاختيار ومنحه الضمير والوجدان قانوناً أخلاقياً وأودع فيه سرار الفطرة الآدمية.

وحتى لا يضل الإنسان طريقه في دروب الحياة؛ أرسل إليه الأنبياء وأنزل عليه الرسالات يحملها بشر بلغوا مراتب السمو والكمال، وكان كتاب الله العزيز القرآن المجيد، هو آخر الكتب السماوية فيه هدى للضالين ودليل للحائرين.

ولو تأمل الإنسان في ما أنعم الله عليه من نعم مادية وأخرى روحية معنوية، لأدرك أن الله رحمان رحيم غمر فيضه عوالم الغيب والشهادة والملك والملكوت. فالمؤمن تغمره من الله رحمة واسعة ورأفة ويرفعه بعمله وسعيه إلى مرتبة عالية لا يبلغها حتى الملك المقرب.

وفي هذا العصر حيث تشع أنوار المعرفة، اتضح الطريق إلى الله فيسلك السالك درب الحب وطريق العشق، مستضيئاً بإيمانه يشده شوق للقاء المحبوب ف يرى الوالهيـن يشدون الرحال إلى المعشوق قد تيمهم الحب، لا يلتفتون إلى شيء غيره، وقد أخذ العشق بألبابهم، فهم عن ذكر المحبوب لا يفكرون.

إن الإنسان المؤمن ينتخب الصراط المستقيم وطريق الهدى القويم يعمل الحلال من الأعمال ويجتنب الحرام من الأفعال، يخدم الخلق لأنهم عيال الله، وقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات أجراً غير ممنون أجراً كريماً وكبيراً ورضوان من الله أكبر والخلود في جنات الفردوس.

رحمة الله

الإنسان وهو يطوي المسافات في دروب الحياة، لا بد وأن يخطئ ويعثر فالنسيان والجهل والعصيان أمور تعتور مسيرة الإنسان.

وشاءت الرحمة الالهية أن يبقى باب التوبة والعودة مفتوحاً للإنسان على

مصراعيه.

فمهما انحرف الانسان عن جادة الصواب ومهما زلّ وضل ونأى عن الطريق القويم، فإن باب الانابة إلى الله مفتوح، وقد وعد الله عز وجل عباده النادمين التائبين بقبول التوبة والغفران والصفح، خاصة إذا اقترنت توبته بتلاوة دعاء كميل في ليالي الجمعة، ليلة الرحمة والمغفرة. إنّ هذا الدعاء الجليل بسمو معانيه لا بد وأن يستمطر الرحمة والقبول من لدن الله الغفور الرحيم.

وكيف لا وقد وعد الله عز وجل عباده العصاة بالمغفرة إن هم تابوا وعادوا وأنبأوا إليه.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(١).

وهذه طائفة من الآيات مفعمة بالرحمة والمغفرة بوعد الله عز وجل الذي لا يخلف الميعاد.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢)؛ ﴿وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٣)؛ ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾^(٤)؛ ﴿أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٥)؛ ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾^(٦)؛ ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٧)؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا﴾^(٨)؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾^(٩)؛ ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(١٠)؛ ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعٌ

١ - سورة الزمر: ٥٣.

٢ - سورة البقرة: ١٧٣، ١٨٢، ١٩٢، ١٩٩؛ وسورة لمائدة: ٣٩.

٣ - سورة البقرة: ٢٠٧؛ وسورة آل عمران: ٣٠.

٤ - سورة البقرة: ٢٢١.

٥ - سورة البقرة: ٢٣٥.

٦ - سورة البقرة: ١٠٥.

٧ - سورة البقرة: ١٠٥.

٨ - سورة النساء: ٤٣.

٩ - سورة النساء: ١٦.

اَلْمَغْفِرَةُ ﴿١١﴾.

وأمام هذه الزخم من الآيات التي تزرع الأمل من النفوس، من المنطقي أن يكون اليأس من الكبائر التي يعاقب الله عز وجل عليها أشد العقاب.
وجاء في كتب الحديث عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام:

«انه يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله عز وجل، فيكون هو الذي يلي حسابه فيوقفه على سيئاته شيئاً فشيئاً، فيقول: عملت كذا في يوم كذا في ساعة كذا، فيقول: أعرف يا رب. قال: حتى يوقفه على سيفاته كلها، كل ذلك يقول: أعرف، فيقول عز وجل سترتها عليك في الدنيا وأغفرها لك اليوم، أبدلوها لعبدي حسنات، قال: فرتفع صحيفته للناس فيقولون: سبحان الله! أما كانت لهذا العبد سيئة واحدة؟! وهو قوله الله عز وجل: ﴿ فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ (١٢).

دعوات مستجابة

كان في زمان منصور بن عمار وهو من العارفين رجل ثري وكان للثري مجلس كل ليلة ترتكب فيه المعاصي؛ وذات يوم أعطى الرجل غلامه أربعة دراهم وأمر أن يشتري ما يلزم المجلس من طعام وشراب.
وانطلق الغلام إلى السوق فمر بمجلس منصور بن عمار وهو يعظ من حوله والجالسين إليه، فسمع منصور بن عمار يخاطب الناس من يهمني أربعة دراهم لهذا الفقير وأدعوه أربع دعوات؟

١٠ - سورة يوسف: ٦٤.

١١ - سورة النجم: ٣٢.

١٢ - بحار الأنور: ٢٨٨/٧.

فقال الغلام في نفسه : ليس هناك ما هو أفضل من هذا أعطيه الدراهم واشتري منه أربع دعوات وان هذا لأفضل من اشتري طعاماً وشراباً لأهل المعاصي .
وتقدم الغلام إلى منصور بن عمار وسلمه الدراهم فقال منصور ما نريد أن أدعوك .

قال الغلام أريد أن تدعولي بأن يطلق الله ساري فأكون حراً والثانية أن تدعو لمولاي بأن يوفقه الله للتوبة والثالثة أن يعوضني الله بدل هذه الدراهم دراهم مثلها والرابعة أن يغفر الله لي ولسبدي وأصحاب مجلسه .

ودعا له منصور بن عمار الدعوات الأربع وعاد الغلام خالي اليدين فسأله سيده عن الطعام والشراب ، فقال : يا سيدي اشتريت بها دعوات أربع فسأله سيده عنهن فقال : الأولى أن أطلق من ربة العبودية .

فقال له : أنت حر لوجه الله .

قال الغلام : والثانية أن يوفقك الله للتوبة .

فقال الرجل الثرى : لقد تبت إلى الله ولن أعصيه بعد الآن أبداً .

قال الغلام : والثالثة أن يعوضني الله بدل الدراهم الأربعة دراهم غيرها ، فنقده الرجل أربعة دراهم في الحال .

فقال الغلام : والرابعة أن يغفر الله لك ولأصحاب مجلسك .

فقال الرجل : لقد قمت بما استطيع ، أما هذه فليست لي ولا من شأني .

ولما أوى الرجل تلك الليلة إلى النوم ، سمع في عالم النوم هاتفاً من جانب الحق يقول له : يا عبدي أنت بفقرك ومسكنتك وقد قمت بالذي عليك فكيف لا أغفر لك ولأصحابك وأنا الكريم لقد غفرت لك ولغلامك ولأصحابك .

الورود على ربّ كريم

يروى أن رجلاً حكيماً مرّ يوماً بسكّة فرأى أفواماً أرادوا اخراج شاب من المحلة لفساده، وامرأة تبكي قيل انها أمّه، فأشفق الرجل الحكيم عليها فشفع له إليهم وقال هبوه منّي في هذه المرّة فان عاد إلى فساد فشانكم فوهبوه منه فمضى به الرجل، فلما كان بعد أيام اجتاز بتلك السكّة فسمع بكاء لعجوز من وراء ذلك الباب فقال في نفسه لعل الشاب عاد إلى فساد، فنفي من المحلة، فمدق عليها الباب وسألها عن حال الشاب، فقالت: انه مات فسألها عن حله، فقالت: لما قرب أجله قال: لا تخبري الجيران بموتي فلقد آذيتهم فانهم سيشتموني ولا يحضرون جنازتي، فاذا دفنتيني هذا خاتم لي مكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم فادفنيه معي، فاذا فرغت من دفني فتشفعي لي إلى ربي ففعلت وصيته، فلما انصرفت عن رأس القبر سمعت صوته يقول: انصرفي يا امام فقد قمت إلى ربّ كريم^(١).

توبة بعد توبة

بروي «الطار» في كتابه «منطق الطير» ان رجلاً وفق للتوبة بعد أن استغرق في الذنوب والمعاصي ولكنه بعد أن تاب عاد مرّة أخرى إلى المعصية ثم تاب أيضاً وسرعان ما كسر توبته واركب الاثم، حتى عاقبه الله ببعض ما جنت بداه حتى أدرك أن فرط في عمره وضيّع سنوات حياته بدداً وأوشك على الرحيل فأراد التوبة، ولكنه أعرض عنها خجلاً وحياء وكان يتقلقل تقلقل حبة القمح

عندما تسقط فوق الجمر، حتى حل السحر سمع نداء من الغيب : لقد تبت عليك يوم تبت أول مرة ولما نقضت العهد لم انتقم منك فأمهلتك حتى تبت مرة أخرى وقبلت توبتك فلما نقضت ذلك في الثالثة واستغرقت في المعاصي والذنوب أمهلتك، والآن إن أردت التوبة فتب فاني سأغفر لك^(١).

يا من يجيب دعوة الحائرين

وبروي العطار أيضاً أن جبريل الأمين سمع من على سدرة المنتهى نداء الحق تعالى يقول : لبيك، فنظر إلى السموات السبع وفي عالم الناسوت فلم ير من يليق بنداء الله عز وجل، فقال : يا رب إنني نظرت فلم أجد من يليق بندائك يا رب، فقال الحق تعالى : انطلق إلى الأرض تر في معبد الروم عبداً من عبادي يبكي، فلما رأى ذلك قال : يا رب ازح عني بصري الحجب لأنني وجدته من الضالين، قال الله عز وجل ألم تره يبكي ويبحث عني وهو قد ضل الطريق ويستنجد بي، من أجل هذا قلت له : لبيك فيشرق على قلبه الايمان ويهتدي إلى الطريق^(٢).

١ - ايسر الليل : ٤٥ .

٢ - المصدر السابق : ٤٦ .

«وَبِقُوَّتِكَ الَّتِي قَهَرْتَ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ»

وَأَسْأَلُكَ يَا إِلَهِي بِقُوَّتِكَ وَحُكُومَتِكَ، الَّتِي خَضَعَ لَهَا وَاسْتَجَابَ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْوُجُودِ.

إِنَّ قُدْرَتَهُ سُبْحَانَهُ هِيَ عَيْنُ ذَاتِهِ لَا نِهَآيَةَ لَهَا وَلَا حُدُودَ؛ أَنَهَا مُطْلَقَةٌ مُطْلَقَةٌ، وَأَنَّهُ لَا قُدْرَةَ وَلَا قُوَّةَ يُمْكِنُ مُقَارَنَتُهَا بِقُدْرَتِهِ؛ أَنَهَا قُدْرَاتٌ وَهَمِيَّةٌ تَجَسَّدُ الضَّعْفَ التَّامَّ أَمَامَ قُدْرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَكُلُّ مَا نَرَاهُ مِنْ قُدْرَاتٍ مَا هِيَ إِلَّا شِعَاعٌ مِنْ قُدْرَتِهِ إِذْ «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ». أُنْ «كُلُّ شَيْءٍ» يَعْنِي كُلَّ الْكَائِنَاتِ، الَّتِي ظَهَرَتْ إِلَى الْوُجُودِ بِأَرَادَتِهِ هُوَ سُبْحَانَهُ وَلَا يَحِيطُ بِمَا خَلَقَ غَيْرَ الَّذِي خَلَقَ.

هَذَا الْوُجُودُ الْمَتْرَامِيُّ وَتِلْكَ السَّمَوَاتُ الْبَعِيدَةُ وَالنَّجُومُ وَالْمَجَرَّاتُ فِي أَغْوَارِهَا السَّحِيقَةِ وَهَذِهِ الْأَرْضُ بِكُلِّ غَابَاتِهَا الْكَثِيفَةِ وَمَجَاهِلِهَا وَالْحَيَوَانَاتُ الَّتِي تَنْتَشِرُ فِي أَنْثَاهَا فِي الْبَرَارِيِّ وَفِي الْبَحَارِ وَالْمَحِيطَاتِ مِنَ الْفَيْرُوسَاتِ الْمَتْنَاهِيَةِ فِي الصَّغَرِ إِلَى الْحَيَتَانِ الْكَبِيرَةِ... تَرَى مِنَ الَّذِي يُمْكِنُهُ أَحْصَاءُهَا بَلْ وَحَتَّى اسْتِكْشَافُهَا. اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهَا، فَهِيَ طَوْعَ قُدْرَتِهِ وَرَهْنُ أَرَادَتِهِ سُبْحَانَهُ، إِذَا قَالَ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ.

أُنْ هَذَا الْوُجُودُ بِنِظَامِهِ الدَّقِيقِ وَالْحَيَاةِ فِي مَسِيرَتِهَا مِنْذُ مِلَايِينَ السِّنِينَ تَجَسَّدَ عَظَمَةُ الْقَانُونِ الَّذِي يَحْكُمُهُ وَالْقُدْرَةُ الَّتِي تَسِيطِرُ عَلَيْهِ وَتَسِيرُ إِلَى غَايَانِهِ وَأَهْدَافِهِ.

« وَخَضَعَ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ وَذَلَّ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ »

إنَّ كلَّ شيءٍ ينحني أمام قدرته وسلطانه مستسلماً لأرادته إذ لا قدرة إلاَّ قدرته ولا سلطان إلاَّ سلطانه سبحانه أن كلَّ الكائنات في عوالم الغيب والشهود، من الذرات الصغيرة إلى لمجرات الكبيرة الكبيرة إنَّ كلَّ شيءٍ في هذا الوجود الفسبح اللامتناهي، خاضع لأرادته تبارك وتعالى شأنه.

اللهم يا ملاذ اللائذين، ويا معاذ العائذين، ويا منجي الهالكين، ويا عاصم البائسين، ويا راحم المساكين، ويا مجيب المضطرين، ويا كثر المفتقرين، ويا جابر المنكسرين، ويا مأوى المنقطعين، ويا ناصر المستضعفين، ويا حصن اللاجئين. إن لم أعد بعزِّبك فبمن أعود؟ وإن لم ألد بقدرتك فبمن ألوذ؟ الهي ليس لي وسيلة إليك إلاَّ عواطف رأفك، ولا لي ذريعة إليك إلاَّ عورف رحمتك، الهي كسري لا يجبره إلاَّ لطفك وحنانك، وفقرى لا يغنيه إلاَّ عطفك واحسانك، وروعتي لا يسكنها إلاَّ أمانك، وذلتى لا يُعزِّها إلاَّ سلطانك وأمنيتى لا يبلغنيها إلاَّ فضلك، وختلتى لا يسدّها إلاَّ طولك، وحاجتى لا يقضيها غيرك، وكربى لا يفرجه سوى رحمتك.

يقول الامام زين العابدين في الدعاء الثالث عشر من «الصحيفة السجادية»:

«اللهم يا منتهى مطلب الحاجات! ويا من عنده نيل الطلبات! ويا من لا يبيع نعمة

بالاثمان! ويا من لا يكثر عطاياه الامتنان! ويا من يستغني به ولا يستغنى عنه!
يا من يرغب إليه ولا يرغب عنه! ويا من لا تُفني خزائنه المسائل! ويا من لا
تنقطع عنه حوائج المحتاجين! ويا من لا يعنيه دعاء الداعين! تمدحت بالغنى
عن خلقك. وأنت أهل الغنى عنهم. ونسبتهم إلى الفقر وهم أهل الفقر إليك. فمن
حاول سدّ خلّته من عندك. ورام صرف الفقر عن نفسه بك فقد طلب حاجته في
مظانّها، وأتى طلبته من وجهها، ومن توجه إلى أحد من خلقك أو جعله سبب
نجاحها دونك؛ فقد تعرّض للحرمان، واستحق من عندك الحرمان.

هذه الكائنات. وهذا الوجود لم يكن ذات يوم ثم كان وهذه المخلوقات هي
كلمات الله عز وجل جاءت من ديار العدم إلى عالم الوجود. إنّها لا شيء لا قدرة
مستقلة لها ولا حياة ذاتية؛ فكل شيء مبدأه من الله الخالق واستمراره في القاء
إنما هو بالله تبارك وتعالى. الأرض جميعاً قبضته والسموات مطويات بيمينه.
لا مجال لأي كائن أن يتمرد أو يخرج عن قدرته؛ فكل الكائنات خاضعة في
مملكته.

وما على الانسان الذي منحه الله الحرية إلا أن ينظر ما حوله فيعتبر وإلا ينفخ
في نفسه الغرور فيفتن.

الانسان قادم من قلب التراب والطين والماء المهيّن. كائن خرج من الأرض كما
النبات وسيعود إليها بعد مدة من الزمن فيتحلل ويصبح جزء من عناصر
الأرض كما بدأ أول مرة.

قأية قدرة للانسان وهو محكوم بالميلاد والموت وما حياته في الأرض إلا
امتحان واختبار وتجربة انسانية؛ يتوقف عليها مصيره، إمّا سعادة خالدة
أو شقاء أبدي.

« وَبَجَبَرُوتِكَ الَّتِي غَلَبَتْ بِهَا كُلُّ شَيْءٍ »

وَسَأَلْتُكَ يَا إِلَهِي بِجَبَرُوتِكَ الَّذِي تَقْهَرُ بِهِ الْأَشْيَاءَ . جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ وَالْكَائِنَاتِ
مَغْلُوبَةً أَمَامَكَ .

الْجَبَرُوتُ صِفَةُ مِبَالِغَةٍ ، وَتَعْنِي تَعْوِيضُ كُلِّ مَا يَنْقُصُ فِي الْوُجُودِ فِي عَالَمِ
الْإِمْكَانِ حَيْثُ تَتَدَفَّقُ النِّعَمُ وَالْخَيْرَاتُ وَكُلُّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَسُدَّ النِّقْصَ الْحَاصِلَ
إِلَى حَدِّ الْفَيْضِ .

لَمْ تَكُنِ الْمَخْلُوقَاتُ فِي بَدَايَةِ خَلْقِهَا شَيْئاً يَذْكُرُ فِصْوَها الْأُولِيَّةُ ذَرِيَّةٌ أَوْ بِذَوْرٍ
صَغِيرَةٍ وَحَبَّاتٍ أَوْ نَطْفٍ لَا وَزْنَ لَهَا .

اللَّهُ الرَّحِيمُ يَجْبِرُ النِّقْصَ

لَوْ نَظَرْتُ بِمَعَانٍ إِلَى مَا حَوْلَكَ لَرَأَيْتُ عَجَباً فَهَذِهِ الشَّمْسُ السَّاطِعَةُ الَّتِي هِيَ
جُزْءٌ صَغِيرٌ جَدّاً يَضِيْعُ فِي عَالَمِ الشَّمُوسِ . هَذِهِ الشَّمْسُ الَّتِي تَبْعَثُ لَنَا النُّورَ وَالْدِفْءَ
مِنْ وَرَاءِ مِلْيَينِ الْأَمْيَالِ . هَذِهِ الشَّمْسُ هِيَ الْجَحِيمُ الْمُسْتَعْرِ حَيْثُ تَبْلُغُ دَرَجَةُ
الْحَرَارَةِ فِي سَطْحِهَا أَكْثَرَ مِنْ سِتَّةِ آلَافِ دَرَجَةِ مِئْوِيَّةٍ (٦٠٩٣) أَمَّا أَعْمَاقُهَا فَلَا
يُمْكِنُ نَصُورُهُ .

هَذِهِ الشَّمْسُ تَبْعَثُ فِي كُلِّ ثَانِيَّةٍ أَكْثَرَ مِنْ ١٢،٤٠٠،٠٠٠ طَنٍ مِنَ الطَّاقَةِ وَلَوْ

أردنا معادلة تلك الطاقة بالفحم الحجري لبلغ هذا الرقم ٦٧٩ مليون مليار طن!!
ان وزن ما تستهلكه الشمس من الطاقة يبلغ أربعة ملايين طن في الثانية
الواحدة حيث يصبح مجموع في السنة ١٢٦,١٤٤,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠.

فلماذا اذن لا تخبو الشمس وتنطفئ ولو كانت مكونة من الفحم الخالص
لانتهى أمرها بعد ٦٠ قرناً فقط؟

لا جواب إلا جبروت الله عزوجل لأن الشمس إنما هي كتلة من الغاز وانها
الطاقة المتفجرة فيها وهذه الحرارة والنور إنما يعودان إلى انها أشبه بمفاعل نووي
عملاق وان ما يحصل فيها إنما هو سلسلة من الانفجارات النووية الهيدروجينية
حيث تجتمع أربعة ذرات هيدروجين لتكوين ذرة هليوم ولكن مع فائض ذري
يستحيل إلى طاقة كهربى، فانظر إلى آثار جبروت الله عزوجل وجلاله.

المدّ والجزر

ان سطح بحر من البحار الحرّة هو أدنى في حدود ٢٧/٦ م ثم ينحسر إلى
أكثر من ذلك؛ فبحر الخزر لا يرتبط ولا يتصل بالبحار الحرّة ولهذا لا يتبع المد
والجزر في المحيطات، ومن هنا فهو لا يتأثر بجاذبية القمر بالشكل الكافي
لصغره، ولذا يجب إلا يكون فيه مدّ وجزر ومن ثم فانه يتعفن وتموت فيه
الكائنات الحيّة من أسماك وغيرها وبالتالي تحوله إلى مستنقع آسن ملوث
ويصبح مصدر تهديد يهدد البيئة بخطر التلوث! فلماذا اذن لم يتلوث حتى الآن
ولن يتلوث أبداً؟!

إن مصدر الفيض والبركة وخالق الوجود هو الذي خلق هذا البحر وغمره
بفيض رحمته وجبروته؛ ولذا ترى مختلف الرياح تعصف عليه، فهناك ثلاث
رياح هي: «سرنوك» و«خزري» و«ميانوا» سخرها الله سبحانه لتعصف على ماء

البحر وتضغط بشدة على سطح البحر، إلى الحد الذي يرتفع منسوب الماء في الأنهار التي تصب فيه حيث ترتفع وتنخفض في الأنهار. ومن شدة ضغط الرياح أن يثور الموج العالي إلى الحد الذي تستطيع القوارب المفاومة.

وتقوم الرياح بعمل آخر هو أنها تسوق الغيوم والسحب من الشمال إلى السواحل الجنوبية حيث تهطل هناك في المروج والسهوب فتخضر الأرض وتعشب؛ وهذه الرياح تدفع المباءة إلى مستنقع «أنزلي» لآحداث عملية تنظيف. أما الأنهار في «غيلان» فانها تفيض بسبب غزارة الأمطار فتحمل معها الأوحال المليئة بالجدور وبذور الأشجار في الغابات لترسب في المستنقع فتتمو وبسبب ذلك يجف المستنقع ويستحيل إلى وحل ولكنه لم يجف أبداً حتى بعد مرور آلاف السنين.

وتسوق الرياح اثلاث القوية مياه البحر المالحة لمواجهة السيول فيتمتزج مع مياه الوحل الملوثة ونعمل في القضاء على الجدور. وعندما تهدأ تلك الرياح الثلاث تهب رياح ثلاث أخرى هي «كراموا»، «كناروا» و«آفتاب بوشو» لتدفع مياه الأوحال ويعمل على اخلائها في البحر وتنظيفه.

وتساعدنا رياح «كيلوا» و«درشتوا» لتضغط على مياه الوحل من الشرق إلى الغرب ونؤثر على مزج المياه^(١).

تعويض النقص في بذور الفاكهة

لا توجد فائدة أبداً من بذور الفاكهة ما لم تزرع في التربة ويفيض عليها

مصدر الفيض بالبركة والنمو؛ فتصبح أشجاراً مثمرة حيث الثمار تنطوي على نفس البذور التي تنبت منها هذه الأشجار.

فاكهة التفاح. فهذه الفاكهة اللذيذة كانت ذات يوم جرد بذرة غافية قبل أن ندس في التربة لتنبث وتصبح شجرة تحمل فاكهة التفاح.

فالتربة التي حباها الله تبارك وتعالى بمختلف الأملاح ساعدت البذرة في النمو وتضافرت العوامل الأخرى من نور شمس ساطعة وهواء وماء لتنمو وتكبر وتهب الثمار.

إن فاكهة التفاح التي نراها تتألق في لونها ونكهتها والشهية في طعمها والغنية في مادنها الغذائية على المركبات والمواد التالية؟

المركبات الآزوتية: (بروتينات، الحوامض الأمينية، ليزين، أرجينين، هيسيتدين، ثيروزين).

المواد المعدنية: (يود، بوتاسيوم، فسفور، كالسيوم، حديد، نحاس، صوديوم، منغنيز...).

السكريات والنشوية: (دكستروز، سلولوز، نشا).

المواد البكتينية: (حامض البكتيك، بكتين، حامض البكتينيك، بروتوبكتين).

الدهنيات والحوامض: (حامض المالك، حامض السيتريك، حامض

الاجزاليك، حامض الاسكوريك، حامض اللاكتيك).

المركبات اللونية: (نتوسيانين، كلروفيل).

الفيتامينات: (A-B-C-G).

الانزيمات: (كاتالاز، اكسيداز).

الماء: ٨٤٪.

فانظر إلى آثار قدرة الله عز وجل وإلى كيفية تعويض النقص في عناصر الطبيعة.

«وَبِعِزَّتِكَ الَّتِي لَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ»

إنها عزّة الله التي لا عزّة غيرها وهي مصدر العزّة المطلق خلق كل شيء بقدرته وغمره برحمته؛ فالأشياء خاضعة في رحابه مستسلمة لأرادته، تتلقى الفيض منه وإلا لانعدم وجودها وزالت آثارها، وإذا كان الأمر كذلك فهل يقوم شيء أمام عزته أو يقف في قبال جبروته؟

وما الأشياء إلا ظله وليست إلا انعكاساً لجلاله وفيضاً من وجوده المطلق . فكيف يمكن الوقوف أمام عزته الممتدة من الأزل إلى الأبد؟! العزّة هي القدرة، وما القوى التي نشاهدها في كائنات الطبيعة إلا بصيص من قدرته المطلقة؛ فكيف لشعاع شمعة أن يقارن بنور السموات والأرض؟ الله أكبر.

«فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً»^(١).

أجل إنّ آيات القرآن الكريم تهتف أنّ الله العزّة جميعاً فهو مصدر العزّة والقوّة والمقدرة، يمنح سبحانه العزّة لمن يشاء وكيف يشاء إنّ العزّة منه سبحانه وله ولا يوجد عزّز في هذا الوجود إلاّ به تبارك شأنه فهو قوي متعال، غالب غير مغلوب.

«وَبِعَظَمَتِكَ الَّتِي مَلَأَتْ كُلَّ شَيْءٍ»

وَأَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ بِعَظَمَتِكَ الَّتِي تَغْمُرُ الوجود وما الوجود بجلاله إِلَّا تَجْسِيدَ
لِعَظَمَتِكَ. أَنْتَ اللَّهُ مَلَأْتَ الْأَشْيَاءَ بِجَلَالِكَ.

الفعل يدل على الفاعل

إِنَّ عَظَمَةَ الْفَاعِلِ إِنَّمَا تَدْرِكُ مِنْ فَعْلِهِ أَنْ مِهْنَدِسُ نَاطِحَاتِ السَّحَابِ تَكْشِفُ
عَنْ عِبْقَرِيَّةِ ذَلِكَ الْمِهْنَدِسِ وَخَبْرَتِهِ وَعِلْمِهِ.

وَمُؤَلَّفٌ مِثْلُ صَدْرِ الْمُتَأَلِّهِينَ الَّذِي أَلْفُ «الْأَسْفَارِ الْأَرْبَعَةِ» وَ «الْعَرْشِيَّةِ» وَ «الْحِكْمَةِ
الْمُتَعَالِيَةِ» وَ «أَسْرَارِ الْآيَاتِ» تَكْشِفُ عَنْ عَظَمَةِ هَذَا الْفِكْرِ الثَّاقِبِ وَالْعَقْلِ الْكَبِيرِ.

وَذَلِكَ الْعَالَمُ الَّذِي اكْتَشَفَ الطَّاقَةَ الْكَهْرِبَائِيَّةَ وَأَضَاءَ لَيْلِ الْأَرْضِ بِالصَّايِحِ
الْكُشَافَةِ تَدُلُّ عَلَى عِبْقَرِيَّةِ وَذَهْنِ مُتَوَقِّدٍ.

عَظَمَةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ هِيَ الْعَظَمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ؛ عَظَمَةُ لَا تَضَاهِيهَا عَظَمَةُ بَلْ لَا تَوْجِدُ
عَظَمَةَ حَقِيقِيَّةَ غَيْرَهَا عَظَمَةُ طَرَفَاهَا الْأَزْلُ وَالْأَبَدُ، وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَصَوَّرَ
الْأَزْلَ وَالْأَبَدَ وَاللَّانْهَائِيَّ وَالْمُطْلَقَ؟!

فَمَا السَّبِيلُ أِذْنَ لِادْرَاكِ عَظَمَةِ اللَّهِ غَيْرِ التَّأَمُّلِ فِي أَفْعَالِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ إِنْ عَظَمَةُ
اللَّهُ تَتَجَلَّى مِنْ خِلَالِ عَظَمَةِ خَلْقِهِ وَابْدَاعِهِ.

عوالم عديدة

في كتابه الفريد «الاسلام والهيئة» يروي العالم المصلح السيد هبة الدين الشهرستاني عن كتب «الخصال» للصدوق و«بحار الأنوار» للمجلسي و«الأنوار النعمانية» و«شرح الصحيفة» و«تفسير نور الثقلين» بأسناد قوي عن الامام الصادق عليه السلام قال:

إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ عَالَمٍ كُلُّ عَالَمٍ مِنْهُمْ أَكْبَرُ مِنْ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ وَسَبْعِ أَرْضِينَ مَا يَرَى عَالَمٌ مِنْهُمْ أَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَالَمًا غَيْرَهُمْ^(١).

يقول علماء الفلك اليوم إنَّ عالم الوجود يتألف من آلاف العوالم ولكل عالم سماؤه وكواكبه التي تفوق سماءنا وكواكبنا. ان استخدام العدد في القرآن الكريم ليس لبيان حسابي وإنما لبيان الوفرة والكثرة، ولذا ينبغي ألا تتصور أن عدد العوالم يبلغ اثني عشر ألف عالم. ان عدد العوالم هو أكثر ممَّا نتصوره.

القناديل المعلقة

جاء في «شرح الصحيفة السجادية» للسيد نعمة الله الجزائري عن رسول الله ﷺ والأئمة الطاهرين من أهل بيته عليه السلام أن الله عز وجل خلق مئة ألف قنديل كلُّها معلقة بالعرش وان السماوات والأرض في قنديل واحد منها وحتى الجنة والجحيم؛ ولا يعلم إلا الله ما في سائر القناديل الأخرى!! ويورد العلامة الشهرستاني في شرحه بعض أوجه الشبه بين هذه الرواية

١ - الخصال: ٦٣٩/٢، من روى أن لله عز وجل ١٠٠ حديث ١٤؛ بحار الأنوار: ٣٢٠/٥٤، باب ٢، حديث ٢.

وحقائق المنظومة الشمسية :

الوجه الأول : ان القنديل يشتمل على جسم لطيف ينبعث من قلبه وأطرافه نور ونار وما الشمس إلا كرة من الغاز الملتهب تنبعث منها الأنوار والسنة النار وتسطع بالضوء على سائر الكواكب التي تدور حولها في مسارات ومدارات بيضوية .

الوجه الثاني : ان شكل القنديل بيضوي وكذا شكل المنظومة الشمسية .

الوجه الثالث : ان القنديل معلق في الفضاء فلا يوضع على رف أو جدار وكذا المنظومة الشمسية في قلب الفضاء معلقة هي الاخرى .

الوجه الرابع : ان الجزء الذي يسطع في القنديل لا يوجد في المركز تماماً فهو أقرب إلى جانب من الزجاجاة التي تحيط به ! وكذا المنظومة الشمسية ؛ حيث الشمس لا توجد في المركز وأنها أقرب إلى جانب من المدارات التي حولها . وهكذا نرى مدى النسبة بين هذه الرواية ومعطيات العلم الحديث وتضادها مع الفلسفة القديمة ؛ فهي تصرح بوجود آلاف المنظومات الشمسية الأخرى التي تزخر بالشموس والكواكب السيارة والأقمار ولا يعلم إلا الله ما في تلك الكواكب من ديار وعوالم ^(١) .

الشموس لا يمكن احصاؤها

مع بدء القرن العشرين وبدء الكشوفات الفلكية أصيب العالم بالذهول بعد أن أعلن علماء الفلك أن مجرتنا تشتمل على ثلاثين مليون شمس ولكن الحقيقة كانت أكبر من ذلك بكثير ؛ فمع تقدم المراصد أعلن عن رقم كبير وهو عشرة آلاف

ملايين شمس أو نجم اننا نرى المجرة صغيرة بالعين المجردة بل ان سحب الشتاء وغيوم الربيع تحجبها عن أبصارنا ونواظرننا، ولكن المشهد السماوي بصيب الانسان بالذهول التام إذا ما أطل عليه من خلال مرصد فلكي كالذي يوجد على جبل «ولسون» أو على جبل «باليمار» حيث يبلغ قطر المرآة فيهما خمسة أمتار. ان الشمس المتناثرة في مجرتنا لا يمكن احصاؤها بشكل دقيق ولم يستطع عالم فلكي أن يقدم احصاء دقيقاً بعددها وما يقوله علماء الفلك مجرد تخمينات فقط.

ان منهج العلماء في ذلك هو انتخاب مساحة محدودة واحصاء النجوم فيها ثم تخمين العدد الكلي الذي تشتمل عليه المجرة.

وربما يجتاز الرقم الحقيقي الرقم التخميني الكثير، لأن التركم النجمي من الكثافة بحيث تحجب النجوم ما وراءها تماماً؛ يكفي ان تتصور وجود شمس تفوق في حجمها شمسنا عشرة ملايين مرة!!

وقد ذكرنا فيما مضى كيف ان المسافة التي تفصل بين مجرة وأخرى تبلغ مليوني سنة ضوئية (النسبة الضوئية هي مقدار المسافة التي يقطعها الضوء بسرعة الهائلة، ٣٠٠,٠٠٠ كم في الثانية في سنة كاملة!!).

ان أقوى المراصد في الوقت الحاضر هو مرصد «باليمار» في امريكا حيث بإمكانه رصد طيف المجرات الواقعة على بعد ألف سنة ضوئية ومع ذلك فالعلماء يلمحون بصيص أضواء قادمة أبعد من تلك المسافات المذهلة!!

ان وزن شمسنا يبلغ بليون طن ومجرتنا التي تعدّ مجرة صغيرة بالمقارنة مع المجرات الاخرى يبلغ وزنها حدود ١٦٥,٠٠٠ مليون مرة وزن الشمس!!

ومع هذا فان الفضاء الخارجي يعدّ خالياً تقريباً. ان أقرب نجم إلى الأرض

يبعد عنا بسماقة أربعين مليون مليون كيلومتر^(١).

ان هذه الزاوية من العالم المترامي هي ما استطاعت المراصد الفلكية المحدودة بامكاناتها وقدراتها ان ترصدها لنا.
ان عظمة الوجود لا يمكن تصورها ولهذا لا يمكن أن نتصور أبداً عظمة الخالق العظيم.

ان هذا الكون الفسيح هو كتاب الله العظيم الذي ينبغي أن نقرأ فيه الآيات العظيمة لكي تنطلق من أعماقنا هذه الصرخة المدوية: «الله أكبر من أن يوصف»^(٢).

إن أقوى الواصفين هم عاجزون وأبلغ اللغات خرساء وان الفكر الحاد والخيالي الوثاب والأوهام المحلقة الطائرة تنتهافت أمام تصوير عظمة الله عز وجل.

أجل يجب علينا أن نردد وراء سيدنا محمد ﷺ سيد الكائنات وهو يقول:

«ما عرفناك حق معرفتك»^(٣).

١ - المصدر نفسه : ٤٤٩.

٢ - الكافي . ١١٨/١ ، باب معاني الأسماء حديث ٩.

٣ - عوالي اللآلي : ١٣٢/٤ ، حديث ٢٢٧ ؛ حار الأنوار : ٢٣/٦٨ ، باب ٦١ ، حديث ١

« وَبِسُلْطَانِكَ الَّذِي عَلَا كُلَّ شَيْءٍ »

هذه المملكة الواسعة وهذا السلطان العريض ، الذي يطال كل جزء من هذه المملكة اللهم إني أسألك به .

تلك هي مملكة الوجود الفسيح التي لا نعرف عنها إلا قليلاً ولكننا ندرك مدى عظمتها واتساعها المذهل ، وندرك سلطان الله القاهر حيث كل الأشياء منقادة إليه سبحانه .

وفي هذه المملكة الواسعة نرى قوى الطبيعة هنا وهناك ؛ انها فيض من القدرة المطلقة منحها سبحانه وهو قادر على سلبها متى يشاء .

وعلى الحاكمين أن يدركوا ان سلطانهم شعاع من سلطانه وحكومتهم جزء من حاكميته وممالكهم من مملكته وانهم مأمورون بالعدل والاحسان ومن لم يفعل ذلك فاولئك من الظالمين وان ربك للظالمين لبالمرصاد .

وتلك آيات القرآن تنبؤنا بمصير الطغاة وهذه تجارب التاريخ تشرح لنا المصير الذي لقوه وكيف انتقم الله عز وجل منهم فأصبحوا عبرة لمن يعتبر .

فكم من طاغية جبار اذاق شعبه سوء الهوان حتى إذ أمعن في طغيانه أخذه الله أخذ عزيز مقتدر فما هي إلا سويحات وإذا بهذا الطاغية يمرغ وجهه في وحل

الذلة والهوان تطارده إلى الأبد لعنات اللاعنين^(١).

وهكذا أخذ الله سبحانه للظالم؛ يمهله ولا يمهله؛ فاذا حان حينه أخذه عز وجل وقذفه في نار جهنم وبئس المصير.

وفي مطلع تاريخ البشرية ماذا فعل الله بالجبابرة الطغاة الذين أعرضوا عن دعوة سيدنا نوح عليه السلام وسخروا منه وقد ظل يدعوهم عدة قرون حتى إذا أراد الله أن ينتقم منهم تفجرت الأرض مياه غاضبة وانهمرت السماء أمطاراً عاصفة فالتقت المياه على أمر قد قدر.

وألّم تر كيف فعل ربك بجيش ابرهة وفيله وقد جاء لتدمير بيت الله الحرام فدمّروهم وأصبحوا كالعصف المأكول؛ وما فعل ربك بقوم عاد إذ عصفت بهم الرياح القارسة لتحيلهم إلى اعجاز نخل خاوية.

وألّم تر كيف فعل ربك بفرعون وقد طغا وتجبر؛ حتى قال أنا ربكم الأعلى فأخذه الله وقذفه في البحر الأحمر وأصبح عبرة للأجيال وها هي جثته اليوم وموميأؤه في أحد المتاحف في مصر هامة بعد حراك وساكنة بعد تجبر وتكبر وطغيان.

١ - وأنا أسجل هذه لسطور شهد لعالم بأسره وعبر الرسائل المروثة سقوط أكر طغية في لعمام سام شمع سوء العذاب في الربع الأخير من القرن العشرين، وصادف يوم سقوطه ذكرى استشهاد المشكر سيد محمد باقر الصدر الذي قتله الطاعية صدام بنفسه في ٩ أبريل ١٩٨٠ وكان سقوط الطاعية في ٩ أبريل ٢٠٠٣ وصدق الله وعده! إننا من المجرمين منتقمون (المترجم).

« وَبَوَّجْهِكَ الْبَاقِيَ بَعْدَ فَنَاءِ كُلِّ شَيْءٍ »

أجل لا شيء يبقى الكل إلى زوال ويبقى وجه ربك ذو الجلال؛ إن ذاته هي عين الوجود، ووجوده أزلي سرمدي؛ فهو الدائم الباقي ولا شيء معه، وهو الذي خلق الأشياء بإرادته خلقها وهو غني عنها، ثم ستزول الأشياء وتفنى ويبقى هو عزوجل .

لا شيء في الوجود يملك استقلالاً ذاتياً أن حياة كل شيء رشحة من الحياة المطلقة ونفخة الله عزوجل .

واذن فكل الأشياء تنطوي على القابلية للفناء، والفناء من صفات النقص، والبقاء من صفات الكمال .

والكمال المطلق له البقاء المطلق، أما الفناء فمكتوب على جبين الكائنات يوم خلق السماوات والأرض .

«وَبِأَسْمَائِكَ الَّتِي مَلَأْتَ أَرْكَانَ كُلِّ شَيْءٍ»

تباركت أسماؤك يا رب؛ انها تملأ أركان الوجود.
الأسماء في هذا الكلام الملكوتي والأفق العرشي ليست أسماء لفظية تتألف من الحروف، بل ان المراد منها الحقائق والمصاديق التي تدلّ عليها الأسماء.
الرحمة الحقيقية، اللطف الحقيقي، العلم الذاتي، العدل العيني، القدرة الفعلية
انها تملأ كل شيء بعبارة أخرى، إنّ كلّ شيء هو تجلّ للخالقية والبارئية
والمصوِّرية والعلم والعدل والحكمة والرحمة والرأفة الحقيقية للحق تبارك
وتعالى.

يقول الامام المعصوم في دعاء يعرف بالسمات:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ الْأَعَزِّ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ
عَلَى مَغَالِقِ أَبْوَابِ السَّمَاءِ لِفَتْحِ بِالرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى مَضَابِقِ
أَبْوَابِ الْأَرْضِ لِفَرْجِ انْفَرَجَتْ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى الْعُسْرِ لِلْيُسْرِ تَيْسَّرَتْ، وَإِذَا
دُعِيَ بِهِ عَلَى الْأَمْوَاتِ لِلنُّشُورِ انْتَشَرَتْ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ عَلَى كَشْفِ الْبَاسَاءِ
وَالضَّرَاءِ انْكَشَفَتْ»^(١).

علينا أن ندرك من خلال هذا الدعاء ان مفردة القدرة التي تتألف من:

١ - مفاتيح الجنان، دعاء السمات، وهو دعاء يروي عن الامام الباقر والامام الصادق (عليهما السلام).

«لقاف»، «الدال»، «الراء»، و«الناء» هي حقيقة القدرة وعينها.

ان الأسماء الني ملأت أركان كل شيء إنما هي الحقائق الموجودة التي عبر عنها القرآن الكريم بالأسماء.

ومن مظاهر حقائق الأسماء هي الأئمة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام لما اتصفوا به من الصفات الكريمة واختصوا به من الخصائص النبيلة فأضحوا بذلك انعكاساً للفيض الالهي الذي يغمر البشرية؛ فهم رموز الرحمة والهداية واللف والكرام والغفران؛ ومن هنا وجب على المؤمنين موالاةهم.

يروى الحكيم الكبير الفيض الكاشاني في تفسيره القيم «الصافي» عن الامام الصادق عليه السلام قوله:

تَحْنُ وَاللَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ عَمَلًا إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا.

واذن فان الالتفات إلى اللفظ فقط لا يوصل الانسان إلى شيء ولا تتجلى له الحقيقة فيه.

يجب مغادرة دنيا الألفاظ والولوج إلى عالم الحقيقة حيث تتألق على صفحة الوجود الأسماء في حقيقتها وعينها:

وَبِاسْمِ الَّذِي خَلَقْتَ بِهِ الْعَرْشَ، وَبِاسْمِ الَّذِي خَلَقْتَ بِهِ الْكُرْسِيُّ، وَبِاسْمِ الَّذِي خَلَقْتَ بِهِ الرُّوحَ.

« وَبِعِلْمِكَ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ »

علمك يا الهي ينفذ في كل شيء ويحيط بجميع الأشياء. الله عز وجل هو خالق كل شيء وفاطر جميع الأشياء نفذ علمه إلى مكنونها وأحاط بأسرارها والغازها فهو يعلم عدد الذرات وجميع الكائنات ويعلم مستقر ملايين ملاسن البذور ويعلم عدد قطرات المطر وأوراق الشجر ونجوم السموات ويعلم ذرات الرمال ويعلم عدد انفاس الخلائق، لا يغيب عنه شيء حتى من الأسرار التي في الصدور ويعلم ماضي وحاضر ومستقبل الوجود بأسره.

﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ... ﴾^(١).

﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ رَاقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾^(٢).

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾^(٣).

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ

وَمَا يَخْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾^(٤).

١ - سورة آل عمران: ٢٩.

٢ - سورة الانعام: ٥٩.

٣ - سورة النحل: ١٩.

٤ - سورة سبأ: ٢.

هذا الوجود الذي يزخر بتفاصيل الأشياء وأسرار الكائنات انظر في ليلة صيف سماؤها صافية. انظر إلى السماء المرصعة بملايين النجوم واصغ إلى أصوات آلاف الحشرات والهوام واستنشق نسائم الهواء لتدرك عظمة هذا الوجود الزاخر بالأسرار. أسرار وأسرار لا يحيط بها علماً إلا الواحد القهار^(١).

١ - سبحانه اللهم وحدنيك .

سبحانك اللهم وتعاليت .

سبحانك من عظيم ما أعظمك .

سبحانك سبحت في الأعلى وتسمع وترى ما تحت لثرى .

سبحانك ترى ما في قعر الماء .

سبحانك تسمع أنفاس الحيتان في قعر البحار .

سبحانك تعلم وزن السماوات .

سبحانك تعلم وزن الأرضين .

سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر .

سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور .

سبحانك تعلم وزن الفي والهواء .

سبحانك تعلم وزن الريح كم هي من مثقال ذرة .

«الصحيفة السجادية» .

« وَيَنْوِّرُ وَجْهَكَ الَّذِي أَضَاءَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ »

اللهم وأسألك بنور ذاتك الذي أشرقت له الأشياء . كل الأشياء .

معنى النور

لقد عبر القرآن عن الكمال والقيم الرفيعة بالنور، والمراد من النور الهداية^(١).
والنور هو التوفيق الذي يتلقاه الانسان في المسير نحو الايمان^(٢).
وهو الاسلام حيث الاسلام معرفة النور، والنور هو العلم حيث يعني
استضاءة القلب، والقرآن نور:

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾^(٣).

والنور هي الأحكام الالهية والقيم الاخلاقية والحقائق الاعتقادية التي
تضيء للانسان طريقه إلى الله تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾^(٤).

١ - الميزان : ٤٨٧/١ .

٢ - تفسير أبي الفتوح : ٣٣١/١ .

٣ - سورة المائدة : ١٥ . كشف الأسرار : ٧٠٣/١ .

٤ - سورة المائدة : ٤٤ .

ومن هنا يمكن أن ندرك أن المراد من النور هو ذات الكمال والصفات والأسماء الحسنی للحق تعالى شأنه، التي فاضت على تفاصيل هذا الوجود كل حسب طاقته وقابليته وسعته وهذا ما يؤهله إلى الحياة في نور الوجود بعيداً عن الظلمات

فالإنسان المؤهل هو من ينتقل من ظلمات العدم إلى نور الوجود، ومن ظلمات النقص إلى نور الكمال، ومن ظلمات الجهل إلى نور المعرفة، ومن ظلمات الظلم إلى نور العدالة ومن ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ومن ظلمات الضلال إلى نور الهداية ومن ظلمات المادة الكثيفة إلى شفافية النور؛ وحينئذ يسطع فجر الاسماء وتشرق صفات الحق، التي هي النور المحض والسطوع النقي الشفاف.

ومن خلال ما ورد في الآيات الكريمة ومعارف أهل البيت عليهم السلام يمكن القول أن نور وجه الله عز وجل هي الحقائق الإلهية والكمال وهذا ما نجده في دعاء الحوشن الكبير.

وأما مفردة النور فلأنها تشتمل على جميع الصفات العليا والأسماء الحسنی وهي عين ذاته تبارك وتعالى وصفاته عز وجل هي عين ذاته.

ولعل استخدام مفردة النور للهداية في المعارف الإلهية وفي الأدعية الكريمة، فلعلها تعني:

يا الهي أسألك بهداك يا دليل الكائنات.

وعلى كل حال أن كلمة «نور» تحمل جميع المعاني السماوية والمفاهيم الملكوتية التي تشرق على القلب فتضيء دنياه وينكشف له الطريق.

« يَا نُورَ يَا قُدُّوسَ يَا أَوَّلَ الْأَوَّلِينَ وَيَا آخِرَ الْآخِرِينَ »

يا الله يا أيها النور الذي يملأ انحاء الوجود أنت الاول بلا بدايه والآخر بلا
نهاية.

ويا مصدر الكمال يا من لا يحتاج إلى دليل يدلّ عليه.

أيها الظهور المحض، أيها النور الذي يغمر عرفات.

الهي هامت بحبك القلوب العاشقة وطافت بنورك الأرواح المتيمة.

اصغ إلى كلمات سيدنا الحسين على جبل الرحمة في عرفات :

أَيَكُونُ بَعْدَكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهَرُ لَكَ؟ مَتَى غَبِثَ حَتَّى
تَخْتِاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ، وَمَتَى بَعُدْتَ حَتَّى تَكُونَ الْآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ
إِلَيْكَ؟^(١)

يا الهي وخائقي ! ان قلبي يتفتح للتلقي النور الذي يغمر القلوب بالهداية
والرحمة.

ها أنا قادم إليك . ها أنا أرى تألق جمالك وبهاء جلالك والأنوار التي ملأت
بها خلقك .

اللهم خذ بيدي ولا تكلني إلى نفسي . أنت دليلي والسراج الذي يضيء

طريقي .

أيها المنزه من كل عيب والعالم بكل غيب .

أيها الكمال الذي تجلّى والنور يملأ أركان الوجود يا نور يا قدوس يا أول

الأولين ويا آخر الآخرين .

أيها الموجود منذ الأزل والموجود إلى الأبد . أنت الأزلي السرمدي والباقي

بعد فناء كل حيّ .

أنت الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء . يا رب !

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَهْتِكُ الْعِصَمَ»

الذنوب لعنات تطارد الانسان وتعذبه. يا الهي اغفرها لي وخلصني من لعناتها.

الذنوب

ان مسير الانسان مجموعة تجاربه وأفعاله وأعمال هو أقواله ومواقفه وأخلاقه.

وكل ما يعد انتهاكا للشرائع الالهية والفطرة الانسانية هو اثم وعصيان وتمرد على ناموس السماء.

ان بعض المعاصي والذنوب ما يعد ارتكابها انتهاكاً خطيراً يؤذن بحرب من الله عزوجل: ﴿فَأَذْتُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾^(١).

وهناك من الذنوب ما يستحيل إلى نار مستعمرة تحرق الانسان وتحيل مصيره إلى شقاء دائم لا يزول.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ

تأراً^(١).

وما أعجب بعضهم يأكل في مائدة الوجود ويتلذذ بألوانها وأشكالها ثم يعبث في الأرض ناشراً فيها الخراب والدماء أليس هذا عدواناً على ناموس العدل والانصاف؟!

حكاية من التاريخ

الذين قرأوا تاريخ العباسيين لابد وأن يعرفوا يعقوب بن الليث بن الصفار الذي كان يحكم أجزاء واسعة من أقاليم إيران يومئذ. والذين قرأوا تاريخ الثورات في تلك الفترة سمعوا بثورة الصفاريين.

وكان يعقوب أحد أولئك الذين تألق اسمهم في الثورة على الظلم الذي نشره العباسيون في ربوع البلاد الإسلامية.

كان في بداية شبابه صفاراً التف حوله شباب في مثل سنّه لشهامته وسخائه، ولأسباب ترك عمله واندفع في دروب الثورة، فكان أول عمل قام به هو التفكير في الاستيلاء على خزانة حاكم إقليم سيستان.

ونظراً للحراسة المشددة والأبواب المنيعة فقد قاده التفكير في النهاية إلى حفر نفق تحت الأرض من مكان مناسب والوصول إلى مكان لخزانة.

واستمر العمل في حفر النفق مدة ستة شهور وفي منتصف ذات ليلة نقب المكان ووصل يعقوب مع رجاله إلى الخزانة وكانت عبارة عن غرفة كبيرة مليئة بالذهب والفضة والمجوهرات الثمينة، إضافة إلى آلاف الدنانير والدراهم وتم جمع الأموال في أكياس لنقلها عبر النفق إلى خارج المدينة.

وفي غمرة الظلام وقعت عينا يعقوب على شيء يتألق في إحدى الزوايا، فأخذه وأراد أن يعرف طبيعته فجسّه بلسانه وفمه فاذا هو فص ملح وهي عادة ما يعثر عليها في الممالح وهو فص شفاف جداً كالبلور، واسقط في يده لقد ذاق ملح الأمير.

وهنا أمر انصاره بترك الأموال ومغادرة الخزانة فوراً.

وكان رجاله يطيعونه طاعة مطلقة لكنهم سألوا عندما خرجوا من النفق عن سرّ ذلك، سبما وانهم استغرقوا في عمل مضني مدة شهور طويلة!!

وفي اليوم التالي فوجئ الحرس بالنفق وسلامة الأموال وكلّها ووصل خبر الحادثة العجيبة إلى الأمير الذي أمر باذاعة اعلان مفاده أن يعرف الفاعل نفسه لدى الأمير لمكافأته على شهامته ورجولته وانصافه.

وقد سرّ أمير سيستان بوجود هذا الشاب الشجاع ونصبه قائداً لجيشه ومنذ ذلك الوقت تألق نجمه في سماء التاريخ بعد أن نار على الحكم العباسي الغاشم. ان الذنب قذارة معنوية تلوث الروح وتملاً صدر الانسان قيحاً وتستحيل الذنوب إلى ادران تحجب القلب عن تلقي النور. النور القادم من الله عز وجل مصدر النور.

الذنوب تمزق الاستار التي تحفظ الانسان من السقوط في هاوية الجحيم. الذنوب هي التي تمزق الستر الذي يستر الانسان من الفضائح يوم تنكشف الأسرار والآثام هي التي تحرم الانسان من لذائذ العبودية لله عز وجل حيث تكمن فيها الحرية الحقيقية.

وهي التي تبعد الانسان عن فيوض الرحمة والمغفرة. والذنوب قسمان كما نفهم ذلك من مفاد الآيات الكريمة وما ورد في الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.

فهناك صغائر وكبائر^(١).

وعلى الانسان أن يجتنب الكبائر من الذنوب لأنها ذنوب غاية في الخطورة وتهدد حياة الانسان ومصيره، لأنها ذنوب لا تشملها المغفرة الالهية:

﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمٍ ﴾^(٢).

وفي الكتاب القيم «عيون أخبار الرضا» ان الكبائر كما يلي:

- ١ - قتل النفس التي حرم الله . ٢ - الزنا . ٣ - السرقة . ٤ - شرب المسكرات . ٥ - عقوق الوالدين . ٦ - الفرار من الزحف . ٧ - أكل أموال اليتامى . ٨ - أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أحل لغير الله به . ٩ - الربا . ١٠ - أكل لمال الحرام . ١١ - المقامرة . ١٢ - النطيف في الكيل والميزان . ١٣ - البهتان . ١٤ - اللواط . ١٥ - اليأس من رحمة الله . ١٦ - عدم الخشية من عذاب الله . ١٧ - معاونة الظالمين . ١٨ - الرضا بعمل الظالمين . ١٩ - القسم زوراً وكذباً . ٢٠ - احتباس حقوق الناس دون عذر وهو ضيق ذات اليد . ٢١ - الكذب . ٢٢ - الكبر . ٢٣ - الاسراف . ٢٤ - التبذير . ٢٥ - الخيانة . ٢٦ - الاستخفاف بالحج . ٢٧ - الحرب على أولياء الله . ٢٨ - الاستغراق في الملاهي . ٢٩ - الاصرار على المعاصي^(٣).

آثار الذنوب

ارتكاب الذنوب له من النتائج والآثار الخطيرة ما يهدد مستقبل الانسان

١ - الكافي . ٢/٢٧٦ . باب الكبائر . حديث ١ .

٢ - سورة النساء : ٣١ .

٣ - عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢/١٢٥ . باب ٣٥ (ما كتبه الرضا للمؤمنين) . حديث ١ .

وحياته في الدنيا والآخرة. فالذنوب تمحق الأعمال الصالحة.
والذنوب نارٌ مجنونة تحرق الأعمال الخضراء الصالحة وتحيلها إلى رماد
تذروه الرياح.
الذنوب تحجب استجابة الدعاء، وتحرم المرء من شفاعة الشافعين يوم
القيامة.

الذنوب تجعل من القلب قاسياً كالحجارة أو أشدَّ قسوة.
وهي تحجب القلب عن تلقي النور فيغرق في ظلمات بعضها فوق بعض.
انها تدمر الايمان، الذي هو شعلة متوقدة تضيء للانسان حياته وطريقه.
انها تجعله ضعيفاً خائراً وعبداً ذليلاً للشيطان.
ارتكاب الذنوب يحرم الانسان الرزق الحلال الزاخر بالبركة، الذنوب
والاستغراق في ارتكابها يخرج الانسان من عبودية الله ليصبح عاصياً وهذا ما
يجعله منقاداً للشيطان فيقوده إلى هاوية الجحيم.
الذنوب تدمر المجتمع؛ فهي تفتك بالأسرة وتجعل من الدفء العائلي صقيعاً
وزمهيراً يهددها بالموت.
ان ارتكاب الذنوب يدمر الثقة المتباددة بين أفراد المجتمع وهذا ما يجعل من
الحياة الاجتماعية جحيماً لا يطاق.
انها تमित قلب الانسان وتصعب عملية انتقال الانسان إلى العالم الآخر
وتجعل من سكرات الموت عذاباً وألماً ورهيباً وتكون رحلته في البرزخ كابوساً
مخيفاً^(١).

عن الامام الصادق عليه السلام:

١ - كافي: ٢، باب الذنوب؛ بحار الأنوار: ٧٣، باب ١٣٧، ١٣٨، ١٤٢ وح ٧٩ أبواب المعاصي والكبائر.
ميزان الحكمة: ١٨٧٩/٤، الذنب.

«أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عِرْقٍ يَضْرِبُ وَلَا نَكْبَةٍ وَلَا صُدَاعٍ وَلَا مَرَضٍ إِلَّا بِذَنْبٍ وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^(١)»^(٢).

وعنه عليه السلام أيضاً:

«إِنَّ الرَّجُلَ يُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُخَرِّمُ صَلَاةَ اللَّيْلِ وَإِنَّ الْعَمَلَ السَّيِّئَ أَسْرَعَ فِي صَاحِبِهِ مِنَ السَّكِينِ فِي اللَّحْمِ»^(٣).

وعن الامام الرضا عليه السلام قال:

«أَوْحَى اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَى نَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ: إِذَا أُطِغْتُ رَضِيتُ، وَإِذَا رَضِيتُ بَارَكْتُ، وَلَيْسَ لِبَرَكَتِي نِهَائَةٌ، وَإِذَا غَضِيتُ غَضِيتُ وَإِذَا غَضِيتُ لَعَنْتُ، وَلَعَنْتِي تَبْلُغُ السَّابِعَ مِنَ الْوَرَى»^(٤).

وقد أثبت التجارب ذلك فقد يتعرض الأبناء والأحفاد للبلاد من مرض وعجز وضيق في الرزق، بسبب ما ارتكبه الآباء والأجداد وتلك حكمة الله ورحمته حتى ينتبهوا إلى أنفسهم فلا يطفوا.

وحول الإصرار على الذنب والاستغراق في المعاصي روى عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

«ما من عبد إلا وعليه جنة حتى يعمل أربعين كبيرة، فإذا عمل أربعين كبيرة

١ - سورة الشورى: ٣٠.

٢ - الكافي: ٢/٢٦٩، باب الذنوب، حديث ٣.

٣ - الكافي: ٢/٢٧٢، باب الذنوب، حديث ١٦.

٤ - الكافي: ٢/٢٧٥، باب الذنوب، حديث ٢٦.

انكشفت عن الجنة فيوحي الله إليهم أن استروا عبيدي بأجنتكم، فتستره الملائكة بأجنتها، قال فما يدع شيئاً من القبيح إلا قارفه حتى يمتدح إلى الناس بفعله لقبيح، فيقول الملائكة: يا رب هذا عبدك ما يدع شيئاً إلا ركبه وإنا لنستحي مما يصنع، فيوحي الله عز وجل إليهم أن ارفعوا أجنتكم عنه فإذا فعل ذلك أخذ في بغضنا أهل البيت فعند ذلك ينهتك ستره في السماء وستره في الأرض، فيقول الملائكة: يا رب هذا عبدك قد بقي مهتوك الستر فيوحي الله عز وجل إليهم لو كانت لله فيه حاجة ما أمركم أن ترفعوا أجنتكم عنه»^(١).

إن الإنسان الصالح التقي الذي يذكر الله ويخشى لحساب يوم المعاد وينفر من المعاصي في السر والعلن هو الإنسان الحي والإنسان العاصي المستغرق في المعاصي، لأنه غافل عن يوم القيامة ومن عواقب ذنوبه يوم الحساب وهذا ما صرحت به الروايات الواردة عن أئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام.

الحجاب

المحدث الكبير الشيخ الصدوق في كتابه «معاني الأخبار»^(٢) بروي أحاديث كثيرة حول الذنوب وأثرها في تكوين الحجب ومن الذنوب التي تصنع الحجب هي: ١ - شرب الخمر. ٢ - لعب القمار. ٣ - اللهو والتهريج. ٤ - تسفط عيوب الناس وفضحها. ٥ - مجالسة أهل المعاصي.

شرب الخمر

يعتبر الامام موسى بن جعفر ونجله وحفيده عليهم السلام شرب الخمر من الكبائر.

١ - الكافي: ٢/٢٧٩، باب الكبائر، حديث ٩.

٢ - معاني الأخبار ٢٦٩.

وقد أثبت العلم الحديث الآثار الضارة المدمرة من جرّاء شرب الخمر
والمسكرات حيث يصاب المخ باضرار فادحة والمعدة والكبد والقلب والكلية
والجهاز التنفسي والدورة الدموية وقد يصبح علاج بعضها في غاية الصعوبة .
ان شيطان هذه القناني شيطان خطير وعدو ضار وكائن قذر ونجس .
وقد عدّه القرآن الكريم من عمل الشيطان وان ضرّه لأكثر من نفعه ومن أجل
هذا حرّم القرآن الكريم وحذّر من شرب الخمر وان شارب الخمر سيطاله العذاب
الشديد يوم القيامة إذا لم يتدارك ذلك بالتوبة .
عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال :

«يأتي شارب الخمر يوم القيامة مسوداً وجهه مدلجاً لسانه، يسيل لعابه على
صدره؛ وحق على الله أن يسقيه من بئر خبال، قيل وما بئر خبال؟ قال: بئر يسيل
فيها صديد الزناة»^(١).

وعن الامام الصادق عليه السلام :

«شارب الخمر كعابد الوثن»^(٢).

وجاء عن الامام الباقر عليه السلام :

«ان شارب الخمر يحشر كافراً»^(٣) وأنه رأس المعاصي»^(٤).

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله في أن شرب الخمر أسوأ من السرقة والزنا
فقال: ان الزاني قد لا يرتكب ذنباً آخر ولكن شارب الخمر إذا سكر يزني ويقتل

١ - وسائل الشيعة: ج ٢٥، باب ٩ حديث ٣١٩٤٧.

٢ - وسائل الشيعة: ج ٢٥، باب ١٢ حديث ٣٢٠٠٣.

٣ - وسائل الشيعة: ج ٢٥، باب ١٢: حديث ٣٢٠٠٩.

٤ - وسائل الشيعة: ج ٢٥، باب ١٢: حديث ٣١٩٩٢.

النفس ويترك الصلاة^(١).

عن أبي عبد الله الصادق عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله ﷺ قال :

«من شرب الخمر بعد ما حرّمها الله على لساني فليس بأهل أن يزوّج إذا خطب، ولا يشفع إذا شفع، ولا يصدق إذا حدث، ولا يؤتمن على أمانة، فمن اتّمنه بعد علمه فليس الذي اتّمنه على الله ضمان، وليس له أجر ولا خلف»^(٢).

القمار

ومن كبائر الذنوب والمعاصي القمار.

﴿ يَسْتَلْوَتَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾^(٣).

ان صنع آلات وأدوات القمار وأخذ أجره ذلك وشراءها وبيعها حرام. وقد اتفق كبار فقهاء الشيعة على الافتاء بحرمة لعب القمار حتى بدون أن يكون خاسر ورابح.

ولذا فان الاحتفاظ بهذه الوسائل حرام واتلافها لازم. وكذا فان حضور مجالس المقاهرة والتفرج على المتفامرين حرام وترك مثل هذه المجالس واجب شرعي أكيد.

اللهو والتهريج

ان اتلاف العمر وهو رأس مال الانسان باللهو والتهريج، بعيداً عن استثمار

١ - الكافي : ٤٠٣/١ ، باب أن الخمر رأس كل اثم وشر ، حديث ٨.

٢ - وسائل الشيعة : ٣١٠/٢٥ ، باب ١٢ ، حديث ٣١٩٨٠.

٣ - سورة البقرة : ٢١٩.

الطاقات الانسانية في العمل المثمر والانتاج ، هو من الانشطة العابثة التي لا طائل من ورائها .

ان تضييع العمر في العبث واللهو والتنهريج يعد من موارد كفران النعم .
فالعمر من أكبر النعم الالهية والشكر على هذه النعمة واجب على الانسان ؛
ولهذا لا ينبغي للانسان أن يضيع لحظة واحدة من عمره وأن يجعل كل وقته في
عبادة الله وذكره والعمل بأوامره ، من طلب العلم وخدمة الناس .

يروى المحدث القمي في كتابه « منازل الآخرة » عن رجل يدعى ابن صمد
وكان يحاسب نفسه كثيراً ، وذات يوم عدّ أيام عمره وقد مضى عليه ستون سنة فعُدّ
أيامها ؛ فكانت واحداً وعشرين ألف وتسعمائة يوم ، فصاح الويل لي لو أني
أذنبت في كل يوم ذنباً فألقى الله بواحد وعشرين ألف وتسعمائة ذنب صاح ذلك
وهوى مغشياً على الأرض ؛ فحرّك فاذا هو قد فارق الحياة .

تسقط عيوب الناس

ان حفظ كرامة المسلم والمؤمن ممّا أكدت عليه الشريعة الاسلامية فقد جاء
في الآثر :

«عَرَضَ الْمُؤْمِنُ كَدَمِهِ» .

إنّ فضح عيوب الناس يدمّر الثقة المتبادلة بين أفراد المجتمع الواحد ويعرّض
الحياة الأسرية والاجتماعية إلى لانهيار .

الأنبياء والأئمة والأولياء هو وحدهم المبرأون من العيوب ؛ أما غير أولئك
فلهم عيوبهم وقد ستروها عن أنظار الآخرين . صحيح انه يوجد من الناس من لا
يتحرّج من عيبه بل أنهم لا يخجلون ويعلنون ذلك أمام الملأ دون أي شعور

بالخجل أو الحياء.

ولكن أكثر الناس ممن تهمة كرامته يحرص على حفظ ماء وجهه ويسعى في التستر على عيوبه.

ولذا فإن من يتسقط عيوب الناس سواء كانت عيوب بدنية أو أخلاقية ويريد فضحها أمام الناس؛ فإنه يوجه طعنة نجلاء إلى كرامة الانسان وينتهك حقاً أكيداً من حقوقه الذاتية؛ وهو بذلك يستحق عذاب الله وغضبه.

عن الامام الباقر عليه السلام قال:

«أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى الْكُفْرِ أَنْ يُوَاجِىَ الرَّجُلَ عَلَى الَّذِينَ فَيُخْصِي عَلَيْهِ عَوْرَاتِهِ وَزَلَّاتِهِ لِيُعَنِّقَهُ بِهَا يَوْمَ مَا»^(١).

وعن الامام الصادق عليه السلام قال:

«يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُخْلِصِ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تَذْمُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ. وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهَ تَعَالَى عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي بَيْتِهِ»^(٢).

مجالسة أهل المعاصي

يتأثر المرء بجليسه قبل أن يتأثر بأمر آخر، حيث تبلغ فطرة تأثير الجليس حداً لا يمكن تصوره.

من أجل هذا أكدت الآيات الكريمة والروايات على حساسية انتخاب الانسان لجليسه وصديقه ووضعت معالم تعين المرء عن ذلك.

١ - الكافي، ٣٥٤/٢، باب من طلب عنرات المؤمنين، حديث ١.

٢ - الكافي، ٣٥٤/٢، باب من طلب عنرات المؤمنين، حديث ٢.

وقد أفاض علماء الاسلام في ذلك وألفت كثير من الكتب ما يجعل هذه القضية في مناوول كل الناس.

فهناك تحذيرات شديدة من مجالسة أهل الكفر والباطل وأهل الشك والفسق والفجور وإقامة علاقات مع اليهود والنصارى وحتى المتهمين بالمعصية فكل هذه النماذج هي قنوات يتسلل منها الشيطان لختريب روح المؤمن وقلبه.

عن الامام الصادق عليه السلام قال :

«لَا يَتَّبِعِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَجْلِسَ مُجْلِساً يُغْصَى اللَّهُ فِيهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى تَغْيِيرِهِ»^(١).

وعن أبي هاشم الجعفري قال : قال أبو الحسن عليه السلام : ما لي رأيتك عند عبد الرحمن بن يعقوب ؟ فقلت : انه خالي فقال : انه يقول في الله قولاً عظيماً ، يصف الله ولا يوصف ؛ فاما جلست معه وتركتنا ، وإما جلست معنا وتركته ؟ فقلت : هو يقول ما شاء ، أي شيء عليّ منه إذا لم أقل ما يقول ؟

فقال أبو الحسن عليه السلام : أما تخاف أن تنزل به نقمة فتصيبكم جميعاً ، أما علمت بالذي كان من أصحاب موسى عليه السلام وكان أبوه من أصحاب فرعون فلما لحقت خيل فرعون موسى تخلف عنه ليعط أباه فيلحقه بموسى ؛ فمضى أبوه وهو يراغمه حتى بلغا طرفاً من البحر فغرقا جميعاً ؛ فأتى موسى الخبر فقال هو في رحمة الله ولكنّ النقمة إذا نزلت لم يكن لها عمن قارب المذنب دفاع^(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال :

«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَقُومُ مَكَانَ رَيْبَةٍ»^(٣).

١ - الكافي : ٣٧٤/٢ ، باب مجالسة أهل المعاصي ، حديث ١ .

٢ - الكافي : ٣٧٤/٢ ، باب مجالسة أهل المعاصي ، حديث ٢ .

٣ - الكافي . ٣٧٤/٢ ، باب مجالسة أهل المعاصي ، حديث ١٠ .

وعن الامام الصادق عليه السلام قال :

«مَنْ قَعَدَ عِنْدَ سَبَابِ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ تَعَالَى» (١).

أجل ان التقوى العفة والورع والصدق والعبادة وخدمة الناس إنما هي مفاتيح النجاح والخلاص وأنها ستأثر تحول بين المرء وغضب الله عز وجل .
وان ارتكب الذنوب والمعاصي وتسقط عيوب الناس ومجالسة الفساق إنَّ كل هذا وغيره من الآثام ، ما يمهّد الطريق لغزو الشيطان إلى قلب المرء وروحه وهذا ما يعرض الانسان لسخط الله تبارك وتعالى لأن طاعة الله على الناس واجبة والحذر من الشيطان وعدم اتباع خطواته هو ما ينبغي على المرء العاقل أن يفعله .

١ - الكافي ٣٧٤/٢ ، باب محالسة أهل المعاصي ، حديث ١٤ .

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَنْزِلُ النِّقَمَ»

يا الهي اغفر لي الذنوب التي نفتح على أبواب الانتقام.

ذنوب تنزل العقوبة

جاء في كثير من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام ان الذنوب التي تكون سبباً في نزول النقم الالهية هي :

- ١ - لبغي . ٢ - العدوان على حقوق الناس . ٣ - السخريه من عباد الله . ٤ -
- نقض العهد . ٥ - العصيان وارتكاب الذنوب في العلن . ٦ - شيوع الكذب . ٧ -
- الحكم بغير ما أنزل الله . ٨ - الامتناع عن دفع الزكاة . ٩ - التطفيف في الكيل والميزان .

البغي

«البغي» لغة هي التمرد على الحق ، وانتهاك الحدود الالهية والعدوان على الناس ، الفساد ، المعصية ، الرجس والزنا وهناك ما يؤيد ذلك في الآيات الكريمة :

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ...﴾^(١).

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ... ﴾^(١).

﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾^(٢).

وجاء عن سيدنا محمد ﷺ قوله :

«إِنَّ أَسْرَعَ الْخَيْرِ ثَوَاباً أَلْبَرُ وَإِنَّ أَسْرَعَ الشَّرِّ عِقَاباً أَلْبَغَى»^(٣).

وعن الامام الصادق عليه السلام قال :

«سِتَّةٌ لَا تَكُونُ فِي أَمْوَالِ الْمُؤْمِنِ: الْعُسْرُ وَالنَّكَدُ وَاللَّجَاجَةُ وَالْجِدْبُ وَالْخَسَدُ وَالْبَغَى»^(٤).

العدوان على حقوق الناس

جعل الله تبارك وتعالى للناس فيما بينهم حقوقاً متبادلة وجعل أداؤها واجباً وعدّ انتهاكها عدواناً ومعصية وربما كانت سبباً في الجزاء والعقوبة.

فللوالدين على الأبناء حقوق ، وللأبناء على الوالدين حقوق وللرحم حقوق ، وللجيران ، وللشعب على الحكومة وللحكومة على الشعب ، وللرجل على زوجته وللمرأة على بعلها ، وللفقراء حقوق على الأغنياء وحقوق أخرى بيّنها القرآن الكريم.

ولكن أجمل من فصل في الحقوق تفصيلاً هو سيدنا زين العابدين علي بن

١ - سورة لشورى : ٢٧

٢ - سورة مريم : ٢٨ .

٣ - بحار الأنوار : ٢٧٣/٧٢ ، باب ٧٠ ، حديث ١ .

٤ - بحار الأنوار : ٢٦٣/٧٥ ، باب ٢٣ .

الحسين عليه السلام في رسالة الحقوق، حيث تضمنت خمسين مادة حقوقية غاية في الروعة والشمول.

السخرية من عباد الله

ان السخرية والاستهزاء بالناس سواء كان من عيب في أبدانهم أو بسبب وضعهم المعاشي والاقتصادي وبسبب تدينهم أو بسبب مزاوتهم لنوع من الأعمال أو لطبقته الاجتماعية هو اثم كبير ومعصية لله عز وجل تستوجب الجزاء والعقوبة في الدارين.

ان الاستهزاء بالآخرين هو عدوان على كرامتهم الشخصية وخط من كرامتهم الانسانية.

وقد نعت القرآن الكريم المستهزئين بالنفاق في قوله تعالى:

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾^(١).

وجاء عن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله قوله:

«مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ أَرْصَدَ لِمُخَارَبَتِي»^(٢).

وعنه عليه السلام قال:

«قَدْ نَابَذَنِي مَنْ أَذَلَّ عَبْدِي الْمُؤْمِنَ»^(٣).

أجل ان السخرية من الآخرين إنما هي أهانة لهم وخط من كرامتهم وهذا ما

١ - سورة البقرة: ١٤.

٢ - الكافي: ٣٥١/٢، باب من آذى المسلمين، حديث ٢ و ٦.

٣ - الكافي: ٣٥١/٢، باب من آذى المسلمين، حديث ٢ و ٦.

حذّر منه القرآن الكريم في كثير من آياته البينات (١).

نقض العهد

العهد والوفاء به حقيقتان اخلاقيتان وانسانيتان وقد أكد القرآن الكريم على حساسيتهما كما ورد في روايات عن أهل البيت عليهم السلام، ما يجعل من العهد والوفاء به مسألة غاية في الاهمية وفي هذه المسألة لا يوجد ثم تفاوت بين العهد مع الله عزوجل أو مع الرسول صلى الله عليه وآله أو مع الناس عموماً، فالوفاء بالعهد عمل ايجابي، سواء على صعيد الالتزام بالعبادة أو في خدمة الناس، أو في الكسب والعمل والتجارة، وهو واجب شرعي وأخلاقي وقد يصل نقض العهد إلى مستويات خطيرة تستوجب الجزاء الالهي!

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ (٢).

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٣).

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ (٤).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (٥).

وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

١ - سورة الحجرات : ١١ .

٢ - سورة البحل : ٩١ .

٣ - سورة البقرة . ٢٧ .

٤ - سورة الاسراء : ٣٤ .

٥ - سورة المائدة : ١ .

«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: مَنْ إِذَا أَتَتْهُ خَانٌ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذِبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ»^(١).

وعن الامام الصادق عليه السلام قال :

«مَنْ عَامَلَ النَّاسَ وَلَمْ يَظْلِمْهُمْ، وَحَدَّثَهُمْ فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ، وَوَعَدَهُمْ فَلَمْ يَخْلِفْهُمْ، فَهُوَ مِنْ كَمَلَتْ مُرُوءَتُهُ وَحَرَمَتْ غَيْبَتُهُ وَظَهَرَ عَدْلُهُ وَوَجِبَتْ أَخُوَّتُهُ»^(٢).

الاعلان بالمعاصي

نهى لقرآن الكريم بشدة اقتراف لمعاصي ما ظهر منها وما بطن^(٣).
ان الاعلان والتجاهر بالمعصية يدل على عدم الحياء، ولجراة على شريعة السماء وانتهاك واضح للاخلاق وعدم احترام للقانون.
ان الاسلام يستنكر بشدة تلويث أجواء المجتمع الاسلامية الاخلاقية وقد سن القوانين والأحكام لمن ينتهك الذوق الاخلاقي في المجتمع الاسلامي.
ان على الناس المؤمنين والواعي وبخاصة المسؤولين في الحكم التصدي لظاهرة الانتهاك العلني للقوانين الاسلامية وأحكام الشريعة الالهية؛ لأن السماح لهم في المجاهرة بالعصيان هو سماح للجرائم بالفتك في جسم الأمة الاسلامية.
ومن هنا يتوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمكافحة الانحراف والقضاء على جذور الفساد ومكافحة التلوث الاخلاقي والانهطاط وحماية

١ - الكافي: ٢/٢٩٠. باب في أصول الكفر، حديث ٨.

٢ - الكافي: ٢/٢٣٩. باب المؤمن وعلاماته، حديث ٢٨.

٣ - سورة الانعام: ١٥١.

المجتمع من خطر السقوط .

ان تنمية الاخلاق الكريمة والعفة والقيم الدينية في نفس الانسان هو الذي يحول دون السقوط في الفحشاء والمنكرات .

فالحياء وذكر الله والتفكير في عواقب الذنوب والمعاصي هي في طبيعة الوسائل التي تردع الانسان وتمنعه من اقتراف المعاصي والذنوب .
يقول الامام الصادق عليه السلام :

«الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ»^(١).

وقال رجل لرسول الله ﷺ : أوصني ، فقال ﷺ :

«اسْتَخِي مِنَ اللَّهِ كَمَا تَسْتَخِي مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مِنْ قَوْمِكَ»^(٢).

حكاية امرأة مؤمنة

روى ابو حمزة الثمالي عن الامام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام قال :
«رَجُلًا رَكِبَ الْبَحْرَ بِأَهْلِهِ فَكَسَرَهُمْ فَلَمْ يَنْجُ مِمَّا كَانَ فِي السَّفِينَةِ إِلَّا امْرَأَةُ الرَّجُلِ .
فَانْهَارَتْ عَلَى لَوْحٍ مِنَ الْوَاخِ السَّفِينَةِ ، حَتَّى الْجَاءَتْ عَلَى جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ ،
وَكَانَ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ رَجُلٌ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ وَلَمْ يَدْعِ لِلَّهِ حَرَمَةً إِلَّا اِنْتَهَكَهَا ؛ فَلَمْ يَعْلَمْ
إِلَّا وَالْمَرْأَةُ قَائِمَةٌ عَلَى رَأْسِهِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا فَقَالَ : اِنْسِيهِ أَنْتِ أَمْ جَنِيَّةٌ ؟ فَقَالَتْ
اِنْسِيَّةٌ ، فَلَمْ يَكَلِّمْهَا كَلِمَةً ؛ حَتَّى جَلَسَ مِنْهَا مَجْلِسَ الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِهِ ، فَلَمَّا أَنْ هَمَّ بِهَا
اضْطَرَبَتْ ، فَقَالَ لَهَا : مَا لَكَ تَضْطَرِبِينَ ؟ فَقَالَتْ : أَفْرَقَ مِنْ هَذَا . وَأَوْمَأَتْ بِيَدِهَا إِلَى
السَّمَاءِ . قَالَ : فَصَنَعْتَ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ قَالَتْ لَا وَعِزَّتِهِ ، قَالَ : فَأَنْتِ تَفْرِقِينَ مِنْهُ هَذَا

١ - بحار الأنوار : ٣٢٩/٦٨ ، باب ٨١ ، حديث ١ .

٢ - بحار الأنوار : ٣٣٦/٦٨ ، باب ٨١ ، حديث ٢٠ .

الفرق ولم تصنعي من هذا شيئاً وإنما استكرهك استكراهاً، فأنا والله أولى بهذا الفرق والخوف وأحق منك، قال: فقام ولم يحدث شيئاً ورجع إلى أهله وليس همّة إلا التوبة والمراجعة، فبينما هو يمشي إذ صادفه رهب يمشي في الطريق؛ فحميت عليها لشمس فقال الراهب للشاب: ادع الله يظّلنا بغمامة، فقد حميت علينا الشمس، فقال الشاب: ما أعلم أن لي عند ربّي حسنة فأتجاسر على أن أسأله شيئاً، قال: فأدعو أنا وتوّمّن أنت؟ قال: نعم.

فأقبل الراهب يدعو والشاب يؤمّن؛ فما كان بأسرع من أظلتّهما غمامة، فمشى تحتها ملياً من النهار، ثم تفرّقت الجادّة جادّتين، فأخذ الشاب في واحدة وأخذ الراهب في واحدة، فاذا السحابة مع الشاب، فقال الراهب: أنت خير مني لك استجيب ولم يُستجب لي؛ فأخبرني ما قصّتك؟ فأخبره بخبر المرأة، قال: غُفر لك ما مضى حيث دخلك الخوف، فانظر كيف تكون فيما تستقبل^(١).

شيوع الكذب

حذّر القرآن الكريم الناس من الكذب وعده رسول الله ﷺ من الكبائر كما تزرخ الروايات المنقولة عن أهل البيت عليه السلام بالتحذير من الكذب. وأسوأ أنواع الكذب هو الكذب على الله ورسله وأنبيائه ورسالاته؛ لما في هذا من آثار وخيمة في انحراف وضلال لمجتمعات البشرية^(٢).

إن رؤوس الكفر والشرك والالحاد على مدار التاريخ كانوا كذابين دجالين فهم يطرحون أكاذيبهم وينمقوها ويصبوها في قوالب علمية فلسفية مزيفة لحرف

١ - الكافي ٦٩/٢ - ٧٠ باب الخوف والرجاء، حديث ٨.

٢ - يبحث في الروايات الخاصة بهذا الموضوع راجع كتاب الكافي ووسائل الشيعة والمستدرک وبحار الأنوار.

الجماهير البسيطة في تفكيرها والحوول دون ايمانها برسالات الله .
فهم بأكاذيبهم يقطعون الطريق على من يريد السير في صراط الله المستقيم .
وهم بأكاذيبهم ودجهم ونفاقهم يلبسون الأباطيل ثوب الحق .
وعلى طول التاريخ ، تاريخ لرسالات الالهية كان هؤلاء ينبرون إلى
التكذيب برسالات الله قائلين : ﴿ ما أنزل الله من شيء ﴾ ^(١) .

انهم بمثابة السحب السوداء تقف في طريق الشمس ، حتى لا تصل أشعتها إلى
الناس ؛ فيكتشفوا الطريق إلى الله انهم يريدون أن يبقى الناس في حيرة وضلال
وضياع .

ولم يكتفوا بتكذيب الرسالات الالهية بن امتدت أيديهم القذرة إلى كتب
السماء فراحوا يحرفون الكلم عن مواضعه لتصبح هذه الكتب المضیئة التي أنزلها
الله لهداية البشر ، مصادر للفتنة والشبهات وضلال المجتمعات كما فعل اليهود
بالتوراة والزبور وفعل النصارى بالانجيل .

من أجل هذا حفظ الله عز وجل كتاب السماء الأخير وهو القرآن حفظه من
كل تحريف وتلاعب ؛ فكان معجزة رسول الله ﷺ والكتاب الذي لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه .

غير ان الكذابين والدجالين لما رأوا حصانة القرآن الكريم راحوا يكذبون
على رسول الله ﷺ ؛ فظهرت في عهد بني أمية والعباسيين طبقات من علماء سوء
ورواة الحديث ؛ راحوا يضعون الأحاديث المزورة وينسبونها إلى النبي ﷺ من
أجل تمكين الظالمين من الحكم على البلاد الاسلامية ومحاصرة الأئمة الطاهرين
والتضييق عليهم .

غير أن أئمتنا عليهم السلام تصدّوا لأولئك المزورين والكذابين وسنّوا لأتباعهم مناهج دقيقة لمعرفة الصحيح من الأحاديث الشريفة ونبذ الأحاديث الموضوعة المزورة. ولولا جهود الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وأصحابهم المخلصين، لتسللت كثير من الأفكار الضالة إلى الثقافة الإسلامية وأصبحت عامل ضلال وانحراف وسقوط.

والكذابون الدجالون يتلبسون بكل لباس ويرتدون ما يناسب دورهم التخريبي في أبعاد الأمم والشعوب عن الدين والقيم الاخلاقية، فتراهم يرفعون الشعارات الخادعة لاغواء الناس ودفعهم إلى اعتناق الأفكار الخطرة من الحاد وشرك وانحراف.

وسلاحهم هو الكذب والاستفادة من الوسائل الهابطة اخلاقياً، وهم موجودون في كل زمان ومكان حتى أغرقوا الأرض بالشور والفساد. انهم يستحقون لعنة الله ولعنة التاريخ والاجيال من أجل هذا نرى القرآن الكريم كتاب الله الخالد يبعثهم ليل نهار:

﴿فَتَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾^(٢).

ومن أجل ذلك شدّد سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام على الكذابين واستنكر صلوات الله عليه وآله الكذب لذي هو من أكبر الكبائر. قال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله:

«أَلَا أُنبِئُكُمْ بِأَخْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ

١ - سورة آل عمران: ٦١.

٢ - سورة الرمر: ٣.

أَوَالِدَيْنِ وَكَانَ مَثْكِنًا فَجَلَسَ ثُمَّ قَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزَّوْرِ»^(١).

وعنه عليه السلام قال :

«شَرُّ الرِّوَايَةِ رَوَايَةُ الْكَذِبِ»^(٢).

وعنه عليه السلام أيضاً :

«أَقْلُّ النَّاسِ مُرُوءَةً مَنْ كَانَ كَاذِبًا»^(٣).

وقيل له عليه السلام : أَيْكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا ؟ قال : بلى ، قيل : بخيلاً ؟ قال : بلى ، قيل : كذاباً ، فقال : لا^(٤).

وعن الامام علي بن أبي طالب عليه السلام قال :

«لَا يَجِدُ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتْرَكَ الْكَذِبَ هَزْلَةً وَجِدَّةً»^(٥).

وعنه عليه السلام قال :

«لَا سُوءَ أَسْوَأَ مِنْ الْكَذِبِ»^(٦).

وعنه عليه السلام أيضاً :

«الصِّدْقُ أَمَانَةٌ وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ»^(٧).

وعن الامام الباقر عليه السلام :

١ - مستدرک الوسائل : ٤١٦/١٧ ، باب ٦ ، حديث ٢١٧١٤ .

٢ - بحار الأنوار : ٢٥٩/٦٩ ، باب ١١٤ ، حديث ٢٥ .

٣ - بحار الأنوار : ٢٥٩/٦٩ ، باب ١١٤ ، حديث ٢١ .

٤ - بحار الأنوار : ٢٦٢/٦٩ ، باب ١١٤ ، حديث ٤٠ .

٥ - الكافي : ٣٤٠/٢ ، باب الكذب ، حديث ١١ ؛ بحار الأنوار : ٢٤٩/٦٩ ، باب ١١٤ ، حديث ١٤ .

٦ - توحيد الصدوق : ٧٢ ، باب التوحيد ونفى التشبيه .

٧ - بحار الأنوار : ٢٦١/٦٩ ، باب ١١٤ ، حديث ٣٧ .

«ان الكذب هو خراب الايمان»^(١).

وعن الامام الصادق عليه السلام قال:

«ان الكذاب يهلك بالبيئات ويهلك اقتبائه بالشبهات»^(٢).

وعلى كل حال فان الكذاب في الشريعة الالهية فاجر فاسق لا ايمان له تلغنه
الملائكة ولا ينبغي مجالسته.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام :

«ينبغي للرجل المسلم أن يجتنب مؤاخاة الكذاب، فإنه يكذب حتى يجيء

بالصدق فلا يصدق»^(٣).

الحكم بغير ما أنزل الله

من الذنوب التي تنزل النقم هو الحكم بغير ما أنزل الله عز وجل فالقاضي
الذي يحكم ظالماً فيبرئ الظالم ويتهم المظلوم ويدان في مجلسه إنما ينقض
العدالة وهي أساس استقرار وثبات العالم فكل شيء قائم على العدل وكل شيء
ينبغي أن ينهض على العدالة.

والقاضي الذي يسحق على العدالة كافر وظالم وفاسق بصريح آيات القرآن

الكريم.

١ - الكافي: ٢/٢٣٩، باب الكذب.

٢ - المصدر السابق.

٣ - المصدر نفسه: ٢/٢٤١.

فمن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون^(١).
عن الامام الصادق عليه السلام:

«من حكم بين اثنين بغير حكم الله فقد كفر بالله»^(٢).

الامتناع عن دفع الزكاة

ان دفع الزكاة من الغلات والماشية والذهب والفضة واجب أكيد كما تصرح به الآيات الكريمة وأن الامتناع عن دفع الزكاة من الكبائر التي توجب غضب الباري تعالى.

وقد اقترن ذكر الزكاة بالصلاة، فما من آية تطرقت إلى أمر الصلاة إلا وقرنت ذلك بدفع الزكاة وهذا ما يؤكد أهميتها وقيمتها الحقيقية.

ان ترك الزكاة يدخل في باب الانكار والرد على الحق وتارك الزكاة كتارك الصلاة والحج كافر بحسب الروايات الواردة عن أئمة الهدى من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة.

وقد أشارت الروايات إلى أن التزام المسلمين بدفع الزكاة يؤدي إلى حالة من الرفاه الاقتصادي في المجتمع الاسلامي وان الالتزام بها يساعد بشكل سريع ومؤثر في مكافحة الفقر والاختلاف الطبقي الذي ينجم عادة عن الظلم في توزيع الثروة في المجتمع.

ان دفع الزكاة ركن من أركان العدالة الاجتماعية في الاسلام تقول السيدة فاطمة الزهراء في فلسفة الزكاة وغيرها من أحكام الاسلام:

١ - سورة المائدة: ٤٤، ٤٥ و ٤٧.

٢ - كبائر الذنوب: ٣٦٥/٢.

«فَجَعَلَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً لَكُمْ مِنَ الشُّرْكِ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الْكِبَرِ،
وَالزَّكَاةَ تَزَكِيَةً لِلنَّفْسِ»^(١).

وروي أن الامام الرضا عليه السلام قال لخدام له : هل أنفقت شيئاً في سبيل الله هذا
اليوم ؟ فقال الخادم : لا والله . فقال عليه السلام فكيف تريد أن يرزقنا الله ^(٢).

التطفيف في الميزان

ان التطفيف في الكيل والميزان وخداع المشتري ببيعه أقل من لوزن
المطلوب ، هو من الكبائر التي يعاقب عليها الانسان أشد العقاب .
ومن بين مئة وأربعة عشر سورة في القرآن الكريم حملت احداها اسم
المطففين ، حيث شددت عليهم النكير وهددتهم بعذاب الله :

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا
كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ
عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَئِي
سِجِّينٍ ﴾^(٣).

وجاء في الحديث النبوي الشريف ان المطفف يرمى يوم القيامة في قعر جهنم
بين جبلين من نار فيقال له : زنهما فيبقى في ذلك أبداً^(٤).

وجاء في الحديث الشريف أيضاً : خمس مقابل خمس فسئل رسول الله

١ - بحار الأنوار : ٢٩/٢٢٣ ، حديث ٨ .

٢ - كنائر الذنوب : ٢/٢٢٣ .

٣ - سورة المطففين : ١ - ٧ .

٤ - كنائر الذنوب : ١/٤١٨ .

عنهن فقال: ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما فشا الزنا في قوم إلا فشا فيهم الموت وما حكم قوم بغير ما أنزل الله، إلا وابتلوا بالفقر وضيق ذات اليد.

وما منع قوم الزكاة إلا وحبس عنهم المطر، وما طفف قوم الكبل والميزان إلا وابتلوا بالقحط والجفاف.

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُغَيِّرُ النِّعَمَ»

اغفر لي الآثام التي ترفع نعماً غمرتها علي يا الهي .

ذنوب تغيير النعم

هناك من الذنوب ما تكون سبباً في تغيير النعم؛ فيحلّ مكانها البلاء والعذاب وهي كما ورد في أحاديث للامام السجاد عليه السلام:

١ - ظلم الناس . ٢ - فقدان ارادة الخير . ٣ - اهمال البرّ والاحسان . ٤ - كفران النعمة . ٥ - نرك الشكر .

ظلم الناس

ان ظلم الناس من الذنوب والآثام القبيحة وهو عمل شيطاني والظلم ظلم صغر أو كبر ولا يتغير قبحه؛ فالظلم مقدار ذرّة قبيح ويحاسب الانسان عليه يوم القيامة .

﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾^(١).

فقدان ارادة الخير

الله سبحانه وتعالى فطر الانسان على حب الخير وأودع في نفسه ذلك ليكون سبباً لانفتاح أبواب الرحمة عليه فتندفق النعم وتغمره آلاء الله، وما على الانسان إلا أن يواظب على عمل الخير وإلا يسمع لوسوسات الشيطان أن تتسلل إليه وتدمر فيه قيم الخير.

إنَّ حب المعرفة، والتواضع والحلم والسعي في قضاء حوائج الناس هي من ارادة الخير، التي ينبغي أن يهتم بتنميتها المرء حتى تصبح عادة متجذرة وطبعاً من طباعه وصفة من صفاته.

وإذا أعرض الانسان ونأى بجانبه وجانب الخير؛ فان هذا سيكون إيذاناً بسقوطه في حمأة الذنوب والمعاصي ومن ثم زوال النعم عنه وهلاكه.

نبذ الاحسان

الاحسان من الأعمال التي تحبب الانسان إلى الله عز وجل وإلى أفراد نوعه؛ إذا تجعل منه انساناً محبوباً من مجتمعه وتعلي من شأنه بين الناس اضافة إلى القربى من الله عز وجل فما من شيء يحبب المرء إلى الله وإلى الناس مثل الاحسان.

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

وعلى المحسنين ألا يكفؤا عن الاحسان إلى الناس في كل الظروف، لأن الاحسان عبادة وثوابه عظيم وجزيل وان رضا الله عز وجل يتحقق بالاحسان إلى

عبادة الله الفقراء الذين هم عباده.

ولذا فان ترك الاحسان ذنب كبير، يحرم الانسان من الفيض الالهي وهو تنكر للاخلاق الكريمة والصفات الحسنة ويهدد حياة الانسان ومستقبله بالخطر.

كفران النعمة

ان كفران النعم ينذر بعذاب من الله أليم وشديد.

﴿ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾^(١).

ان من أقبح الذنوب وأسوأ الخلق أن يكفر الانسان بما أنعم الله عليه، وكفران النعم هو الاستغراق في اقتراف المعاصي والذنوب.

ترك الشكر

ان عرفان النعمة والشكر عليها واجب على الانسان العاقل وهي من صفات الانسان الذي يقرّ بآدميته ويحترم انسانيته.

وحقيقة الشكر هي معرفة المنعم وعرفان النعمة وهذا يتحقق من خلال الافادة منها فيما يرضي الله عز وجل الذي أفاض النعم.

فشكر نعمة القلب أن يكون قنديلاً يشع بالايمان بالله واليوم الآخر والتصديق برسالات الله وأنبيائه ورسله.

وعرفان نعمة العين أن تجيل البصر في زوايا لطيفة وتتأمل ما خلق الله سبحانه وأن تقرّ القرآن الكريم؛ وتطلب بها العلم وإلا تنظر بها إلى ما حرّم الله.

والشكر على نعمة الأذن، هو الاصغاء إلى نداء الحق والحقيقة وحفظها من

الغيبية والنميمة والبهتان وصوت الشيطان.

وعرفان نعمة اللسان ألا ينطق إلا بالخير؛ خير الناس وارشاد الضالين وقراءة القرآن وأداء الصلاة وحفظه من اغتيال الناس واشاعة الفحشاء والكذب والسخرية من الآخرين.

والشكر على نعمة الشهوة الجنسية أن تصرف هذه الطاقة في ما أحل الله من الزواج واجتناب الزنا.

والشكر على نعمة القدم أن تخطو في طريق الطاعة وأن تذهب بها إلى المساجد وحضور المحافل، التي يذكر فيها اسم الله وصلة الرحم وزيادة الأصدقاء وتفقد الفقراء.

وشكر نعمة المال والثروة الاتفاق على العيال، ومساعدة الفقراء والبؤساء والاتفاق في شؤون الخير وأداء الزكاة والخمس والتصدق.

فالاهمال في شكر النعم من خلال هذه الطرق يعد معصية ويكون سبباً في زوال النعم وحلول البلاء.

« اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيْ الذُّنُوْبَ الَّتِيْ تَخِسُّ الدُّعَاءَ »

يا الهي واغفر لي الذنوب التي تقطع الطريق على صعود الدعاء إلى السماء .

ذنوب تمنع استجابة الدعاء

يعدّ الامام السجاد عليه السلام سبعة ذنوب تمنع استجابة الدعاء :

- ١ - سوء النية . ٢ - الانطواء على صفات قبيحة . ٣ - النفاق . ٤ - سوء الظن وعدم التيقن من اجابة الدعاء . ٥ - التأخر في أداء فريضة الصلاة . ٦ - ترك الصدقة والاحسان وهما من وسائل التقرب إلى الله ٧ - الفحش في القول وتلويث اللسان باستخدام الكلمات البذيئة ^(١) .

سوء النية

النية هي القصد والهدف الحقيقي والارادة وقد أوجب الاسلام على الانسان أن يبطن نوايا الخير لكل من حوله وما حوله من بشر وشجر وحيوان ؛ وبشكل عام البيئة العامة . عليه أن يهدف إلى خير المجتمع ويتمنى سعادة الجميع ، وإلا يتأخر في السعي من أجل تحقيق الخير ما أمكنه ذلك .

ان حسن النية من الأهمية بحيث أصبحت مناطاً في حسن الجزاء والثواب .
فمجرد قصد الخير يثاب عليه المرء وإن لم يتمكن من فعله أو القيام به .
وقد جاء في الأثر أن العبد المؤمن يسأل الله ؛ فيقول اللهم ارزقني وهبني لأتصدق
وأحسن وأفعل الخير؛ فيطلع الله على نيته فيثيبه على نيته وتكتب له حسنات بقدر
ما نوى من فعل الخير^(١) .

كما حكى أن رجلاً جائعاً مرّ بربوة؛ فقال في نفسه لو كانت هذه الربوة طعاماً
لقسمته بين الناس؛ فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان أن أخبره بقبول صدقته وأن الله
أثابه على حسن نيته بقدر ثواب التصديق بربوة من طعام ينفقه على الناس^(٢) .
ان على الانسان أن يربّي نفسه على النية في عمل الخير ويكافح في نفسه قصد
الشر لأن سوء النية في الانسان تلقي بظلالها السوداء على قلب المرء وروحه
وتقوده إلى ارتكاب المعاصي والسقوط في الآثام .

الانطواء على صفات قبيحة

ان صفات مثل سوء الظن والنفاق، الحقد، العُجب، الرياء، التكبر، الغرور، البخل،
الحرص، الطمع، الحسد، تولّى أعداء الله؛ هي ذنوب كبيرة وخطيرة ولها نتائج
وخيمة في حياة الانسان في الدنيا والآخرة؛ اضافة إلى انها تمنع استجابة الدعاء
يقول الامام الباقر عليه السلام :

«يُنْسُ الْعَبْدُ عَبْدًا هُمْزَةً لَمْزَةً يُقْبَلُ بِوَجْهِهِ وَيُدْبَرُ بِآخِرِهِ»^(٣) .

١ - محجة البيضاء : ١٠٦/٨ ، كتاب النية والصدق والاخلاص .

٢ - محجة البيضاء : ١٠٤/٨ ، كتاب النية والصدق والاخلاص .

٣ - ثواب الاعمال : ٢٦٩ ، عقاب من كان ذا وجهين : قلب سليم : ٦١ .

سوء الظن

سوء الظن بالله وبأوليائه الله والمؤمنين من الصفات السيئة، وبالرغم من كتمانها في القلب وعدم ظهورها فأنها يوم القيامة تعدّ من القبائح، التي يعاقب عليها الانسان إلا إذا ختم المرء حياته بالتوبة.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ... ﴾^(١).

عن سيدنا محمد ﷺ قال وهو على منبره:

«والذي لا اله الا هو ما اعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله ورجائه له وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين، والذي لا اله الا هو لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنه وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغتيابه للمؤمنين»^(٢).

ان الانسان المؤمن الذي يضمّر الايمان ويظهر الخلق الكريم ويمارس العمل الصالح، يجب عليه أن يرجو رحمة ربه ويحسن الظن بالله وأن يجتنب سوء الظن في كل حال من الأحوال.

المذنبون الذين تنفتح لهم أبواب التوبة وتتوفر لهم أرضية جبران ما فات من الذنوب، عليهم أن يحسنوا الظن بالله وقد وعدهم سبحانه بالتوبة، فحسن الظن، الرجاء والأمل بما عند الله من مغفرة واجب وإلا حرموا من رحمة الله لأنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

١ - سورة الحجرات: ١٢.

٢ - الكافي: ٧١/٢، حديث ٢: بحار الأنوار: ٣٦٥/٦٧، باب ٥٩، حديث ١٤.

المطلوب من الانسان أن يحسن ظنه باخوانه من أهل الايمان والاسلام ولا يحق له أبداً أن يسيء الظن بهم وأن يحملهم على محمل حسن .
فعلى سبيل المثال لو أن أحدهم رأى مؤمناً في مجلس معصية، مجلس حافل باللهو واللعب وآلات القمار ووسائل الشرب؛ فيجب عليه هنا ألا يسيء الظن به أو يظن أنه ليس مؤمناً وأنه من أهل الفسق والفجور؛ لأنه سوء ظن وهذا ما حذر من القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام ويؤدي إلى العقوبة الالهية، وعليه أن يوحى لنفسه قائلاً؛ هنيئاً له فقد وفقه الله أن يحضر في مجلس معصية فيعظ الجالسين وأهل المعاصي لعلهم يتوبون عما هم عليه؛ فهو يؤدي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويسأل الله سبحانه أن بوفقه إلى مثل ذلك؛ فيرشد الضال ويعالج المريض ويحرز الناس من أسر الشيطان وبالتالي له ما له الثواب العظيم والأجر الجزيل .

الحقد

يتوجب على المسلم أن يشعر بالمحبة تجاه الناس جميعاً، إلا من كان عدواً لله .
ان الحقد يحرم الانسان من صلة الرحم ومن الاحسان وفعل الخير العام .
ان الحقد يبوث الروح ويملاً القلب بالظلمات؛ فيكون فكر الانسان ظلامياً وبالتالي يتسبب في حرمانه من رحمة الله .
قال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله :

«مَا كَانَ جَبْرِئِلُ يَأْتِينِي إِلَّا قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ شَخْنَاءُ الرِّجَالِ وَغَدَاوَتُهُمْ»^(١).

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام :

«رَأْسُ الْجَهْلِ مُعَادَاةُ النَّاسِ»^(١).

وعنه عليه السلام قال :

«مُعَادَاةُ الرِّجَالِ مِنْ شَيْمِ الْجُهَالِ»^(٢).

وعن الامام الصادق عليه السلام :

إِيَّاكَ وَعِدْوَاةُ الرِّجَالِ؛ فَإِنَّهَا تُورِثُ الْمَعْرَةَ وَتُبْدِي الْعَوْرَةَ^(٣).

العجب

ان العجب بالنفس وتضخم الذات والشعور بالترجسية والتباهي ، من الذنوب القبيحة ، ومن الصفات التي لا تليق بالانسان العاقل .
الانسان عبد مملوك لله عز وجل ، حياته وموته بيد الله سبحانه ورزقه يأتيه من قبل الله ، وطاعة الله توفيق منه سبحانه وكل ما يعمل به الانسان من خير هو من الله ، فمن أين يا ترى يأتي العجب بالنفس مادام كل شيء بيد الله ؟!

مَنْ دَخَلَهُ الْعُجْبُ هَلَكَ^(٤).

عن أبي عبد الله الامام الصادق عليه السلام قال :

«أتى عالم عابداً فقال له: كيف صلاتك؟

فقال: مثلي يسأل عن صلاته؟ وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا.

١ - غرر الحكمة : ٤٦١ ، حديث ١٠٥٧٠ ؛ ميزان الحكمة : ٨٧٤/٢ ، الجهل ، حديث ٢٨٥٩ .

٢ - غرر الحكم : ٤٦٢ ، حديث ١٠٥٧٨ ؛ ميزان الحكمة : ٣٥٠٨/٧ ، العداوة ، حديث ١٢٠٣٠ .

٣ - الاختصاص : ٢٣٠ ؛ ميزان الحكمة : ٣٥٠٨/٧ ، العداوة ، حديث ١٢٠٣٧ .

٤ - الكافي : ٣١٣/٢ ، باب العجب ، حديث ٢ .

قال: فكيف بكأوك؟

قال: أبكي حتى تجري دموعي.

فقال له العالم: فان ضحكك وأنت خائف أفضل من بكائك وأنت مدلّ، ان المدلّ لا يصعد من عمله شيء».

وجاء في الأثر ان سيدنا محمد ﷺ قال:

«بينما موسى عليه السلام جالسا إذ أقبل ابليس وعليه برنس ذو ألوان، فلما دنا من موسى خلع البرنس وقام إلى موسى فسلم عليه، فقال له موسى: من أنت؟ قال: أنا ابليس، قال أنت فلا قرب الله دارك، قال: إنما جئت لأسلم عليك لمكانك من الله، قال له موسى: فما هذا البرنس؟ قال: به اختطف قلوب بني آدم، فقال موسى: فأخبرني بالذنب الذي إذ أدنيه ابن آدم استحوذت عليه! قال: إذ أعجبتة نفسه، واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه»^(١).

الرياء

التظاهر بالعبادة وعمل الخير لاجتذاب أنظار الناس، حرام ويسبب غضب الله عز وجل.

وقد هاجم القرآن الكريم طائفة من المصلين الذين يؤدون صلاتهم رياء وتوعدهم بالعذاب.

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾^(٢).

١ - الكافي: ٣١٣/٢، باب المعجب، حديث ٥.

٢ - سورة الماعون: ٤ - ٦.

وجاء في الأثر إن النبي ﷺ سئل عن النجاة في أي شيء فقال ﷺ: ألا يقوم للعبادة رياء.

وجاء في الأثر أيضاً ثلاثة يخاطبه الله يوم القيامة وليس من أعمالهم شيء... رجل قتل مع المجاهدين في سبيل الله ورجل أنفق ثروته في سبيل الله وثالث يقرأ القرآن؛ فيقول الله سبحانه للأول: ما كان قتالك في سبيلي ولكن ليغال إن فلاناً شجاع. وقال للثاني ما أنفقت مالك في سبيلي ولكن ليغال إنك جواد وسخي. وقال للثالث: أردت أن يقال قارئ لقرآن. ثم قال رسول الله إن هؤلاء لم ينالهم ثواب الله لأن ما عملوه كان رياءً.

وجاء في الحديث النبوي الشريف:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ: إِنَّ هَذَا لَمْ يُرِدْنِي بِعَمَلِهِ فَاجْعَلُوهُ فِي سِجِّين»^(١).

وجاء في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال:

«أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قيل: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟

قال: الرياء»^(٢).

وعنه أيضاً ﷺ:

«إن الله لا يقبل عملاً فيه ذرة من رياء»^(٣).

وجاء في الأثر كذلك أن شداد بن أوس قال: رأيت رسول الله يبكي، فقلت: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: أخاف على أمتي الشرك، ولن يعبدوا يوماً شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولكن سراءون بأعمالهم.

١ - محجة البيضاء: ١٣٩/٦ - ١٤١، كتاب ذم الجاه والرياء.

٢ - محجة البيضاء: ١٣٩/٦ - ١٤١، كتاب ذم الجاه والرياء.

٣ - محجة البيضاء: ١٣٩/٦ - ١٤١، كتاب ذم الجاه والرياء.

الكبر

ان التكبر سواء كان أمام الحق أو على الناس أو كان على أوامر الله والرسول والأنبياء إنما هي حالة ابليسية وصفة شيطانية.

وقد ألبس ابليس من رحمة الله في لحظة تكبر وغرور؛ فتمرد على أمر الله، وكان مصيره أن طرده الله وأصبح رجيماً إلى يوم القيامة ثم هو يوم القيامة من المعذبين.

وهذا هو مصير المستكبرين، فالمتكبرون بعيدون عن الله.

﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾^(١).

﴿ فَلَيْشَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾^(٢).

أجل إنَّ هذا التضخم الفارغ للذات لن يقود الانسان إلا إلى الهاوية وبئس القرار.

الكبرياء لله وحده وهو القاهر الجبار، لأن كل ما يستطيع الانسان أن يتباهى به، هو من الله عز وجل؛ فبأي شيء يتعالى على الناس بماله أم بجماله أو بكماله؟! وكل من عند الله.

من أجل هذا فإن أكبر صفة قبيحة ومن كانت فيه كان مغوضاً من الله ومن الناس هي التكبر.

ويقول الامام الصادق عليه السلام:

١ - سورة النحل: ٢٣.

٢ - سورة النحل: ٢٩.

«الْعِزُّ رِذَاءُ اللَّهِ وَالْكَبَرُ إِزَارُهُ فَمَنْ تَنَاولَ شَيْئاً مِنْهُ أَكْبَهُ اللَّهُ فِي جَهَنَّمَ» (١).

وعن الامامين الباقر والصادق عليهما السلام :

«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» (٢).

وعن الامام الصادق عليه السلام :

«إِنَّ فِي جَهَنَّمَ لَوَادِيّاً لِمُتَكَبِّرِينَ يُقَالُ لَهُ سَقَرٌ شَكَى إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ شِدَّةَ حَرِّهِ

وَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ أَنْ يَتَنَفَّسَ فَتَنَفَّسَ فَأُحْرقَ جَهَنَّمَ» (٣).

عن عبدالأعلى قال : قلت لأبي عبدالله : ما الكبر ؟

فقال :

«أعظم الكبر أن تسفه الحق وتغضض الناس، قلت: وما سفه الحق؟ قال: يجهل

الحق ويطعن على أهله» (٤).

الغرور

الأغترار بالمظاهر المادية وغيره يستغفل الانسان عن الحقيقة وهو أمر في غاية الخطورة والقبح أيضاً.

الذين ينكرون الحقيقة هم مرضى وأن بريق الدنيا قد خطف أبصارهم وحجب نور الحقيقة عن بصائرهم.

هذه الدنيا مهما بلغت من بريقها ومظاهرها الخداعة فإنها إلى زوال... الحياة

١ - بحار الأنوار : ٢١٣/٧٠ ، باب ١٣٠ ، حديث ٣ .

٢ - الكافي : ٣١٠/٢ ، باب الكبر ، حديث ٦ .

٣ - الكافي : ٣١٠/٢ ، باب الكبر ، حديث ١٠ .

٤ - الكافي : ٣١٠/٢ ، باب الكبر ، حديث ١٢ .

محطة والانسان في هذه الدنيا مجرد عابر سبيل وما أسرع أن ينتهي به الترحال إلى حفرة مظلمة تضج بالديدان تستقبل جسده، أما روحه فتتطلق بعيداً إلى عالم البرزخ حيث يجد هناك انعكاسات تجربته في الحياة الدنيا.

هؤلاء المخدوعون يتصورون الدنيا حقيقة والآخرة أوهام وخيال، من أجل هذا يتهافتون على لذائذ الحياة، يكرعون منها ويطلبون المزيد، فتراهم غارقين في المعاصي والذنوب، معرضين عن الاخلاق الكريمة والتحلي بالصفات الحسنة الجميلة.

انهم في غفلة عن الحقيقة الكبرى وهي أن الدنيا مزرعة الآخرة، بل انهما عالمان متجاوران وما أسرع المرء أن يجد ما كسبت يده مائلاً أمامه وحينئذ يعرض على أصابعه ندماً وأسفاً.

والجهال من أهل الايمان يخدعون أنفسهم أيضاً، بأن الله عزوجل واسع الرحمة، ولا حاجة لله بعبادتهم وأن رحمته عزوجل تغمرهم غمراً وأن الله غفور رحيم، فلم هذا الحرمان من اللذائذ وإن كانت في معصية؟! وأن ذنوبنا مهما عظمت لا تساوي ذرة في بحار رحمته جل شأنه!

أنهم في غفلة عن هذه الحقيقة وهي أن الشيطان وهوى النفس للانسان بالمرصاد وأنه يزوّق لهم القول فتري ظاهره يراقاً خادعاً وباطنه اسم الزعاف. يقول سيدنا محمد ﷺ:

«الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْأَخْفَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ»^(١).

انهم يرون نصف الحقيقة إذا صح التعبير فالله غفور رحيم، رحمان كريم يقبل

التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ولكن الله أيضاً شديد العقاب عزيز ذو انتقام
يمهل ولا يمهل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ
يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾^(١).

ان الذين يرجون رحمة ربهم لا يستغرقون في المعاصي، والذين يأملون في
الغفران لا يمعنون في الذنب واقتراف الآثام.
قال الامام علي عليه السلام:

سُكْرُ الْغَفْلَةِ وَالْعُرُورِ أَبْعَدُ إِفَاقَةً مِنْ سُكْرِ الْخَمُورِ^(٢).

وقال عليه السلام أيضاً:

إِنْ مِنْ الْغِرَّةِ بِاللَّهِ أَنْ يُصِرَّ الْعَبْدُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ وَيَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْمَغْفِرَةَ^(٣).

وعن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله:

«لَا تَغْتَرَّنْ بِاللَّهِ وَلَا تَغْتَرَّنْ بِصَلَاحِكَ وَعِلْمِكَ وَعَمَلِكَ وَيَرْكَ وَعِبَادَتِكَ»^(٤).

البخل

ما أقبح بالانسان وقد أفاض الله عليه النعم والآلاء أن يبخل ويقبض يده أشدَّ
القبض ولا مساك.

الله عز وجل الذي أعدَّ مائدة الوجود؛ فهي تفيض بالخير والبركات وإذا

١ - سورة البقرة: ٢١٨.

٢ - غرر الحكم: ٢٦٦، ذم الغفلة، ٥٧٥٠؛ ميزان الحكمة: ٤٢٦٨/٩، لغرور، حديث ١٤٨٣١.

٣ - مجموعة اورام: ٧٢/٢، ميزان الحكمة: ٤٢٧٢/٩، اغرور، حديث ١٤٨٥٧.

٤ - مكارم الاخلاق: ٤٥١، الفصل الرابع؛ ميزان الحكمة: ٤٢٧٢/٩، الغرور، حديث ١٤٨٥٨.

بالإنسان الذي ينهل من كل مكان وتغمره النعم من كل حذب وصوب، إذا به يبخل بالترر القليل فلا ينفق في سبيل؛ لا صدقة يقدم ولا زكاة يدفع.

إنَّ ما يكسبه المرء عن طريق الحلال ليس ملكاً خالصاً له يتصرّف به كيف يشاء وإنما هو أمانه في عنقه مسؤول عن كيفية الانفاق وتصرّفه بالأموال التي رزقه الله.

انه مسؤول أمام الله لأن الإنسان عبد مملوك لله؛ فكل ما يملك العبد ملك لمولاه.

ان كنز الأموال ومنع حق الله فيها واتباع الشيطان ذنب كبير يؤدي بالمرء إلى الشقاء في الدنيا والعذاب يوم القيامة.

والبخل حالة شيطانية وصفة حيوانية، لا تليق بكرامة الإنسان وعقلانيته، وهو من الرذائل الاخلاقية التي ندّد بها القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾^(١).

وجاء في الحديث النبوي الشريف:

«خَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْمَتَّانِ وَالْبَخِيلِ وَالْفَقْتَابِ»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ:

«خُصِلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُسْلِمٍ: الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ»^(٣).

وعن الامام الصادق عليه السلام قال:

١ - سورة النساء: ٣٧.

٢ - وسائل الشيعة: ٤٥٢/٩، باب عدم الجواز انّ، حديث ١٢٤٨١.

٣ - بحار الأنوار: ٣٠١/٧٠، باب ١٣٦، حديث ٩.

«إِنْ كَانَ الْخَلْفُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقًّا فَالْبُخْلُ لِمَاذَا؟»^(١).

وعن الامام موسى بن جعفر عليه السلام :

«الْبَخِيلُ مَنْ بَخِلَ بِمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(٢).

الحرص

ان الرغبة الشديدة والتهافت على جمع أكثر ممّا هو لازم وضروري، يعرض الانسان إلى حالات خطيرة من اختلال التوازن الفكري والنفسي، ويقود الانسان إلى انتهاك الأحكام الالهية والتجاوز على القيم الاخلاقية والاعتبارات الانسانية، ويتحول إلى نار مجنونة تفتك بأموال الناس كما تفعل بالهشيم، ولا يتورع عن الاغارة على حقوق الناس ونهبها بأية وسيلة ممكنة.

وعادة ما يتناسى الحريص ذكر الله ولا يفكر بيوم القيامة ولا يخشى عذاب الله ولا يتوجس انتقامه عز وجل بل لا يفكر بشيء سوى جمع المال فقط.

ن الله الذي أغدق نعمه ظاهرة وباطنة وملأ بها جنبات الوجود وجعل للتمتع بهذه النعم مناهج واضحة وطرقاً للرزق حلال؛ فالانسان يعمل ويكدح ويحصل على ما قدر له من رزق وهو مكفول فلا يخرج من الدنيا حتى يستوفي رزقه.

ان ترسيخ هذا الشعور في الانسان والايمان بهذه الحقيقة يبعث على حالة الطمأنينة في القلب ويحفظ للانسان كرامته وتوازنه.

يقول سيدنا محمد صلى الله عليه وآله :

١ - بحار الأنوار: ٣٠٠/٧٠، باب ١٣٦، حديث ١.

٢ - الكافي: ٤٥/٤، البخل والشح، حديث ٤.

أَغْنَى النَّاسِ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْحَرْصِ أَسِيرًا^(١).

وقال عليه السلام يوصي علياً عليه السلام :

يَا عَلِيُّ! إِنَّكَ عَنْ ثَلَاثِ خِصَالٍ عِظَامٍ: الْخَسَدِ وَالْحَرْصِ وَالْكَذِبِ^(٢).

وقد ورد كثير من الأحاديث في ذمّ الحرص والتحذير منه.
وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام :

«ما ذئبان ضاريان في غنم ليس لها راع، هذا في أولها وهذا في آخرها بأسرع
فيها من حب المال والشرف (الجاه) في دين المؤمن»^(٣).

وعنه عليه السلام أيضاً :

«مثل الحريص على الدنيا مثل دودة القزّ، كلما ازدادت من القزّ على نفسها لثاً
كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غمّاً»^(٤).

وعن الامام الصادق عليه السلام :

«أغنى الغنى من لم يكن للحرص أسيراً»^(٥).

وعنه عليه السلام أيضاً قال :

«في مفاجاة موسى بن عمران: يا موسى ان الدنيا دار عقوبة عاقبت فيها آدم

١ - أمالي الصدوق: ٢٠، حديث ٤.

٢ - بحار الأنوار: ١٦٢/٧٠، باب ١٢٨، حديث ١٠.

٣ - الكافي: ٢/٢١٥، حديث ٢.

٤ - الكافي: ٢/٢١٥، حديث ٧.

٥ - الكافي: ٢/٢١٥، حديث ٧.

على خطيئته وجعلتها ملعونة، ملعون ما فيها إلا ما كان فيها لي، يا موسى! إن عبادي الصالحين زهدوا في الدنيا بقدر علمهم وسائر الخلق رغبوا فيها بقدر جهلهم وما من أحد عظمها فقرت عيناه فيها ولم يحقرها أحد إلا انتفع بها»^(١).

الطمع

أن يمدّ الانسان عينيه إلى ما في أيدي الآخرين ويتمنى الاستيلاء عليها؛ هذا الطمع الذي يخرّب روح الانسان ويلوّث نفسه.

يقول الامام الرابع زين العابدين عليه السلام:

رَأَيْتُ الْخَيْرَ كُلَّهُ قَدْ اجْتَمَعَ فِي قَطْعِ الطَّمَعِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ^(٢).

وسأل أحدهم الامام الصادق عليه السلام:

«مَا الَّذِي يُثَبِّتُ الْإِيمَانَ فِي الْعَبْدِ؟ قَالَ: الْوَرَعُ. وَالَّذِي يُخْرِجُهُ مِنْهُ؟ قَالَ: الطَّمَعُ»^(٣).

وقال الامام الهادي عليه السلام:

«الطَّمَعُ سَجِيَّةٌ سَيِّئَةٌ»^(٤).

وعن الامام الصادق عليه السلام:

«إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَقَرَّ عَيْنُكَ وَتَنَالَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَاقْطَعْ الطَّمَعِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ»^(٥).

١ - الكافي: ٢/٢١٥، حديث ٩.

٢ - بحار الأنوار: ١٧١/٧٠، باب ١٢٩، حديث ١٠.

٣ - بحار الأنوار: ١٧١/٧٠، باب ١٢٩، حديث ١٢.

٤ - بحار الأنوار: ١٩٩/٦٩، باب ١٠٥؛ ميزان الحكمة: ٣٣١٠/٧، الطمع، حديث ١١١٨٨.

٥ - الخصال: ١٢١/١، حديث ١١٣؛ ميزان الحكمة: ٣٣١٠/٧، الطمع، حديث ١١١٩٧.

وعن الامام علي عليه السلام :

«مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعِيشَ حُرّاً أَيَّامَ حَيَاتِهِ فَلَا يُسْكِنَ الطَّمَعُ قَلْبَهُ» (١).

الحسد

وهو من الصفات التي تعدّ غاية في القبح، والحسد أن يتمنى أحدهم زول
نعمة الغير، فهو لا يتحمل أن يرى نعمة منحها الله عزوجل لشخص ما فهو يتمنى
زوالها، فالحسد يعدّ مرضاً أخلاقياً خطيراً.

ولعل جذور الحسد تعود إلى التكبر والانانية وحب الجاه والبخل لأنها
عوامل في ظهور الحسد في نفس الانسان.
يقول الامام الصادق عليه السلام :

«إِنَّ الْخَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْخَطْبَ» (٢).

وعنه عليه السلام أيضاً :

«أَفَّةُ الَّذِينَ الْخَسَدُ وَالْعُجْبُ وَالْفَخْرُ» (٣).

تولي أعداء الله

ان التضامن أو تولي أو حب أعداء الله هو من الأمراض الروحية، التي تصيب
القلب؛ ذلك أن القلب السليم مفطور على حب الفضيلة والخير وحب أولياء الله،
والقلب السليم مفطور على معاداة أعداء الله والنفور من الرذيلة والشر.
ومن هنا فان كان القلب على غير هذه الحالة فهو دليل على إصابته بمرض

١ - مجموعة الورام: ٤٩/١، باب الطمع؛ ميزان الحكمة: ٣٣١٢/٧، الطمع، حديث ١١٢١٣

٢ - الكافي: ٣٠٦/٢، باب الحسد، حديث ٢.

٣ - الكافي: ٣٠٧/٢، باب الحسد، حديث ٥.

نفسى خطير .

ولا يمكن علاج هذا المرض إلا بالقرآن الكريم والحديث الشريف لأن من سمات الفرد المسلم هو تولي أولياء الله ومعاداة أعداء الله .
قال الله عز وجل :

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾^(١).

وقال الله عز وجل فى كتابه الكريم :

﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾^(٢).
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^(٣).

وقد حددت سورة «المنافقون» أبرز ما فى هؤلاء من أمراض وصفات وحذرت المجتمع الاسلامي من مؤامراتهم وبيّنت خطرهم على الحياة الاجتماعية.

ذوالوجهين والنفاق

لا غبار على قبح النفاق ودناءة ذي الوجهين الذي يقابل المؤمنين متظاهراً بأنه معهم فإذا وجد فرصة طعنهم بخنجره من الخلف، طعنة كلها عذر ودناءة وخسة .
فهم أسوأ من الكفار وقد قال الله عز وجل : ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار .

١ - سورة الفتح : ٢٩ .

٢ - سورة الممتحنة : ١ .

٣ - سورة المجادلة : ١٤ .

ومن الطبيعي أن يكون المنافق خائناً لأنه يعرف أسرار المؤمنين ثم ينقلها إلى عدوهم.

ومن هنا يعد النفاق من الامراض الخطيرة، التي تصيب المجتمعات الإسلامية والتي يصعب علاجها. وفي رسالة جوابية للامام الرضا عليه السلام حول المنافقين قال عليه السلام:

«لَيْسُوا مِنْ عِتْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَيْسُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَيْسُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ وَيُسِرُّونَ الْكُفْرَ وَالتَّكْذِيبَ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ»^(١).

ويقول الامام الصادق عليه السلام:

«مِنْ عَلَامَاتِ النِّفَاقِ: فُسَاوَةُ الْقَلْبِ وَجُمُودُ الْعَيْنِ وَالْإِضْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ وَالْحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا»^(٢).

وعلاوة النفاق ان يكون الظاهر غير الباطن^(٣).

عدم التيقن باجابة الدعاء

وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في سوء الظن.

التأخر في أداء فريضة الصلاة

الصلاة من أعظم العبادات وأجملها وأكثر تعبيراً عن العبودية للحق تبارك

وتعالى والخضوع له سبحانه.

١ - بحار الأنوار: ١٧٥/٦٩، باب ١٠٣، حديث ١.

٢ - اختصاص مفيد: ٢٢٨.

٣ - مصباح الشريعة: ٢٥.

والصلاة أعظم بركة على الانسان لأن الصلاة تحمي الانسان من الفحشاء والمنكر.

ولعظمة الصلاة وشأنها فقد كانت شعاراً لدعوة الأنبياء فكانوا عليهم السلام يقيمون الصلاة ويدعون أهلهم إلى اقامتها.

إن أداء الصلاة في أوقاتها هو من الواجبات، ومن حرم من هذه النعمة المباركة، فقد حرم الله ومن شفاعة الشافعين. الصلاة طريق الأنبياء وجهاد المرسلين وهي انعكاس جلي للقوانين الإلهية.

والصلاة بعد الاقرار بالدين هي سنام الاسلام، ولكل شيء قدره وشرفه وشرف الاسلام الصلاة.

والصلاة قلعة حصينة أمام هجمات الشياطين. وأن أحب الأعمال إلى الله الصلاة وهي خير الأعمال. وهي آخر وصايا الأنبياء وكانت الصلاة قرّة عين الرسول صلى الله عليه وآله وطالما سمع صلى الله عليه وآله يخاطب بلالاً: ارحنا يا بلال، وهي أفضل ما يتقرب الانسان به إلى عز وجل وهي عمود الدين، وسبب المغفرة وأول ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة الصلاة وأول ما ينظر في عمله ينظر في صلاته.

والصلاة لها أبلغ الاثر في تطهير الانسان من الكبر والغرور والتعالي على الآخرين وهي مدرسة التواضع.

وقبول الصلاة يتوقف على التقوى والورع عن محارم الله، والصلاة في وقتها وأداؤها في وقت الفضيلة كفضيلة الآخرة بالنسبة إلى الدنيا، وهي أحب إلى المؤمن من ماله وذريته.

وتارك الصلاة كافر ويحشر مع اليهود والنصارى أو المجوس والمستخف بالصلاة، بريء منه الله ورسوله.

ترك الصدقة والاحسان

الاحسان إلى الفقراء والتصدق على المساكين والبؤساء من أسباب رضا الله تبارك وتعالى ونزول الرحمة واجابة الدعاء ودفع البلاء .
قال سيدنا محمد ﷺ :

«الْصَّدَقَةُ تَمْنَعُ سَبْعِينَ نَوْعاً مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ أَهْوَتْهَا الْجَذَامُ وَالْبَرَصُ»^(١).

وجاء في الأثر : شافوا مرضاكم بالصدقة . والصدقة تطيب العمر وتزيد في الرزق^(٢).

حكاية عابد

كان رجل عابد من قوم موسى وكان صالحاً، ظل ثلاثين سنة يسأل عز وجل أن يرزقه ولداً؛ فلم يستجب دعاؤه . فانطلق إلى صومعة نبي من أنبياء بني اسرائيل وقال : يا نبي الله سأل الله أن يرزقني ولداً؛ فقد مضى ثلاثون عاماً وأنا ادعوه أن يرزقني ولداً فما اجيبت دعوتي .

فدعا له النبي وقال : يا عابد اجيبت دعوتي وسيهبك الله ولداً، ولكن قضى الله أن يكون موته في ليلة عرسه فرجع العابد إلى بيته وقص على زوجته ما قال النبي ؛ فقالت زوجته : سألنا الله أن يرزقنا ولداً بدعاء النبي فنتمنع بحياته حتى إذا بلغ امتحننا به وفجعنا ولكن رضى بقضاء الله ؛ فقال الرجل : لقد أصبحنا عجوزين فمن يدري أننا ندرك بلوغه ولعل الله قبضنا إليه قبل محنة فراقه .

١ - كنز العمال . ١٥٩٨٢ ؛ ميزان الحكمة : ٣٠٣٦/٧ ، الصدقة ، حديث ١٠٣٥٤ .

٢ - كنز العمال . ١٦١١٣ ؛ ميزان الحكمة : ٣٠٣٨/٧ ، الصدقة ، حديث ١٠٣٦٠ .

ومضت من الشهور تسعة وانجبت المرأة صبياً بهي الطلعة وتحملاً ما تحملاً من عبء تربيته حتى بلغ سن الرشد والكمال؛ فطلب من أبويه أن يزوّجاه؛ فراحا يتعلّان عليه حتى يتمتعا أكثر برؤيته ولكن الفتى راح يلحّ عليهما حتى وجداه فتاة مناسبة تليق به؛ فلما كانت ليلة عرسه وزفاه جلسا يترقبان سهم الأجل، حتى يصيبه فيحيل العرس إلى مأتم، ولكن مضت الأمور على ما يرام حتى أصبح الصباح ثم أعقبه صباح وصباح ومضى اسبوع فانطلقا إلى النبي في صومعته، واخبراه فقال: واعجباً! إنّ ما قلته لم يكن من نفسي ولكن الهمت الهاماً، فانظروا إلى ولدكما ما فعل؛ فدفع عنه القضاء والأجل.

فهبط الملاك يقرؤه من الله السلام ويقول قل لوالديه إنّ القضاء كما قلت ولكن الشاب عمل خيراً؛ فدفع الله عنه القضاء وحماه ذلك الخير... انه في ليلة عرسه كان يتناول طعامه فمرّ شيخ محتاج وطرق عليه الباب وطلب طعاماً فدعاه الشاب وقدم إليه طعامه، وقد استطيب الشيخ الطعام فلما انتهى رفع كفيه إلّٰي وقال: اللهم اطل في عمره وأنا ربّ العالمين قد أطلت عمره واضفت إليه ثمانين سنة حتى يعلم الناس أنه لا يضيع في حضرتي المحسنون ولا يخيب السائلون.

الفحش والبذاءة

اللسان من نعم الله سبحانه وبدونه لا يستطيع الانسان نطقاً ولا يحير كلاماً، ويستطيع الانسان أن يقول به خيراً فهو وسيلة ارشاد ونصح، به يتفاهم الناس ويتحاور المتحاورون ويشند المنشدون.

وهو مع ذلك كالسكين فمرّة تستعمل في ما فيه نفع الناس وخيرهم ومرّة ترتكب به الجرائم، فاللسان إذا استخدم في الغيبة والنميمة والبهتان ونشر الشائعات وقول الباطل والتفوه بالبذاءات فانه سيكون أخطر من سكين في أيدي

القتلة والمجرمين وقد قيل: اللسان جرمه صغير وجُرمه كبير.
يقول سيدنا محمد ﷺ:

إِنَّ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ (١).

وجاء في الأثر أن من مؤشرات شراكة الشيطان في عمل الإنسان هو الفحش في الكلام عندما لا يعبا الإنسان بما يقول أو ما يقال فيه (٢).
وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«الْبِدَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ» (٣).

من قال فحشاً في أخيه المسلم رفع الله من رزقه البركة وأوكله إلى نفسه (٤).

١ - كنز العمال : ٥٤٩/٣.

٢ - الكافي : ٢٢٣/٢ باب البدء ، حديث ١.

٣ - الكافي : ٣٢٥/٢ ، باب البدء ، حديث ٩.

٤ - الكافي : ٣٢٥/٢ ، باب البدء ، حديث ١٣.

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ الْبَلَاءَ»

اغفر لي الذنوب التي نفتح علي أنواع البلاء يا لهي !

ذنوب تنزل البلاء

ان الذنوب التي تنزل البلاء ثلاثة :

١ - عدم اغائة المكروب . ٢ - خذلان المظلوم . ٣ - ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

عدم اغائة المكروبين والملهوفين

يتعرض المرء في حياته إلى حوادث مؤسفة؛ خسارة مالية تعرضه إلى الافلاس ، فقدان عزيز وبلاء من البلاء تدفعه إلى الاستغاثة بإخوانه في الدين يستنجد بهم للوقوف إلى جانبه .

إلى العاطفة الانسانية والاخلاق النبيلة والشهامة تقضي أن يهب أخوته إلى نجدته والتضامن معه من أجل التخفيف عن آلامه ونصرته .

إن الذين يسمعون استغاثة الملهوف والمكروب ثم لا يهبون إلى نصرته والوقوف إلى جانبه وهم قادرون على تقديم المساعدة والعون، إن أولئك ليسوا

من الانسانية في شيء : فضلاً عن انتمائهم إلى الاسلام دين الله الحنيف .
يقول رسول الانسانية سيدنا محمد ﷺ :

«مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ» (١).

وسمع الامام الصادق عليه السلام يقول :

«مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كَرْبَهُ نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَ الْآخِرَةِ وَخَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ وَهُوَ تَلَجُ
الْفُؤَادِ وَمَنْ أَطْعَمَهُ مِنْ جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ وَمَنْ سَقَاهُ شَرْبَةً سَقَاهُ اللَّهُ
مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ» (٢).

وسمع عليه السلام كذلك يقول :

«مَنْ أَغَاثَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ اللَّهْفَانَ اللَّهْفَانَ عِنْدَ جَهْدِهِ فَتَنَفَسَ كَرْبَتَهُ وَأَعَانَهُ عَلَى
نَجَاحِ حَاجَتِهِ كَتَبَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُ بِذَلِكَ ثَنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ رَحْمَةً مِنْ اللَّهِ، يَعَجَلُ لَهُ
وَاحِدَةً يَصْلَحُ بِهَا أَمْرَ مَعِيشَتِهِ وَيَذْخِرُ لَهُ إِحْدَى وَسَبْعِينَ رَحْمَةً لِأَفْرَاحِ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهِ» (٣).

خذلان المظلوم

المظلوم هو أكثر الناس استحقاقاً للنصرة والتضامن ، ولا شيء أكد عليه أكثر
من مقاومة الظلم ونصرة المظلوم والدفاع عنه .
وقد أوصى الامام امير المؤمنين عليه السلام وهو في اللحظات الأخيرة من حياته

١ - الكافي : ١٦٣/٢ ، باب الإهتمام بأمر المسلمين ، حديث ١ .

٢ - الكافي : ١٩٩/٢ ، حديث ٣ .

٣ - الكافي : ١٩٩/٢ ، حديث ١ .

لولديه الحسن والحسين وكل من سيبلغه كتابه أي أوصى جميع الاجيال عبر
الزمن بمقاومة الظالم والدفاع عن المظلومين :

«كُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا»^(١).

أجل ان اروع شعار اسلامي يجسده المسلم المؤمن هو مواجهة الظالم.
قال سيدنا محمد ﷺ :

«مَنْ أَخَذَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ مُصَاحِبًا»^(٢).

وعن الامام علي عليه السلام :

«أَحْسَنُ الْعَدْلِ نَصْرَةُ الْمَظْلُومِ»^(٣).

ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضتان في غاية الاهمية وهما من
الواجبات الدينية التي يتوجب على كل من تتوفر فيه شروطهما النهوض واداء
المسؤولية.

كما ان تضييع هاتين الفريضتين وتركهما، معصية وذنب كبير وسبب في نزول
البلاء.

ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر محور الاديان الالهية.

وقد نهض الأنبياء عبر التاريخ الانساني الطويل بهذه المسؤولية الخطيرة من
أجل ترشيد حركة المجتمعات الانسانية وتصحيح مسار البشرية.

١ - نهج البلاغة : ٤٢١ ، لحكمة ٤٧ .

٢ - حار الأنوار : ٣٥٩/٧٢ ، باب ٨١ ، حديث ٧٤ .

٣ - غرر الحكم : ٤٤٦ ، ١٠٢١٠ : ميزان لحكمة : ٣٣٨٤/٧ ، الظلم ، حديث ١١٤٨٠ .

ان ترك هاتين القريضتين وعدم القيام بهما يعني ابقافاً لحركة النبوة ومسار الدين وسيؤدي إلى اضمحلاله وبالتالي انتشار الضلال وشيوع الفساد والجهل وخراب المدن وانحطاط المجتمعات الانسانية .
يقول القرآن الكريم :

﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(١).

ويقول أيضاً :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ... ﴾^(٢).

وعن رسول الله ﷺ :

«لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيَسْلَطَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ ثُمَّ يَدْعُوا خِيَارَكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ»^(٣).

١ - سورة آل عمران : ١٠٤ .

٢ - سورة التوبة : ٧١ .

٣ - محجة البيضاء . ٩٩/٤ ، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي كُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ وَكُلَّ خَطِيئَةٍ أَخْطَأْتُهَا»

واغفر لي يا الهي الخطايا والذنوب جميعاً.

عندما يرتكب الانسان معصية ما ولم تترك أثراً قوياً في القلب، يعني أنه ارتكبها عن عدم ترصد واصرار فان ذلك ذنب، لأن القلب ما يزال يحتفظ بنقائه وسرعان ما يستعيد صفاءه وقد تنقش عنه آثار الذنب كغيمة صيف عابرة. أما إذا استحال ارتكاب الذنب إلى ملكة، يعني تكرار المعصية في أي وقت وفي أي مكان، فان ذلك يتحول إلى خطيئة ولكن من الذنب والخطيئة دور في حجب جابة الدعاء، أي توقف فاعلية الدعاء وقد تكون الخطيئة أحياناً سبباً في نزول البلاء.

ومع كل هذ يبقى الرجاء والأمل بالغفران، لأن هذا من الواجبات الحتمية على لانسان في إلّا يدع اليأس والقنوط يتسلل إلى قلبه وعليه أن يدعو دائماً ويسأل الله السميع المجيب أن يتجاوز عن ذنوبه وخطاياها ما ظهر منها وما بطن؛ قال الله تبارك وتعالى:

«لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ»^(١).

« اَللّٰهُمَّ اِنِّى اَتَقَرَّبُ اِلَيْكَ بِذِكْرِكَ »

بتسبيحك وتنزيهك يا الهى اتقرب إليك .

خرائب الهجران

ان انشداد القلب إلى المادّة، إلى الحدّ الذي يستحيل إلى حجاب بين العبد وربّه، والاستغراق في الشهوات والانغماس في الملذّات والانصراف كلّياً إلى متع الحباة والانتقطاع نهائياً إلى أهل الغفلة وترك العمل الصالح والاسراف في الملبس والمأكل وتبذير الأموال والتساهل في أداء واجبات الشريعة، الالهية والتلوّث بالحرام؛ إن كل هذا وغيره هو من مؤشرات الهجران تلك الخرائب الموحشة التي تعكس تدهور الصلة بين الانسان وربّه وخالفه .

خرائب مخيفة ليس فيها سوى الديدان والافاعي والحيات وليس فيها سوى حيوانات المكر والخديعة والشيطنة . خرائب تضج من ويل الغارات والكذب والرياء والغيبة والنميمة والبهتان وقول الزور .

مثقلة بالقذارات والدناءات والزنا والسرقاات والخطايا .

خرائب تحكي كيف استولت الشياطين على كنوز الانسانية وكبلتها بالسلال والاغلال، ينوء فيها ابن آدم بعبء الخطيئة ويضجّ من القتل والغرور والحرص

والشهوة والخيانة والحسد والاحقاد.

خرائب تعجّ بالشياطين من الانس والجنّ وحيوانات كاسرة، في أهاب
أدمي كاذب والجميع غارق في مستنقع الرذيلة والفسق والفجور، وتتكاثر فيها
الظلمات فوقها فوق بعض!

أرض الوصال

من تلك الخرائب المظلمة الغارقة في أوحال الانحطاط، يهتف العقل ينادي
بالهجرة والخلاص والرحيل إلى أرض النور والمحبة والعشق.
وبنطلق صوت من اعماق الفطرة التي هي مستودع السرّ الالهي..
صوت يهتف للرحيل والهجرة إلى أرض الانسان..
والانسان إلى أرض الصدق والأمانة والحقيقة و لصفاء..
إلى أرض الحب والعبادة والشرف والكرامة الانسانية..
إلى أرض الزهد والقناعة والصبر والاستقامة والتقوى والحرية من أسر
السلاسل والأغلال. قال تبارك وتعالى مباركاً الهجرة إلى الحقيقة:

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ
يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ
أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾^(١).

الذكر

ان الباء في «بذكرك» تفيد السببية فيصبح المعنى يا الهي بسبب ذكرك اتقرب
إليك.

ومعاني الذكر ثلاثة :

١ - الذكر القلبي . ٢ - القرآن . ٣ - الرسول ﷺ .

الذكر القلبي

وهو مضاد للغفلة، فالغافل من يبدد عمره ويبعثر سنوات حياته في المحرمات والمعاصي والخطايا بعيداً عن العبادة، التي ذكر الله فيها الغفلة استغراق في الحرام والشقاء.

ان القلب عندما يكون معبداً للرب ينبض بذكر الله ويسبح بحمده وثنائه ويشكر الله سبحانه أن أرسل له رسلاً وأنزل عليه كتاباً وسراجاً منيراً، يهدي الضال ويرشد الحائر، ويهدي إلى الخير ويبلغ بالإنسان درجات الكمال.

وعندما يضيء القلب بالتقوى، فانه ينبض بحب الله تبارك وتعالى ويصبح في حالة فريدة من تلقي الاشراف والوعي ويبلغ بالمرء إلى مرحلة الوصال والقرب من المحبوب الحق..

لقد غفل قوم يونس النبي ﷺ عن ذكر الله ثم من الله عليهم، أن أرسل إليهم نبياً منهم يذكرهم بآيات الله فانتبهوا بعد غفلة واستيقظوا بعد رقاد.

وكاد العذاب أن ينقض عليهم ولكنهم استفاقوا في اللحظة الأخيرة، وهبوا إلى القلوات يمرغون وجوههم بالترائب ويكون نادمين ويسألون الله العفو والمغفرة فرحمهم الله وعفا عنهم وتجاوز عن خطاياهم.

وما أكثر الذين تمادوا في المعاصي والذنوب ثم تداركتهم رحمة من الله فتابوا فاغتسلوا بينابيع التوبة وتطهروا بدموع الندم، واشرق النور على قلوبهم؛ فاهتدوا بعد ضلال وسلكوا الطريق بعد طول تخط في الظلمات.

وما يزال التاريخ يذكر وجوهاً مشرقة في الهجرة إلى النور؛ فتلك آسية

زوجة فرعون، وفتية آمنوا وهم أصحاب الكهف وبهلول التباش والحرّ الرياحي و..
ولكل منهم قصة فريدة في الانتقال من الظلمات إلى النور ومن الباطل إلى
الحق.

القرآن الكريم

القرآن هو الذكر. قال تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١).

والقرآن الكريم يشتمل على المعارف والاحكام التي تضمن لمن عمل بها
وأخذها بقوة خسر الدنيا وسعادة الآخرة.

القرآن كتاب الحياة وفيه تفصيل وبيان كل شيء.

والقرآن يأخذ بالانسان ويسلك به طريق الكمال والهداية والصلاح.

ان التدبر في آيات القرآن مع ما في ذلك من الثواب ولأجر الجزيل؛ فانه
شفاء من كل داء، فهو الدواء النابع لداء الجهل الذي يصيب القلب، ولكن القرآن
يستطيع معالجة هذا المرض الخطير ويحرّره من الظلام الدامس فيستحيل القلب
إلى مركز اشعاع نوراني يشع بالمعرفة والعاطفة الانسانية النبيلة. ان العمل بالقرآن
هو مصدر الحسنات ودافع السيئات والملاذ في الدنيا والشفيع في الآخرة، كما ان
العمل بالقرآن يكفل للمجتمع حياة هادئة مطمئنة مفعمة بالفضيلة والقيم الأخلاقية
الرفيعة.

وقد أثبت التاريخ كيف انقذ القرآن الكريم العرب في شبه الجزيرة من
الضلال والضياع ووضعهم في طريق التقدم الازدهار والحضارة والمدنية؛ كما

وانقذهم من السقوط في هاوية جهنم وفتح لهم أبواب الخلود في جنات الفردوس .

يقول سيدنا محمد ﷺ :

«فَإِذَا أَلْتَبَسْتُ عَلَيْكُمْ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّهُ شَافِعٌ مُشَقَّعٌ وَمَاجِلٌ مُصَدِّقٌ وَمَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ»^(١).

وعن الامام السجاد عليه السلام قال :

«لَوْ مَاتَ مَنْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَمَّا اسْتَوْحِشْتُ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ مَعِيَ»^(٢).

وكيف يستوحش الانسان ومعه القرآن هدى ونور وطريق إلى الله الرحيم الغفور .

وكيف يستوحش من معه القرآن وهو روح وريحان وروض وجنان .
يقول عليه السلام أيضاً :

«آيَاتُ الْقُرْآنِ خَزَائِنُ فَكَلَّمَا فَتَحَتْ خَزَانَةً يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَنْظُرَ مَا فِيهَا»^(٣).

النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام

يقول سيدنا باقر العلوم محمد بن علي عليه السلام في ذيل رواية بالغة الاهمية حول مفاد الآية الكريمة من قوله تعالى :

١ - الكافي : ٥٩٨/٢ ، كتاب فضل القرآن ، حديث ٢

٢ - الكافي : ٦٠٢/٢ ، كتاب فضل القرآن ، حديث ١٣

٣ - كافي . ٦٠٩/٢ ، باب في قراءة القرآن ، حديث ٢

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^(١).

«وَنَحْنُ ذِكْرُ اللَّهِ وَنَحْنُ أَكْبَرُ»^(٢).

ولا ريب ان المقصود بالذكر هو ذكر النبي ﷺ وآله الاطهار عليهم السلام وهم اثنا عشر اماماً ورثوا عن النبي ﷺ ميراث الايمان والخلق العظيم. وهم مفسرو القرآن ومن لهم القدرة على بيان احكامه. وهم كنوز الايمان ومظاهر صفات الله واسمائه، وهم عدل القرآن والثقل الذي أوصى به رسول الرحمان.

وقد تواتر عنه ﷺ قوله: يوشك أن أدعى فاجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي^(٣). ان الالتفات إلى هذه الحقيقة وهي ان تطهير القلب من الرذائل وغسله من لقبايح واستحضار المفاهيم المعنوية للاسماء الحسنى والصفات المثلى للحق تبارك وتعالى وصونها من وساوس شياطين الانس والجن واداء الفرائض في وقتها والمبادرة إلى الاعمال الصالحة بشرط أن يكون كل ذلك لله سبحانه وفي سبيل الله وهذا هو الذكر، حيث لا أحد في قلب المؤمن سواه ولا يرى شيئاً إلا ورأى الله عز وجل ولا يحب شيئاً سوى الله.

لأن المؤمن ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(٤) والمؤمنون ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن

١ - سورة العنكبوت: ٤٥.

٢ - الكافي، ٥٩٨/٢، كتاب فضل القرآن، حديث ١.

٣ - ورد هذا الحديث الشريف كل متواتراً في كتب الحديث لدى الفريقين.

٤ - سورة البقرة: ١٦٥.

ذِكْرُ اللَّهِ (١)

وعندما يبلغ الانسان هذه المرحلة يكون في مأمن من همزات الشياطين، ولا توجد بعد ذلك قوّة يمكن أن تصرف الانسان عن ربّه وخالقه لأن كيد الشيطان كان ضعيفاً.

يقول مولى المتقين ويعسوب المؤمنين علي أمير المؤمنين :

« مَا رَأَيْتُ شَيْئاً إِلَّا وَرَأَيْتُ اللَّهَ قَبْلَهُ وَمَعَهُ وَبَعْدَهُ ».

ومن يبلغ هذه المرحلة تغمره السكينة والطمأنينة والسلام؛ فتراه كالجبس في ثباته والندى في صفائه والريحان في عطره وعبيره وشذاه.

لأن العاشق لا يرى شيئاً سوى المعشوق ولا هم له سوى رضا.

وهل هناك من هول أكبر من يوم عاشوراء وقد زلزلت الأرض زلزالها ولكن

الحسين عليه السلام سبط النبي ﷺ كان يقول في قلب الاعصار المجنون :

«إلهي! رضا بقضائك صبراً على بلائك تسليماً لأمرك لامعبود لي سواك».

« وَأَسْتَشْفِعُ بِكَ إِلَيَّ نَفْسِكَ »

وهل هناك شفيع غيرك فلا شفاعاة إلا بأذنك اشفع لي يا الهي .
ان هذا المقطع المؤثر من الدعاء يشير إلى هذه الحقيقة وهي :
ولاً: ان الداعي قد بلغ ذروة الانقطاع إلى الله عما سواه ، وقد قطع أمله بكل شيء وبكل سبب إلا الله عزوجل ، فالقلب منجبه بكلية إلى الله وحده وقد بلغ الايمان به حاله من الشهود والحضور بحيث لا يشعر بشيء غيره .
فالشفاعة له من عنده والشفيع الذي لا شك في قبوله الشفاعاة .
ثانياً: انه يعبر عن مشاعر انسان غارق في ذنوبه وآثامه بحيث لا تنفعه شفاعاة الشافعين ؛ فلا شفيع له سوى الله عزوجل ولن ينجيه من مصيره البائس إلا الله عزوجل . وفي هذا منتهى التذلل لله تبارك وتعالى .

معنى الشفاعاة

الشفاعة كما يقول أهل المعرفة نصره القوي للضعيف العاجز وهذا الانسان الضعيف العاجز ينطوي على قدر من المعرفة والايمان والعمل الصالح والاخلاق الحسنة .

ولكن ضعفه هو الذي جعله يتزلزل في المعصية ، كما ان الذنوب التي اقترفها لم

تطفئ حبه لله والايمان به والقيام بالعمل الصالح؛ بل انه اقتترف بعض الذنوب التي حالت دون وصوله إلى التكامل ومن ثم بلوغ رضوان الله ودخول الجنة .
ولهذا ومن رحمة الله عزوجل للخاطئين والمذنبين أن جعل سبحانه الشفاعة لمن عصاه من أهل الايمان نافذة أمل كبرى للصفح يوم القيامة ودخول الجنة .
فالشفاعة اذن يوم القيامة لا تنال الكافرين والمشركين والمعاندين والمنافقين وقد بين الله عزوجل ذلك في كتابه الكريم :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِيْنِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُوْنَ * عَنِ الْمُجْرِمِيْنَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّيْنَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِيْنَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِيْنَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّيْنِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِيْنُ * فَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِيْنَ ﴾ ^(١).

الشفاعة مظهر عظيم من الرحمة الالهية حيث تقصر بالانسان الاعمال يوم القيامة؛ فهو لا يستحق الجنة وربما يستحق دخول النار وهنا تأتي الرحمة الالهية بالشفاعة للمذنبين والذين ارتكبوا بعض المعاصي والخطايا والذنوب، فتسملهم آخر دفعة من الشفاعة ترحمهم عن النار وتدخلهم الجنة .

شروط الشفاعة

من خلال الآيات القرآنية والروايات الواردة عن ائمة الهدى عليهم السلام ان الشفاعة لا تنال إلا من أوتي نصيباً من الايمان والعمل الصالح فتكون الشفاعة جبراً لضعفه وزخماً جديداً في روحه فينجو من النار ويدخل الجنة .

الشفعاء في الدنيا والآخرة

من خلال الآيات والروايات ان الشفعاء في الدنيا والآخرة حيث شفاعتهم سبب في الهداية والنجاه وعامل في النمو والكمال وباعث في بلوغ الانسان رحمة الله وغفرانه وعفوه كما يبي:

الايمان، العمل الصالح، التوبة، القرآن، الأنبياء، الائمة، الشهداء، المؤمنون حقاً، العلماء الربانيون، لأن كل ما ذكر هو من اهداء الكفار والمشركين ونجاتهم في الدنيا من ظلمات الكفر والشرك فببركتهم اصبحوا مؤمنين وموحدين واصبحوا بعد الجهل عارفين.

من هنا فان ما ذكرناه من عوامل النجاه في الدنيا ستكون عوامل شفاعة يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين فالشفاعة لها مساحتها ودورها في التكوين والطبيعة والتشريع وهي من أصل أصول الاسلام من انكرها خرج عن دائرة الاسلام.

شفاعة الايمان

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِّن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾^(١).

شفاعة العمل الصالح

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾^(٢).

١ - سورة الحديد : ٢٨ .

٢ - سورة المائدة : ٩ .

شفاعة التوبة

عن معاوية بن وهب قال سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام قال :

«إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبه الله فستر عليه، فقلت: وكيف يستر عليه؟ قال: ينسي ملكيه ما كانا يكتبان عليه ويوحى (الله) إلى جوارحه وإلى بقاع الأرض أن اكتمى عليه ذنوبه فيلقى الله عز وجل حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب»^(١).

شفاعة القرآن

«إِذَا التَّبَسَّطَ عَلَيْكُمْ الْفِتْرُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَمَاجِلٌ مُصَدَّقٌ»^(٢).

١ - الكافي: ٤٣٦/٢، باب التوبة، حديث ١٢.

٢ - وسائل الشيعة: ١٧١/٦، باب استحباب التفكير، حديث ٧٦٥٧.

« وَأَسْأَلُكَ بِجُودِكَ »

« أَنْ تُذَيِّبَنِي مِنْ قُرْبِكَ وَأَنْ تُوزِعَنِي شُكْرَكَ وَأَنْ تُلْهِمَنِي ذِكْرَكَ »

الهي ! خذني إليك حتى اكون قريباً منك وليكن اسمك في قلبي وشكرك على
لساني يا رب !

وفي هذا المقطع من الدعاء يسأل أمير المؤمنين ثلاث درجات في طريق
السالكين إلى الله عز وجل :

١. الوصول إلى منزلة القرب .

٢. بلوغ مرتبة الشكر .

٣. الوصول إلى درجة الذكر .

ومن المؤكد ان بلوغ هذه المراتب الرفيعة لا يمكن تحقيقه إلا من خلال
الجود الالهي و لكرم المطلق .

فمن دون الفيض الالهي الذي ينعكس في اعماق العبد شوقاً ورغبة لا يمكن
أن ينقدم السالك إلى الله تبارك وتعالى خطوة واحدة .

ان جود الله سبحانه وكرمه وسخاءه هو الذي يوفق العبد لاختراق الحجب
الظلمانية وطوي المراحل في بلوغ المراتب العالية وما الدعاء الذي يطلقه الداعي
من اعماق قلبه إلا نفحة حب ازلية تغمر العبد المؤمن فيوفق للدعاء .

ان دعاء عرفة لسيدنا الحسين عليه السلام سبط رسول الله ﷺ يزخر بهذه المعارف التي تبين الكرم والجود الالهي .

«فلك الحمد والشكر يا من أقال عثرتي ونفّس كربتي وأجاب دعوتي وستر عورتي وغفر ذنوبي وبلغني طلبتي ونصرني على عدوي وأن أعدّ نعمك ومنك وكرائم متحك لا أحصيها يا».

مولاي أنت الذي مننت أنت الذي أنعمت أنت الذي احسنت أنت الذي أجملت أنت الذي أفضلت أنت الذي أكملت أنت الذي رزقت أنت الذي وفقت أنت الذي أعطيت أنت الذي أغنيت أنت الذي أقنيت أنت الذي آويت أنت الذي كفيت أنت الذي هديت أنت الذي عصمت أنت الذي سترت أنت الذي غفرت أنت الذي أقلت أنت الذي مكنت أنت الذي أعززت أنت الذي عضدت أنت الذي أيدت أنت الذي نصرت أنت الذي شفيت أنت الذي عافيت أنت الذي أكرمت تباركت وتعاليت فلك الحمد دائماً ولك الشكر واجباً»^(١).

ان هذا المقطع من الدعاء الكريم يقطر اعترافاً بالكرم والجود الالهي .
ومن يقرأ دعاء أبي حمزة الثمالي وهو من أدعية الامام السجاد عليه السلام يجد اشارة واضحة إلى هذه الحقائق الساطعة :

«سَيِّدِي أَنَا الصَّغِيرُ الَّذِي رَبَّيْتَهُ، وَأَنَا الْجَاهِلُ الَّذِي عَلَّمْتَهُ، وَأَنَا الضَّالُّ الَّذِي هَدَيْتَهُ، وَأَنَا الْوَضِيعُ الَّذِي رَفَعْتَهُ، وَأَنَا الْخَائِفُ الَّذِي أَمَنْتَهُ، وَالْجَانِعُ الَّذِي أَشْبَعْتَهُ، وَالْعَطْشَانُ الَّذِي أَرْوَيْتَهُ، وَالْعَارِي الَّذِي خَسَوْتَهُ، وَالْفَقِيرُ الَّذِي أَغْنَيْتَهُ، وَالضَّعِيفُ الَّذِي قَوَّيْتَهُ، وَالذَّالِيلُ الَّذِي أَعَزَّزْتَهُ، وَالسَّقِيمُ الَّذِي شَفَيْتَهُ، وَالسَّائِلُ الَّذِي أَعْطَيْتَهُ، وَالْمَذْنُبُ الَّذِي سَتَرْتَهُ، وَالْخَاطِلُ الَّذِي أَقْلَنْتَهُ، وَأَنَا الْقَلِيلُ الَّذِي

كَثْرَتُهُ، وَالْمُسْتَضْعَفُ الَّذِي نَصَرْتَهُ، وَأَنَا الطَّرِيدُ الَّذِي آوَيْتَهُ»^(١).

أجل لولا هذا الكرم المطلق والجود اللانهائي ما تمكن الانسان من السير إلى الله في طريق القرب الالهي.

مقام القرب

وهو أعلى مرتبة وآخر درجة يمكن أن يبلغها السالك في طريقة إلى الله وهذا لا يتحقق إلا من خلال العمل الصالح واجتناب كل ما هو محرّم حيث التقوى والورع شعار الانسان في كل شؤون حياته والمحافظة على استقامته في كل الظروف والاحوال ان طاعة الله والانتقطاع إلى عبادته سبحانه هي التي تيسر بلوغ العبد إلى مقام القرب الالهي حيث تتجلى حقيقة التوحيد في كل تفاصيل حياته ويصل المرء حالة الفناء فتكون ارادته هي ارادة الله عزوجل وهذا ما يصريح به الحديث القدسي:

«عَبْدِي أَطْعِنِي حَتَّى أَجْعَلَكَ مِثْلِي، أَقُولُ لِشَيْءٍ: كُنْ، فَيَكُونُ. تَقُولُ لِشَيْءٍ: كُنْ، فَيَكُونُ»^(٢).

وجاء في حديث آخر:

«أَنَا مَلِكٌ حَتَّى لَا أَمُوتُ أَبَدًا، عَبْدِي أَطْعِنِي أَجْعَلَكَ مَلِكًا حَيًّا لَا يَمُوتُ أَبَدًا»^(٣).

ان اهل المعرفة يعتقدون ان الهدف من جميع الطاعات والعبادات سواء كانت طاعات بدنية أو قلبية، ظاهرية أو باطنية، إنما هي الوصول إلى مقام القرب

١ - مقابيح الجنان/دعاء أبي حمزة الثمالي.

٢ - انيس الميلى: ١٥٢.

٣ - روح البيان.

الالهي، لأن العبد يقصد في كل أعماله القربة وانقياد ارادته إلى ارادة الحق تبارك وتعالى؛ يعني فناء ارادته في ارادة الرب بحيث لا تبقى ارادة إلا ارادة الله عز وجل.

والمسالك يخطو في طريق الطاعة صوب الحق تغمره رحمة من الله وتعضده اسماءه الحسنی ووصافه العليا ولهذا جاء في الحديث القدسي :

«مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، مَنْ أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»^(١).

اجل ان غاية الطاعة والعبادة هو بلوغ العبد مولاه وقرب المولى من العبد وهو ما عبّر عنه في الروايات بـ «مقام القرب».

ان أهل المعرفة والعاشقين يعتبرون كل افعال المقربين وصفاتهم قد ذابت تماماً وفنيت في افعال الله عز وجل وصفاته وهذا ما نجده في مفاد الآيات القرآنية والاحاديث القدسية والروايات المعتبرة الواردة عن سيدنا محمد ﷺ وأهل بيته الاطهار:

«إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: لَا يَزَالُ عَبْدٌ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَأَكُونُ أَنَا سَمْعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرُهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ، وَلِسَانُهُ الَّذِي يَنْطَلِقُ بِهِ، وَقَلْبُهُ الَّذِي يَغْفِلُ بِهِ، فَإِذَا دَعَانِي أَحْبَبْتُهُ، وَإِذَا سَأَلَنِي أُعْطِيتُهُ»^(٢).

وجاء في الأثر الشريف، قال النبي ﷺ :

«كَلَامُ الْمُتَّقِينَ بِمَنْزِلَةِ الْوَحْيِ مِنَ السَّمَاءِ، إِذَا وَجَدَتْ كَلِمَةً عَلَى لِسَانِ بَعْضِهِمْ

١ - مستدرک الرسائل : ٢٩٨/٥، باب استحباب ذکر الله، حديث ٥٩١٠؛ صفحات المبل : ٦٦

٢ - كنز العمال : ١١٥٥.

فَقِيلَ لَهُ: مَنْ حَدَّثَكَ بِهَذِهِ؟ فَيَقُولُ: حَدَّثَنِي قَلْبِي عَنْ فِكْرِي عَنْ سِرِّي عَنْ رَبِّي»^(١).

ولقد بلغ سيدنا محمد ﷺ ذروة هذا المقام. من أجل هذا روي عنه أنه قال:

«مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ»^(٢).

وعنه ﷺ أيضاً قال:

«لِي مَعَ اللَّهِ وَقْتُ لَا يَسْعُنِي فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ»^(٣).

ويلي سيدنا محمد ﷺ في بلوغ هذه المرتبة الرفيعة وصيه وخليفته من بعده

سيدنا علي عليه السلام وقد روي عنه قوله:

«مَعْرِفَتِي بِالنُّورَانِيَّةِ مَعْرِفَةُ اللَّهِ»^(٤).

كرامات مقربين

١ - كرامة للحاج السيد علي القاضي

مرض استاذي الكبير المرحوم الحاج الشيخ ابو الفضل النجفي الخونساري وكنت اتعلم على يديه سنوات طويلة، فعدته وكان ذلك قبل وفاته رحمه بشهور وأنا جالس قرب فراشه طلبت منه أن يروي لي كرامة من كرامات استاذ السيد علي القاضي رحمه فقال:

ذات ليلة اصطحبني لاستاذ مع جمع من تلامذته ومريديه إلى مسجد الكوفة للدعاء والمناجاة وطلب الحاجات من الله تبارك وتعالى.

١ - بحر المعارف: ٤٠/١.

٢ - بحار الأنوار: ٢٣٤/٥٨، باب ٤٥، في رؤية النبي، حديث ١: نفعات الليل: ٦٦.

٣ - بحار الأنوار: ٣٦٠/١٨، باب ٣: نفعات الليل: ٦٧.

٤ - بحار الأنوار: ١/٢٦، باب ١٤، حديث ١: نفعات الليل: ٦٧.

وكنا إلى جانب استاذنا مستغرقين في العبادة والصلاة ولما اوشكنا على الخروج ومغادرة المسجد ظهرت لنا أفعى مخيفة وفزعنا جميعاً إلا استاذنا المرحوم فقد كان في طمأنينة كاملة والتفت جهة الأفعى وقال: موتي.
وفجأة رأينا الأفعى تتصلّب كالخشبة في مكانها فغادرنا المسجد.
وبعد خطوات فكر أحد الاصدقاء بالعودة ليتأكد فيما يبدو من موت الأفعى فوجدها ميتة، والتحق بنا وانطلقنا عائدين إلى النجف الاشرف.
فجأة التفت الاستاذ إلى تلميذه الذي عاد وقال:
لقد ماتت الأفعى لحظة فلت لها موتي فلم عدت تتفحص ذلك وتتأكد من موتها؟!!

٢ - حكاية أخرى

حكى الميرزا طاهر التنكابني وهو من فلاسفة عصره قائلاً: خرجت من مدرسة «سبهار» الواقعة في ميدان «بهارستان» بطهران لانجاز عمل ما فلما عبرت إلى الجانب الآخر من الشارع رأيت وجهاً ليس غريباً علي فلما دفقت فيه إذا هو أحد زملائي في المدرسة فيما مضى فبادرت إليه وعانقته بشوق وسألته: ما ذا تفعل هنا؟

قال: كما ترى اتسكع!

قلت: اذن أنت ضيفي هذه الليلة لنذهب إلى حجرتي في المدرسة. ولّبي الدعوة وكان الجو بارداً فجلسنا إلى الكرسي^(١).

١ - يضع الإيرانيون تحت منضدة صغيرة ونصيرة لقوائم موقداً ثم يعطرون المنضدة سجّات رينجنز أفراد العائلة حول المنضدة وقد أدخلوا أرجلهم تحت السجّات لمدفءه ويقصرون سحر من الجبل من تجاذب أطراف الحديث. (المترجم).

ورحنا نرتشف الشاي وتتبادل اطراف الحديث ، فقال لي أثناء ذلك : هل ترغب في الذهاب معي إلى قم ؟ قلت : الجو باردٌ جداً ثم من أين نحصل على من يأخذني إلى قم ؟ ! ولكنه اصرَّ فقلت : سأتي معك . فجأة قال : وهذه قم كما ترى !! وجدت نفسي داخل مرقد السيدة فاطمة المعصومة وحتى اطمئن إلى أن ما أراه حقيقة وضعت « تربة الصلاة » في جيبتي ؛ وبعد أن زرنا قال : هذه طهران فوجدت نفسي جالساً إلى الكرسي في حجرتي وكانت التربة في جيبتي !

٣ - كرامتان لجابر الجعفي

جاء قوم إلى جابر الجعفي وكان من أصحاب الامام الصادق عليه السلام فسألوه أن يعينهم في بناء مسجدهم ؟ قال : ما كنت بالذي أعين في بناء شيء يقع منه رجل مؤمن فيموت ، فخرجوا من عنده وهم يبخلونه ويكذبونه ؛ فلما كان من الغد اتقوا الدراهم ووضعوا أيديهم في لبناء ، فلما كان عند العصر زلّت قدم البناّء فوقع ومات فعلموا حينئذٍ ان الرجل له كرامة عند الله^(١).

ويروي العلاء بن يزيد عن رجل من جعفي قال : خرجت مع جابر لما طلبه هشام حتى انتهى إلى السواد ، قال : فبينما نحن قعود وراع قريب منا اذ لفتت نعجة من شائه إلى حمل ، فضحك جابر ، فقلت ما يضحكك أبا محمّد ؟ قال : ان هذه النعجة دعت حملها فلم يجيء ، فقالت له : تتع عن ذلك الموضع فان الذئب عاما أول أخذ أخاك منه .

فقلت لأعلمن حقيقة هذا أو كذبه ، فجئت إلى الراعي فقلت له : يا راعي تبيعني هذا الحمل ؟ فقال : لا ، فقلت ولم ؟ قال : لأن أمه أفره شاة في الغنم واغزرها

درّة، وكان الذئب أخذ حملاً لها عند عام الأول من ذلك الموضع؛ فما رجع لبنها حتى وضعت هذا فدرّت؛ فقلت: صدق ثم اقبلت فلما صرت على جسر الكوفة نظر إلى رجل معه خاتم ياقوت، فقال: يا فلان خاتمك هذا البراق أرنيه. قال: فخلعه فأعطاه، فلما صار في يده رمى به في الفرات، قال الآخر: ما صنعت؟ قال: تحب أن تأخذه؟ قال: نعم قال: فقال بيده إلى الماء، فأقبل المال يعلو بعضه على بعض حتى إذا قرب تناوله وأخذه^(١).

مقام الشكر

وهو من المقامات الرفيعة العالية، والتي يحرص السالكون على بلوغها ولأهمية هذه الدرجة الرفيعة فقد بلغها قليلون جداً:

﴿وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِيَ الشُّكُورُ﴾^(٢).

ويقول المحدث العلامة المجلسي في الشكر:

«الشُّكْرُ أَلَا عِتْرَافٌ بِالنِّعْمَةِ ظَاهِراً وَبَاطِناً وَمَعْرِفَةٌ الْمُنْعَمِ وَصَرَفُهَا فِيمَا أَمَرَ بِهِ»^(٣).

وعن الامام الصادق عليه السلام:

«شُكْرُ النِّعْمَةِ إِبْتِنَابُ الْمَحَارِمِ»^(٤).

واختتم سيدنا الحسين خطابه في يوم عاشوراء الطويل قائلاً:

١ - رجال لكشي: ٤٤٥ - ٤٤٦، طبع دار احباء التراث.

٢ - سورة لسبأ: ١٣.

٣ - بحار الأنوار: ٢٦٨/٦٤، باب ١٤، حديث ١.

٤ - الكافي: ٩٥/٢، باب اشكر، حديث ١٠.

«فَجَعَلْنَا مِنَ الشَّاكِرِينَ»^(١).

ويقسم الراغب الاصفهاني الشكر إلى ثلاثة أقسام:

قلبي، لساني وعملي.

فالقلبي معرفة المنعم والنعمة.

واللساني الاعتراف والاقرار بالنعمة.

والعملي صرفها فيما أمر به المنعم.

وروي عن الامام الصادق عليه السلام: أن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام:

«يَا مُوسَى أَشْكُرْنِي حَقَّ شُكْرِي. فَقَالَ: يَا رَبِّ! وَكَيْفَ أَشْكُرُكَ حَقَّ شُكْرِكَ وَلَيْسَ

مِنْ شُكْرِكَ إِلَّا وَأَنْتَ أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ؟ قَالَ: يَا مُوسَى! الْآنَ شَكَرْتَنِي حَيْثُ عَلِمْتَ أَنَّ

ذَلِكَ مِنِّي»^(٢).

وجاء في دعاء سيدنا لحسين يوم عرفة:

«وَلَوْ خَرَصْتُ أَنَا وَالْعَادُونَ مِنْ أُنَامِكَ أَنْ أُوَدِّيَ شُكْرَ وَاحِدَةٍ مِنْ أَنْعَمِكَ مَا

اسْتَطَعْتُ إِلَّا بِتَوْفِيقِكَ»^(٣).

ويناجي داود النبي عليه السلام الله عز وجل بقوله:

«يَا رَبِّ! كَيْفَ أَشْكُرُكَ وَالشُّكْرُ نِعْمَةٌ أُخْرَى مِنْكَ أحتاج إليها إلى شُكْرٍ آخَرَ؟ فَقَالَ

اللَّهُ: يَا دَاوُدُ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ مَا بِكَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنِّي. فَقَدْ شَكَرْتَنِي».

وهذا غيض من فيض من كثير من الروايات في بيان الشكر اللساني غير ان

١ - الارشاد: ٩١/٢.

٢ - الكافي: ٩٨/٢، باب الشكر، حديث ٢٧، كما في اختلاف: نفحات الليل: ٦٨.

٣ - مفاتيح الجنان/دعاء عرفة.

أعظم الشكر وأجله هو الشكر العملي من خلال تجسيد الايمان الحقيقي والقيام بالأعمال الصالحة والتحلي بالأخلاق الكريمة والورع عن محارم الله.

عن مسمع بن عبد الملك قال: كنا عند أبي عبد الله بمنى وبين أيدينا عنب نأكله، فجاء سائل فسأله فأمر بعنقود فأعطاه؛ فقال السائل: لا حاجة لي في هذا إن كان درهم!

قال: يسع الله عليك، فذهب ثم رجع فقال: ردّوا العنقود فقال: يسع الله لك ولم يعطه شيئاً.

ثم جاء سائل آخر، فأخذ أبو عبد الله عليه السلام ثلاث حبّات عنب فناولها إياه فأخذها السائل من يده ثم قال: الحمد لله ربّ العالمين الذي رزقني. فقال أبو عبد الله عليه السلام مكانك فحثا ملء كفيه عنباً فناولها إياه، فأخذها السائل من يده ثم قال: الحمد لله الذي رزقني، قال أبو عبد الله مكانك ونادى على غلامه: يا غلام أي شيء معك من الدرهم؟ فإذا معه نحو من عشرين درهماً فيما حزرناه أو نحوها فناولها إياه فأخذها ثم قال: الحمد لله، هذا منك وحدك لا شريك لك فقال أبو عبد الله: مكانك فخلع قميصاً كان عليه؛ فقال: البس هذا، فلبسه فقال الحمد لله الذي كساني وسترني يا أبا عبد الله أو قال جزاك الله خيراً، لم يدع لأبي عبد الله عليه السلام إلا بهذا ثم انصرف، فذهب قال: فظننا أنه لو لم يدع له لم يزل يعطيه لأنه كلما كان يعطيه حمد الله أعطاه ^(١).

مقام الذكر

ان الذكر الذي يُلهمه العبد بعد تطهير القلب يختلف عن الذكر الذي ورد في

الدعاء. فالذكر الالهامي، هو أساس السعادة في الدنيا والآخرة والسبب في بلوغ الحقائق التي يقصر عن بلوغها الغافلون.

الذكر الالهامي، ذكر الحال لا ذكر القيل والقال، لأن ذكر القول هو لعب بالألفاظ وذكر الحال هو عروج القلب إلى رحاب يعيده المنال إلا لمن أراد الوصال.

ان ذكر الحال يفتح بصيرة الانسان فيرى جمال الحق وحينئذ يهيم العبد عشقاً من أجل لقاء المحبوب ومن أجل ذلك هتف سيدنا الحسين في الظهيرة العظمى من يوم عاشوراء:

تركت الخلق طُرّاً في هواكا وأيتمت العيال لكي أراكا

فلو قطعتني بالحب ارباً لما مال القواد إلى سواكا

الذكر الالهامي هو ما جعل سيدنا سيد الساجدين علي بن الحسين يناجي محبوبه ومعشوقه قائلاً:

وآنسنا بالذكر الخفي واستعمننا بالعمل الذكي والسعي المرضي^(١).

وهذا ما أشار إليه سيدنا محمد ﷺ في قوله:

«لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَذْكُرُ اللَّهَ فِي كُلِّ حَالٍ فِي أَنْوَارٍ خَمْسَةٍ: مَدْخَلُهُ نُورٌ،

وَمُخْرَجُهُ نُورٌ، وَكَلَامُهُ نُورٌ، وَغَدَائُهُ نُورٌ، وَمَنْظَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى النُّورِ»^(٢).

وليس هناك شيء أحلى لأهل المعرفة والسالكين في طريق الحب الألهي من ذكر الله، وهذا لا يتيسر للعبد حتى يقطع علائقه الدنيوية ويخترق الحجب الحيوانية، وينظهر بالعبادات الظاهرية والباطنية ويجتنب المعاصي ويتنزه عن الاخلاق السيئة.

١ - الصحيفة السجادية/المناجاة ١٣.

٢ - إخصال: ٢٧٧/١، المؤمن يتقرب... حديث ٢٠.

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ سُؤَالَ خَاضِعٍ مُتَذَلِّلٍ خَاشِعٍ، أَنْ تُسَامِحَنِي»
«وَتَرْحَمَنِي، وَتَجْعَلَنِي بِقِسْمِكَ رَاضِيًا قَانِعًا، وَفِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ مُتَوَاضِعًا»

أتذلل في حضرتك وكلّي خشوع.. أسألك العفو والرحمة والقناعة بنصيبِي يا
الهي !

ان الدعاء المنقوع بالدموع والخشوع، حيث القلب مفعم بالذكر وقد غمرت
سكينة الليل كل الاشياء، يوشك أن يخترق الحجب ويصل حضرة الحق .
قال الله عز وجل : لَنَبِيِّهِ مُوسَى بن عمران :

«يَا بَنَ عِمْرَانَ! هَبْ لِي مِنْ قَلْبِكَ الْخُشُوعَ، وَمِنْ بَدَنِكَ الْخُضُوعَ، وَمِنْ عَيْنِكَ الدُّمُوعَ
فِي ظُلَمِ اللَّيْلِ، وَأَدْعُنِي فَإِنَّكَ تَجِدُنِي قَرِيبًا مُجِيبًا»^(١).

ويصل الداعي في هذا المقطع من الدعاء إلى حالة روحية تتجسد فيها هذه
المعاني السامية :

الشعور بالأخوة ومدارة الناس .

الرحمة والرأفة .

القناعة بما رزقه الله .

التواضع والخشوع والخضوع في كل ظروف حياته .

وعلى الداعي أن يدرك هذه الحقيقة دون أدنى شك أو تردد:

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾^(١).

١- الشعور بالأخوة

حذر الدين الإسلامي الحنيف اتباعه والمؤمنين به من كل العلاقات السلبية والشاعر غير لسوية، تحاء من هم في وافع لأمر اخونه في الدين والانسانية ودعاهم إلى علاقات أخلاقية مفعمة بمشعر الأخوة والرحمة والانسانية؛ فقد حث الجميع على أداء الحقوق والقيام بالواجبات المتبادلة معتبراً ذلك التزاماً أخلاقياً وشرعياً يتحمل انتهاكها المسؤولية الكاملة؛ فيما يتعرض له من عواقب في الدنيا والآخرة.

ان ارساء آصرة الأخوة والعلاقة الروحية من ثمار تزكية النفس لأن الرذائل الأخلاقية من قبيل الغرور التكبر والأنانية والحرص والبخل والحسد سدود كبيرة، تقطع الطريق على ارساء آصرة الأخوة الإسلامية.

وقد جاء في الحديث النبوي الشريف عن سيدنا محمد ﷺ قوله :

«لَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَخَاسَدُوا وَلَا تَفَاطَعُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا.

الْمُسْلِمُ أَخُ الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَحْزَنُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ»^(٢).

وعنه ﷺ :

«فَذَارَءُ النَّاسِ نِصْفُ الْإِيمَانِ وَالرَّفْقُ بِهِمْ نِصْفُ الْعَيْشِ»^(٣).

١ - سورة الاسراء : ٧.

٢ - محجة البيضاء : ٣/٣٢٩، كذب آداب الصحبة والمعاشرة.

٣ - محجة البيضاء : ٣/٤٠١، كتاب آداب الصحبة والمعاشرة.

وعنه عليه السلام أيضاً:

«زَجَمَ اللَّهُ أَمْرَهُ سَهْلَ الْبَيْعِ، سَهْلَ الشِّرَاءِ، سَهْلَ الْإِقْتِضَاءِ»^(١).

وعنه عليه السلام كذلك:

«مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ تَرَكَ حَاسِبُهُ اللَّهَ حِسَاباً يَسِيراً»^(٢).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله:

«إِنَّ رَجُلًا كَانَ مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى حَسِبَ قَلَمٌ تَوَجَّدَ لَهُ حَسَنَةٌ، فَقِيلَ لَهُ هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ فَقَالَ: لَا، إِلَّا أَنِّي كُنْتُ رَجُلًا أَدَايْنِ النَّاسَ، فَأَقُولُ لِقَتِيَانِي سَامَحُوا الْمَوْسِرِينَ، وَأَنْظِرُوا الْمَعْسِرِينَ - وَفِي لَفْظٍ آخَرَ - تَجَاوَزَ عَنِ الْمَعْسِرِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَتَحَنَّنَ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكَ، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ»^(٣).

والأخوة درجة عالية من العلاقات الإنسانية وقد تصل في التزامنها الأخلاقية إلى أشدّ العقود الاجتماعية حساسية وهي عقد الزواج «فكذا عقد الاخوة فلاخيك عليك حق في المال وفي النفس وفي اللسان وفي القلب بالعفو والدعاء وبالاخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف وذلك يجمعه ثمانية حقوق:

الأوّل في المال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«مِثْلُ الْأَخْوَيْنِ مِثْلُ الْيَدَيْنِ يَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى».

١ - محجة البيضاء ١٨٦/٣، كتاب آداب لكسب والمعاش.

٢ - محجة البيضاء ١٨٦/٣، كتاب آداب الكسب والمعاش.

٣ - محجة البيضاء ١٨٦/٣، كتاب آداب الكسب والمعاش.

وإنما شبههما باليدين لا باليد والرجل لأنهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الأخوان إنما تتم أخوتهما إذا تراكفا في مقصد واحد، فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يفتضي لمساهمة في السراء والضراء والمشاركة في الحال والمال وارتفاع الاختصاص والاستيثار، والمواساة بالمال مع الإخوة على ثلاث مراتب:

أدناها أن تنزله منزلة عبدك وخادمك فتقوم بحاجته من فضل مالك فإذا طرأت له حاجة وكانت عندك فضلة على حاجتك أعطيته ابتداء ولم تحوجه إلى السؤال فإن أحوجته إلى السؤال فهو غاية التقصير في الأخوة.

الثانية أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته على المال؛ فقد قيل: كان أحدهم يشقُّ إزاره لأخيه نصفين.

الثالثة وهي العليا أن تؤثره على نفسك وتقدّم حاجته على حاجتك، فهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحايين، ومن ثمار هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضاً، كما روي أنه سعي بجماعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسين النوري فبادر إلى السياف ليكون هو أول مقتول؛ ففعل له في ذلك فقال: أحببت أن أؤثر إخواني بالحياة في هذه اللحظة؛ فكان ذلك سبب نجة جميعهم في حكاية طويلة.

فإن لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم أن عقد الأخوة لم ينعقد بعد في الباطن وإنما الجاري بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين، فقد قال ميمون بن مهران: من رضي من الإخوان بترك الإفضال

فليواخ أهل القبول وأما الدرجة الدنيا فليست أيضاً مرضية عند ذوي الدين^(١).
وجاء في الحديث النبوي الشريف:

«أَمَرَنِي رَبِّي بِمُدَارَاةِ النَّاسِ، كَمَا أَمَرَنِي بِإِدَاءِ الْفَرَائِضِ»^(٢).

وجاء أيضاً:

«ثَلَاثٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ لَمْ يَتِمَّ لَهُ عَمَلٌ: وَرَعٌ يَخْجِزُهُ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ، وَخُلُقٌ يُدَارِي بِهِ النَّاسَ، وَحِلْمٌ يَرُدُّ بِهِ جَهْلَ الْجَاهِلِ»^(٣).

وجاء أيضاً:

«إِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يُوضَعْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا تُزْعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ»^(٤).

وجاء أيضاً:

«لَوْ كَانَ الرِّفْقُ خُلُقًا يَرَى مَا كَانَ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَيْءًا أَحْسَنَ مِنْهُ»^(٥).

وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«ثَمَرَةُ الْعَقْلِ مُدَارَاةُ النَّاسِ»^(٦).

«مُدَارَاةُ الرِّجَالِ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ»^(٧).

١ - محجة البيضاء: ٣/٣٢٢، كتاب آداب الصحة والمعاشرة، باب ٢

٢ - تفسير المعين: ٣٦٥.

٣ - الكافي: ١١٦/٢، باب المداواة، حديث ١.

٤ - الكافي: ١١٩/٢، باب الرفق، حديث ٦ وتفسير المعين ٣٦٥.

٥ - الكافي: ١٢٠/٢، باب الرفق، حديث ١٣.

٦ - غرر الحكم: ٥٣، حديث ٤١٦.

٧ - غرر الحكم: ٤٤٥، حديث ١٠١٧٤.

«دَارِ النَّاسَ تَسْتَمْتِعْ بِإِخَانِهِمْ وَأَلْقِهِمْ بِالْبِشْرِ تُمِثْ أَوْفَاقَهُمْ»^(١).

وجاء عن سيدنا محمد ﷺ قوله:

«إِسْمُخْ يُسْمِخْ لَكَ»^(٢).

وروي عنه ﷺ أيضاً:

«تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ»^(٣).

٢ - الرحمة والرفقة

تحدث عن الرحمة في مطلع الكتاب، حيث تحدثنا عن الرحمة الرحيمية التي تشمل عباد الله المؤمنين الذين ينبغي أن يتوادوا ويتراحموا ويتواصلوا وإلاّ يظلم بعضهم بعضاً انطلاقاً من هذه القاعدة المتجذرة:

«ارحم ترحم»^(٤).

إن الإنسان الذي يتساهل في أداء الواجبات ولفرائض الالهية ولا يعمل بما أمر الله به ولا يجتنب المعاصي ولا يعاشر الناس بالحسنى عليه ألاّ يتوقع أن يعامله الله والناس بالرفقة والرحمة. وفي موضوع الرحمة ورد كثير من الروايات الهامة في كتب الحديث القيمة نشير إلى بعضها:

قال رسول الله ﷺ:

١ - غرر الحكم ٤٤٥، حديث ١٠١٨٠.

٢ - محجة البيضاء: ٣/١٨٦، كتاب الكسب واحماش، باب ١.

٣ - بحار الأنوار: ٥٨/١٢٩.

٤ - ايسر الميل: ١٦٦.

«إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَآخِرُ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

قال رسول الله ﷺ :

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ: هَلْ أَحْبَبْتُمْ لِقَائِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ يَا رَبَّنَا. فَيَقُولُ: لِمَ؟ فَيَقُولُونَ: رَجَوْنَا عَفْوَكَ وَمَغْفِرَتَكَ. فَيَقُولُ: قَدْ أَوْجِبْتُ لَكُمْ مَغْفِرَتِي»^(٢).

قال رسول الله ﷺ :

«يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ ذَكَرَنِي يَوْمًا أَوْ خَافَنِي فِي مَقَامٍ»^(٣).

قال رسول الله ﷺ :

«اللَّهُ تَعَالَى أَرْحَمُ بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْوَالِدَةِ الشَّقِيقَةِ بَوْلَدِهَا»^(٤).

قال رسول الله ﷺ :

«الْمُرَاجِمُونَ يَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِذَا رَحِمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»^(٥).

وجاء في الأثر أن موسى بن عمران عليه السلام سأل ربه وهو بناجيه: أي خصالي

- ١ - محجة البيضاء : ٣٨٤/٨ ، كتاب ذكر الموت وما بعده ، باب ٨
- ٢ - محجة البيضاء : ٣٨٤/٨ ، كتاب ذكر الموت وما بعده ، باب ٨
- ٣ - محجة البيضاء : ٣٨٤/٨ ، كتاب ذكر الموت وما بعده ، باب ٨
- ٤ - محجة البيضاء : ٣٨٥/٨ ، كتاب ذكر الموت وما بعده ، باب ٨
- ٥ - مستدرک الوسائل : ٥٥/٩ ، باب استحباب التراحم ، حديث ١٠١٨٧ .

رضيتها يا رب؟ قال: لما كنت ترعى غنم شعيب وكان الوقت قيظاً وقد فرّت ما عز
فذهبت وراءها حتى وجدت في أمرها نصباً حتى إذا أدركتها قلت لها لقد اجهدت
نفسك واياي ثم حملتها على عاتقك وعدت بها إلى غنمك فمن أجل رحمتك بها
ورأفتك اصطفيتك وأرسلتك^(١).

وجاء في الأثر:

قال رجل للنبي ﷺ: أحب أن يرحمني ربي. قال:

«إِرْحَمْ نَفْسَكَ وَارْحَمْ خَلْقَ اللَّهِ يَرْحَمَكَ اللَّهُ»^(٢).

وروي عن رسول الله ﷺ:

«تَعَرَّضُوا لِرَحْمَةِ اللَّهِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ»^(٣).

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَبْلَغُ مَا تُسْتَدْرُ بِهِ الرَّحْمَةُ أَنْ تُضْمِرَ بِجَمِيعِ النَّاسِ الرَّحْمَةَ»^(٤).

وعنه عليه السلام أيضاً:

«بِالْعَفْوِ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ»^(٥).

وعنه عليه السلام أيضاً:

رَحْمَةُ الضُّعَفَاءِ تَسْتَنْزِلُ الرَّحْمَةَ^(٦).

١ - ايسر الليل: ١٦٦.

٢ - تفسير المعين: ٥٨٠.

٣ - مجموعة الوزام: ١١٩/٢: تفسير المعين: ٥٨٠.

٤ - غرر الحكم: ٤٥٠، حديث ١٠٣٤٤: تفسير المعين: ٥٨٠.

٥ - غرر الحكم: ٢٤٦، حديث ٥٠٥٣: تفسير المعين: ٥٨٠.

٦ - غرر لحكم: ٤٤٩، حديث ١٠٣٣٣: تفسير المعين: ٥٨٠.

٣- القناعة والرضا بما رزقه الله

يتجلى الله عز وجل في عوالم الغيب والشهادة بعلمه وحكمته وعدله وبرحمته؛ فالعالم كله قائم على رحمته وباراداته؛ فهو فاطر كل شيء وخالق كل شيء وواهب كل شيء.

خلق الاشياء وقدر لها رزقها وكل شيء عنده بمقدار.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا...﴾^(١).

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾^(٢).

إن الله الكريم المطلق خلق الناس وهباً لهم أرزاقهم من خلال الكسب الحلال، زراعة وتجارة وصناعة وأعمال ايجابية أخرى هي حصيلة العقل والفكر والقوى البشرية التي منحها الله عز وجل عباده.

وقد أوجب الله تبارك وتعالى على عباده طلب الرزق الحلال وعدّه عبادة كبرى، حيث يجهد الانسان ويتعب ويتحمل المشاق ليكسب قوته بعرق جبينه، فالعمل من مفاتيح الرزق الحلال ومن الفرائض التي أوجبها الله تبارك وتعالى على العباد.

وقد ورد في ذلك العديد من الروايات عن سيدنا محمد ﷺ وآله الأطهار؛

قال سيدنا محمد ﷺ:

١ - سورة هود: ٦.

٢ - سورة الاسراء: ٣٠.

«طَلَبَ الْحَدَلِ فَرِيضَةً عَلَى كَيِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ»^(١).

«طَلَبَ الْحَدَلِ فَرِيضَةً بَعْدَ الْفَرِيضَةِ»^(٢).

«طَلَبَ الْحَدَلِ جِهَادًا»^(٣).

وتدخل في طلب الرزق ونيل البركات عوامل أخلاقية وعبادية كثيرة، فقد جاء في الحديث النبوي الشريف:

«دُمَّ عَلَى الطَّهَارَةِ يُوسَّعَ عَلَيْكَ فِي الرِّزْقِ»^(٤).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

«مُؤَاسَاةُ الْأَخِ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَزِيدُ فِي الرِّزْقِ»^(٥).

وعنه عليه السلام أيضاً:

«إِسْتِعْمَالُ الْأَمَانَةِ تَزِيدُ فِي الرِّزْقِ»^(٦).

وقال الامام الباقر عليه السلام:

«عَلَيْكَ بِالذُّعَاءِ لِإِخْوَانِكَ بِظَهْرِ الْغَيْبِ فَإِنَّهُ يَهِيلُ الرِّزْقَ»^(٧).

وقال الامام الصادق عليه السلام:

١ - جامع الاخبار ١٣٩، الفصل ٩٩: ميزان الحكمة: ٢٠٥٨/٥، الرزق، حديث ٧٢١١.

٢ - كنز العمال: ٩٢٠٣: ميزان الحكمة: ٢٠٥٨/٥، الرزق، حديث ٧٢١٢.

٣ - كنز العمال: ٩٢٠٥: ميزان الحكمة: ٢٠٥٨/٥، الرزق، حديث ٧٢١٤.

٤ - كنز العمال: ٤٤١٥٤: ميزان الحكمة: ٢٠٥٦/٥، الرزق، حديث ٧١٩٤.

٥ - الخصال: ٥٠٤/٢، حديث ٥٢: ميزان الحكمة: ٢٠٥٦/٥، الرزق، حديث ٧١٩١.

٦ - مشكاة الأنوار ١٢٨، الفصل السادس: ميزان الحكمة: ٢٠٥٦/٥، الرزق، حديث ٧١٩٢.

٧ - بحار الأنوار: ٣٨٦/٩٠، باب ٢٦، حديث ١٧: ميزان الحكمة: ٢٠٥٦/٥، الرزق، حديث ٧١٩٣.

«مَنْ حَسَّنَ بَرَّةَ أَهْلِ بَيْتِهِ زَيْدٍ فِي رِزْقِهِ»^(١).

وعنه عليه السلام أيضاً:

«حَسَّنَ الْخُلُقَ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ»^(٢).

ومن هنا يعدّ العمل جهاداً وعبادة، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«مَنْ أَكَلَ مِنْ كَدِّ يَدِهِ نَظَرَ إِلَهُهُ بِالرَّحْمَةِ ثُمَّ لَا يُعَذِّبُهُ أَبَداً»^(٣).

وعن صلوات الله عليه وآله:

«مَنْ أَكَلَ مِنْ كَدِّ يَدِهِ كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي عِدَادِ الْأَنْبِيَاءِ وَيَأْخُذُ ثَوَابَ الْأَنْبِيَاءِ»^(٤).

وعن الامام الرضا عليه السلام:

«إِنَّ الَّذِي يَطْلُبُ مِنْ فَضْلِ يَكْفِي بِهِ عِيَالَهُ أَكْبَرُ أَجْراً مِنَ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٥).

وقال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله:

«الْعِبَادَةُ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ تِسْعَةٌ أَجْزَاءٍ فِي طَلَبِ الْخَلَالِ»^(٦).

ان الرزق هو مائدة الوجود الكبرى حيث قسّم الرزاق رزقه الوفير فكل يأتيه

١ - بحار الأنوار: ٤٠٧/٦٦، باب ٣٨، حديث ١١٧؛ ميزان الحكمة: ٢٠٥٦/٥، الرزق، حديث ٧١٨٥.

٢ - مشكاة الأنوار: ٢٢١، الفصل الاول؛ ميزان الحكمة: ٢٠٥٦/٥، الرزق، حديث ٧١٨٧.

٣ - جامع الاخبار: ١٣٩، الفصل ٩٩؛ ميزان الحكمة: ٢٠٦٠/٥، الرزق، حديث ٧٢١٧.

٤ - جامع الاخبار: ١٣٩، الفصل ٩٩؛ ميزان الحكمة: ٢٠٦٠/٥، الرزق، حديث ٧٢١٨.

٥ - الكافي: ٨٨/٥، باب من كدّ، حديث ٢؛ ميزان الحكمة: ٢٠٥٨/٥، الرزق، حديث ٧٢٠٤.

٦ - جامع الاخبار: ١٣٩، الفصل ٩٩؛ ميزان الحكمة: ٢٠٥٨/٥، الرزق، حديث ٧٢٠٢.

رزقه على قدر؛ فهو سبحانه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.

ان اغداق النعم على العباد يعود إلى حكمته عز وجل ولكل رزقه فلا يظن من انعم الله عليه وأغدق عليه انه محبوب اثير عند الله؛ ولا يتصور الذي يعيش في ضيق وفي جشب ان ذلك من غضب الله فكلاهما امتحان واختبار؛ فالذي اوتي من النعم يتعين عليه الشكر والذي لا يملك قوته عليه أن يصبر والله سبحانه يجزي الشاكرين والصابرين. وشكر لنعمة يكون بالاتفاق على البأس والفقير فيدفع بذلك عن نفسه بلاء الدنيا وهوال يوم القيامة.

أما من كان في ضيق من العيش فيصبر لأن الاستقامة والصبر طريق يؤدي بالمرء إلى الجنة ورضوان من الله أكبر.

ان السعة والضيق في الرزق كلاهما اختبار للانسان ينظر هل يشكر ويصبر أم يكفر؟

يقول سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام :

«وَقَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا وَقَسَمَهَا عَلَى الضَّيْقِ وَالسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَنْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا وَلِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا»^(١).

ومن جانب آخر على المؤمن أن يرضى بما قسم الله له من الرزق وإلا يتعرض على نصيبه لأن تقسيم الرزق يأتي ضمن تقدير للمصلحة الهي وهذا ما يجهر به مولى الموحدين أمير المؤمنين عندما يناجي الله عز وجل قائلاً:

«أَنْ تُسَامِحَنِي وَتُرْحَمَنِي وَتَجْعَلَنِي بِقِسْمِكَ رَاضِياً قَانِعاً».

وتساءل نجله الامام الحسن المجتبي سبط رسول الله ﷺ قائلاً:

«كَيْفَ يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا وَهُوَ يَسْخَطُ قِسْمَهُ وَيَحْقِرُ مَنَزَلَتَهُ وَالْحَاجِمُ عَلَيْهِ اللَّهُ»^(١).

ويسأل سيدنا محمد ﷺ جبريل عن الرضا فيقول الأمين:

«الرَّاضِي لَا يَسْخَطُ عَلَى سَيِّدِهِ أَصَابَ مِنَ الدُّنْيَا أَمْ لَمْ يُصِبْ وَلَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِالتَّيْسِيرِ مِنَ الْعَمَلِ»^(٢).

وقال الامام الصادق عليه السلام:

«إِذَا رَضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ غَنِيًّا»^(٣).

ويقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ رَضِيَ مِنَ اللَّهِ بِمَا قَسَمَ لَهُ اسْتَرَحَّ بِدَنِّهِ»^(٤).

وعن الامام الصادق عليه السلام:

«مَنْ لَمْ يَرْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ إِيَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَضَائِهِ»^(٥).

ويفسر الامام علي عليه السلام الحياة الطيبة بالقناعة في قوله تعالى:

﴿ فَلَنُحْيِيَنَّكَ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾^(٦).

١ - مشكاة الأنوار: ٣٤، الفص السابع، ميزان الحكمة: ٢٠٩٠/٥، الرضا، حديث ٧٢٩٥

٢ - بحار الأنوار: ٣٧٣/٦٦، باب ٣٨، حديث ١٩.

٣ - الخصال: ١٦٩/١، حديث ١٢٢، ميزان الحكمة: ٢٠٩٢/٥، الرضا، حديث ٧٣٩٢

٤ - بحار الأنوار: ١٣٩/٦٨، باب ٦٣، حديث ٢٧، ميزان الحكمة: ٢٠٩٢/٥، الرضا، حديث ٧٣٩٥

٥ - بحار الأنوار: ٢٠١/٧٥، باب ٢٣، حديث ٣٤.

٦ - سورة النحل: ٩٧.

ويوصينا ﷺ قائلاً:

«إِنْتَقِمْ مِنْ جِرْصِكَ بِالْقَنُوعِ كَمَا تَنْتَقِمُ مِنْ غَدُوكَ بِالْقِصَاصِ»^(١).

ووفقاً لمعطيات ثقافة أهل البيت ﷺ ان الحرص والطمع لا يزيدان في الرزق ولا يزيدان في الثروة الحلال بل انهما بضطران الانسان للتورط في الحرام. والحرام يضعف اسس الايمان ويقضي على الاصول الاخلاقية ويدمر حياة الانسان في الدنيا والآخرة ويقضي على سمعة الانسان فيما القناعة بالحلال وبما قسم الله نبارك وتعالى هو الكثر الحقيقي الذي يمكن أن يصبح الانسان به غنياً هذا الكثر الذي لا ينفد أبداً.

يقول رسول الانسانية وخاتم الانبياء ﷺ:

«خِيَارُ أُمَّتِي الْقَانِعُ وَشِرَارُهُمُ الطَّامِعُ»^(٢).

ويروي الامام الباقر ﷺ قائلاً:

«أَكَلَ عَلِيٌّ مِنْ ثَمَرٍ دَقَلٍ ثُمَّ شَرِبَ عَلَيْهِ أَلْمَاءٌ ثُمَّ صَرَبَ عَلَى بَطْنِهِ وَقَالَ: مَنْ أَدْخَلَهُ بَطْنُهُ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ ثُمَّ تَمَثَّلَ:

فَإِنَّكَ مَهْمَا تُغَطِّ بِطْنِكَ سُؤْلَهُ وَفَرَجَكَ نَالَا مُنْتَهَى أَلْذَمِ أَجْمَعاً»^(٣)

ويقول الامامان الباقر والصادق ﷺ:

«مَنْ قَنِعَ بِمَا رَزَقَهُ اللَّهُ فَهُوَ مِنْ أَعْنَى النَّاسِ»^(٤).

١ - غرر الحكم: ٣٩١، حديث ٨٩٨١.

٢ - كنز العمال: ٧٠٩٥؛ ميزان الحكمة: ٥٠٥٤/١٠، القناعة، حديث ١٧١٤١.

٣ - كنز العمال: ٨٧٤١؛ ميزان الحكمة: ٥٠٥٤/١٠، القناعة، حديث ١٧١٤٣.

٤ - الكافي: ١٣٩/٢، باب القناعة، حديث ٩.

وقال الامام الصادق (عليه السلام) :

«إِقْنَعْ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِكَ، وَلَا تَتَمَنَّ مَا لَسْتَ نَائِلُهُ، فَإِنَّهُ مَنْ قَبِعَ شَيْعًا، وَمَنْ لَمْ يَقْنَعْ لَمْ يَشْبَعْ، وَخُذْ حَظَّكَ مِنْ آخِرَتِكَ»^(١).

ويقول الامام علي (عليه السلام) :

«كَيفَ يَسْتَطِيعُ عَلَى صَلَاحِ نَفْسِهِ مَنْ لَا يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ؟»^(٢).

٤- التواضع في جميع الاحوال

التواضع في طليعة القيم الاخلاقية النبيلة والتي تمهد للانسان طريقه إلى المقامات الروحية الرفيعة.

ويمكن أن نكتشف قيمته من خلال تضرع الامام في دعائه وهو يطلب من الله أن يرزقه نعمة التواضع لما لها من أثر انساني كبير.

والتواضع يكون أمام الحق وأمام الخلق والتواضع للحق هو في تنفيذ الاحكام الالهية سواء في الشؤون الدنيوية أو الاخروية وأن تكون عبادته نابعة من صميم القلب، بحيث تخف الجوارح للقيام بالأعمال العبادية وانجازها في نشاط وحيوية وخلوص نيّة.

والتواضع أمام الخلق هو إلّا يشعر لمرء انه أفضل من إخوانه المؤمنين فيتعالى عليهم وينظر إليه نظرة فيها شيء من الاحتقار. ومشاعر التواضع تجاه الناس تتجسد في طريقة تعامله وتسامحه مع الآخرين كما تتجسد أيضاً في الاحترام الكامل لهم والاحسان والتودد إليهم.

١ - الكافي: ٢٤٣/٨، حديث ٣٣٧.

٢ - غرر الحكم: ٢٣٨، حديث ٤٨٠٦.

القرآن والتواضع

القرآن الكريم يدعو المؤمنين ليس إلى التواضع أمام الحق فحسب بل والتواضع للناس المؤمنين ومن خلال كثير من الآيات التي خاطبت النبي ﷺ نكتشف قيمة التواضع الاخلاقية.

فالنبي ﷺ الذي هو سيد الخليقة وآخر الأنبياء في تاريخ البشرية وهو حبيب الله عز وجل نجد القرآن الكريم يخاطبه قائلاً:

﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

كما تعبر هذه الآية عن سمو التواضع الذي يوصل الانسان إلى أعلى مرتبة يمكن أن يبلغها بشر! قال تعالى:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

ونجد القرآن الكريم نفوراً من الاستكبار والمستكبرين في كثير من الآيات:

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾^(٣).

﴿الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾^(٤).

١ - سورة الحجر : ٨٨.

٢ - سورة القصص : ٨٣.

٣ - سورة النحل : ٢٣.

٤ - سورة الزمر : ٦٠.

التواضع في الروايات

روي عن سيدنا محمد ﷺ قوله :

«مَا لِي لَا أَرَى عَلَيْكُمْ خَلَاوَةَ الْعِبَادَةِ؟ قَالُوا: وَمَا خَلَاوَةُ الْعِبَادَةِ؟ قَالَ:
التَّوَاضُّعُ»^(١).

وقال أمير المؤمنين يصف تواضع قوم سابقين :

«وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّةٌ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرُ وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُّعُ، فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ
خُدُونَهُمْ، وَعَقَرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ. وَخَفَضُوا أَعْنَاقَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ»^(٢).
وقال ﷺ أيضاً :

«عَلَيْكَ بِالتَّوَاضُّعِ فَإِنَّهُ مِنْ أَكْبَرِ الْعِبَادَةِ»^(٣).

وروي عن الامام الصادق ﷺ قوله :

«التَّوَاضُّعُ أَنْ تَرْضَى مِنَ الْمَجْلِسِ بِدُونِ شَرَفِكَ، وَأَنْ تُسَلِّمَ عَلَى مَنْ لَاقَيْتَ. وَأَنْ
تَتْرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كُنْتَ مُحِقًّا. وَرَأْسُ الْخَيْرِ التَّوَاضُّعُ»^(٤).

وجاء في الحديث النبوي الشريف :

«إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عَبْدًا مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رِفْعَةٍ»^(٥).

١ - مجموعة الوزام: ٢٠١/١، بيان فضيلة التواضع، ميزان الحكمة: ٦٨٤٦/١٤، التواضع، حديث ٢١٨٢٥.

٢ - نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢، ومن خطبة له تسمى القصعة.

٣ - بحار الأنوار: ١١٩/٧٢، باب ٥١، حديث ٥.

٤ - بحار الأنوار: ١٢٣/٧٢، باب ٥١، حديث ٢٠.

٥ - بحار الأنوار: ١٨١/٧٤، باب ٧، حديث ١٥.

وجاء عنه عليه السلام أيضاً:

«إِنَّ التَّوَاضِعَ يَزِيدُ صَاحِبَهُ رِفْعَةً فَتَوَاضَعُوا يَرْفَعَكُمْ اللَّهُ»^(١).

يرى علماء الأخلاق أن صفة التكبر من الصفات القبيحة جداً وهي حالة شيطانية ناشئة عن الاحساس بالحقارة.

أما التواضع فهو الجادة الوسط التي ترتفع بالإنسان إلى إنسانيته فلا يكون ذليلاً ولا يكون طاغياً مستكبراً والتواضع كما تحاول الروايات تحديده هو تذلل الإنسان لله عز وجل فهو محور العبودية وانصاف الناس في المعاملة وانتهاج العدالة واحترام حقوق الآخرين.

تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم

عرف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بخلقته الجم وأدبه العظيم، فكان يقوم ويقعد مع المساكين والفقراء وما دخل عليه أحد إلا نهض له حتى وإن كان طفلاً. وكان أكثر أنسه بالبؤساء يتفقدتهم ويسأل عنهم. وكان مركبه بسيط يحلب نعجته بنفسه ويغسل ثيابه ويأكل مع خادمه وكان مع الناس كأحدهم.

تواضع أمير المؤمنين عليه السلام

كان الامام علي كسيده وابن عمه محمد صلى الله عليه وسلم في خلقه وتواضعه. قال ابن عباس رضي الله عنه:

«دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذئ قار وهو يخصف نعله فقال لي: ما قيمة هذا

النعل؟ فقلت لا قيمة لها! فقال ﷺ: والله أحب إلي من إمرتكم، إلا أن أقيم حقاً أو لأدفع باطلاً، ثم خرج فخطب الناس،^(١)

وكان الامام سلام الله عليه يرفع ثوبه بيده.

تواضع سليمان النبي ﷺ

أوتي سليمان الحكيم ﷺ ملكاً لم يؤته أحد قبله ولا بعده سخر الله الرياح والجن وعلمه منطق الطير وكانت مملكته من أعظم الممالك ولم تبطره السلطة ولم يغرّه السلطان؛ كطغاة التاريخ بل عاش حياته متواضعاً في غابة التواضع. وجاء في قصص سليمان النبي ﷺ:

ان نملة دبّت على سليمان فحملها ورمى بها، فوقعت النملة فقالت: ما هذه الصولة وما هذا البطش؟ أما علمت أنني أمة من أنت تعبه؟ فغشي على سليمان، فلما أفاق قال أئتوني بها، فأتوه بها فسألها، فقالت له: جلدي رقيق وبدني ضعيف وأخذتني ورميتني؛ فقال لها سليمان: اجعليني في حلّ فإني لم أقصد ذلك؛ فقالت بشرط أن لا تنظر إلى الدنيا بعين الشهوة ولا تستغرق في شهواتك وضحكك ولا يستعين أحد بجاهك إلا بذلته له.

قال: قد فعلت ذلك؛ قالت: أنت في حل^(٢).

١ - نهج البلاغة: الخطبة ٣٣.

٢ - قصص الأنبياء للشعالبي: ٢٩٦، دارالرائد لعربي بستان.

«اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ سُؤَالَ مَنْ اشْتَدَّتْ فَاقَتُهُ»

ها أنا يا الهي بائس فقير عصف به البؤس وأذلته الحاجة .

المالك الحقيقي الله

على الداعي وهو يترنم بهذا المقطع من الدعاء ، أن يرى بعين البصيرة حقيقتين :

الأولى : انه لا مالك في الوجود إلا الله عز وجل ؛ فهو نبغ الفيض وهو الغني المطلق .

الحقيقة الثانية : إنّ هويّة الانسان وذاته الحقيقية هي الفقر المطلق شأنه في ذلك شأن جميع مفردات الوجود الأخرى في عوالم الغيب والشهادة .

إنّ الله سبحانه هو الذي خلق الخلق وهو غني عنهم وهو الذي قدر أرزاقهم وما وجود الخلائق إلا رشحة قبض من وجوده تبارك وتعالى ونفحة رحمة من رحمته المطلقة وما أمره في الخيقة إلا كرمش من بصر يقول للشيء كن فيكون .

كل مفردات الوجود كانت في ظلمات العدم و«كن» هي وحدها التي أضاءت لهم رحاب الوجود ، وستنطفئ لأمره إن قال : «لا تكن» تنطفئ لتعود إلى ديار العدم والفناء .

ولو لا رحمته سبحانه ما كان هذا الوجود، فكيف للانسان أن ييأس من رحمته وقد وسعت كل شيء؟!

ان حاجة الكائنات إلى لطفه ورحمته وغناء عنها دليل على رحمته ولطفه ومحبه المطلقة ودليل على الفقر المطلق الذي تتصف به الكائنات.

انه هو الخالق المصور والرزاق ذو الطول وهو الودود الرحيم الكريم وهو الغفور المحيي لا شريك له في الخلق والرزق وكل الوجود مملكته. وهو مالك الملك رب العالمين مدبر أمور الخلائق أجمعين.

وأولئك الذين يشعرون بغناهم ويتطالون بجاههم وشرائهم لا يدركون ارتباطهم بنبع الفيض؛ قد اسكرتهم النعم وتدبستهم حالة من الشيطان يتقلبون في اللذائذ غافلين وما يشعرون انهم يأكلون ثمار اشجار الغفلة المرة قد عميت بصائرهم عن رؤية الرحمة المطلقة. وقد حرموا من الحضور في رحاب رب الوجود ربّ الأرباب حيث الكائنات تتضرع في حضرته وتطلب منه وتسأله وتشكر وتتغنى بوحدايته.

أما الغافلون فهم في غيهم سادرون قد استحالت حياتهم إلى غابة مظلمة لا تسمع فيها سوى أصوات حيوانات مسعورة يغير بعضها على بعض ويأكل بعضها بعضاً في غفلة عن مالك السموات والأرض رب العالمين.

وقد تحدث القرآن عن الغني المطلق الفياض ذي الرحمة الجامع لكل صفات الكمال سبحانه وتعالى:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(١).

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾^(٣).

وتحدّث الكتاب العزيز عن الانسان فوصفه قائلاً:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٤).

بل هو الفقير لمطلق... انه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا.

الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقه وأفاض عليه نعمه التي لا تحصى. ومن أجل هذا ينهض الانسان الذي عرف ربّه؛ ينهض في منتصف الليل يتاجي خالقه وربّه فيرفع كفيه إلى الله قائلاً: اللهم وأسألك سؤال من اشتدت فاقته...

أجل لا فاقة أشدّ من فاقة كل الكائنات إلى الله الغني المطلق الذي له ملك السماوات والأرض.

١ - سورة المائدة: ١٨.

٢ - سورة الحديد: ٢.

٣ - سورة لفتح: ١٤.

٤ - سورة فاطر: ١٥.

« وَأَنْزَلَ بِكَ عِنْدَ الشَّدَائِدِ حَاجَتَهُ »

وها قد نزلت بي النوائب وعصف بي البلاء أسألك يا الهي أن تساعدني .
الله سبحانه خلق الانسان وهياً له سبل الحياة وفتح أمامه طرق العيش وهذه
مائدة الوجود حافلة بكل النعم الالهية وهذا نهر الحياة يتدفق جارياً نعرض
المياه صخور ولكن المياه تظل تجري وتسير وهكذا قدرها الله عز وجل .
وبالرغم من أن رزق الانسان مكفول في هذه الحياة، حيث يجد كل رزقه
المقسوم؛ ولكن الله عز وجل يحب أن يسمع صوت عبده يطلب منه ويسأله ويقول
حاجته؛ حتى لا ينسى الانسان ويغفل عن هدفه وغايته في رحلة الحياة .
يا الله يا رحمن يا رحيم يا مفتاح اللطف والخير والبركة ويا حلال
المشكلات، افتح أمامي الطريق... طريق الحياة وأبعد عني غصص الحياة... أنت
يا رب خلقتني وربيتني، برحمتك وكرمك ساعدني واقض اللهم حاجاتي يا نبع
الفيض ومصدر الرحمة .

وعندما تتساب كلمات الانسان المؤمن منقوعة بدموعه مفعمة بصوت
متهدج، حينئذ تتجسد معاني العبودية لله، التي تحقق للانسان أرقى وأسمى أنواع
الحرية، لأنه عندما يعبد الله وحده ويسأل من الله وحده ولا يخشى شيئاً سوى الله
وحده، حينئذ يكون قد استنشق نسائم الحرية والكرامة الانسانية .

وما دام الله هو الخالق الرازق وهو مالك كل شيء وما دام قد قطع على نفسه الاستجابة عند الدعاء، فلم الهواجس واليأس وقد قال عز وجل :

﴿ اَدْعُونِي اَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾^(١).

أجل هو الحبيب الذي يشفق على عباده ويغمرهم برحمته .

جاء في الحديث القدسي الشريف :

«أيا مل عبدي في الشدائد غيري؟ والشدائد بيدي ويرجو سواي؟ وأنا الغني الجواد وأبواب الحوائج عندي، وبيدي مفاتيحها وهي مغلقة؛ فما لي أرى عبدي معرضاً عني وقد أعطيته بجودي وكرمي ما لم يسألني؛ فأعرض عني وسأل في حوائجه غيري، وأنا الله لا اله إلا أنا ابتدئ بالعطية من غير مسألة، أفأسئل فلا أجود؟ أليس الجود والكرم لي؟ أليس الدنيا والآخرة بيدي؟ فلو أن كل أهل السماوات والأرض سألني مثل السماوات والأرض وأعطيته ما نقص ذلك من ملكي جناح بعوضة فيا بؤساً لمن أعرض عني وسأل في حوائجه وشدائده غيري»^(٢).

١ - سورة غافر: ٦٠ .

٢ - أنيس الليل : ١٩٦ .

« وَعَظَمَ فِيمَا عِنْدَكَ رَغْبَتَهُ »

ليس هناك ما هو أعظم من الحب الالهي حيث تضطرم الحقيقة في أعماق
البشر فتأحج شعله العشق .
الامام علي حينما يتغنى بهذا الدعاء يعفر وجهه بالتراب متضرعاً إلى الله
سبحانه ويتوسل إليه بالحب الذي يضطرم لهيبه في الأعماق .
ولو أردنا ان نستعرض ما ادخر الله عزوجل لعبده ممّا لا عين رأت ولا أذن
سمعت ولا خطر على قلب انسان للزمن في ذلك عشرات المجلدات وينتهي عمر
الانسان وتبقى كلمات الله لا تنتهي ، وهذا غيض من فيض الآيات والنصوص
المقدسة .

ثواب الأعمال

خلق الله الانسان وفرض عليه أداء العبادات من صلاة وصوم وحج وزكاة
وجهاد في سبيل الله وخدمة الناس وأداء الحقوق الاجتماعية والواجبات وجعل
لكل ذلك ثواباً جزيلاً وأجرأ كبيراً ، وقد قطع الله عزوجل الوعد على نفسه أنه
يجري العاملين .

﴿ وَالَّذِينَ يُسْكُونُ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ

الْمُصْلِحِينَ ﴿١﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٣).

وقد أشار القرآن الكريم في حديثه عن الأجر إلى أنواع من الثواب:

١ - أجر عظيم. ٢ - أجر كريم. ٣ - أجر غير ممنون. ٤ - أجر كبير. ٥ - أجر

مضاعف.

قال تعالى:

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٤).

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (٥).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (٦).

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٧).

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ

١ - سورة الأعراف: ١٧٠.

٢ - سورة النوبة: ١٢٠.

٣ - سورة الهكف: ٣٠.

٤ - سورة آل عمران: ١٧٢.

٥ - سورة الحديد: ١٨.

٦ - سورة الفضلت: ٨.

٧ - سورة فاطر: ٧.

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ»^(١).

هكذا ثواب الله لمن آمن وعمل صالحاً وقال أنبي من المسلمين ثواب لا يزول ونعيم دائم لا ينتهي وكيف لا يكون كذلك والله سبحانه هو الغني السخي ذو الجود الكريم.

وقد تحدثت الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام عن الثواب الالهي يقول سيدنا علي عليه السلام:

«ثَوَابُ عَمَلِكُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِكُمْ»^(٢).

«ثَوَابُ الصَّبْرِ أَعْلَى الثَّوَابِ»^(٣).

«إِنَّ أَعْظَمَ الْمَثُوبَةِ مَثُوبَةُ الْإِتِّصَافِ»^(٤).

«ثَوَابُ الْجِهَادِ أَعْظَمُ الثَّوَابِ»^(٥).

ويقول الامام الباقر عليه السلام:

«النَّائِمُ بِمَكَّةَ كَالْمُجْتَهِدِ فِي الْبُلْدَانِ، وَالسَّاجِدُ بِمَكَّةَ كَالْمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ، وَمَنْ خَلَّفَ خَاجَاً فِي أَهْلِهِ كَانَ لَهُ كَأَجْرِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ يَسْتَلِمُ الْخَجَرَ»^(٦).

ويقول سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

١ - سورة الفصص: ٥٤.

٢ - تفسير المعين: ٢٩٩.

٣ - غرر الحكم: ٢٨١، فضيلة الصبر، حديث ٦٢٤٠؛ تفسير المعين: ٢٩٩.

٤ - غرر الحكم: ٣٩٤، الاتصاف ومدحه، حديث ٩١٠٦؛ تفسير المعين: ٢٩٩.

٥ - غرر الحكم: ٣٣٣، الفصل ٣ في الجهاد، حديث ٧٦٦٣؛ تفسير المعين: ٢٩٩.

٦ - محجة لبضاء: ١٥٣/٢، كتاب اسرار الحج، باب ١.

الْمُصْلِحِينَ ﴿^(١)﴾.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٢).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾^(٣).

وقد أشار القرآن الكريم في حديثه عن الأجر إلى أنواع من الثواب:
 ١ - أجر عظيم. ٢ - أجر كريم. ٣ - أجر غير ممنون. ٤ - أجر كبير. ٥ - أجر

مضاعف

قال تعالى :

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾^(٤).

﴿ إِنَّ الْمُسْدِقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾^(٥).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾^(٦).

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾^(٧).

﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ

١ - سورة الأعراف : ١٧٠.

٢ - سورة التوبة : ١٢٠.

٣ - سورة الهكف : ٣٠.

٤ - سورة آل عمران : ١٧٢.

٥ - سورة الحديد : ١٨.

٦ - سورة الفضل : ٨.

٧ - سورة فاطر : ٧.

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ»^(١).

هكذا ثواب الله لمن آمن وعمل صالحاً وقال أنني من المسلمين ثواب لا يزول ونعيم دائم لا ينتهي وكيف لا يكون كذلك والله سبحانه هو الغني السخي ذو الجود الكريم.

وقد تحدثت الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام عن الثواب الالهي يقول سيدنا علي عليه السلام:

«ثَوَابُ عَمَلِكُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِكُمْ»^(٢).

«ثَوَابُ الصَّبْرِ أَعْلَى الثَّوَابِ»^(٣).

«إِنَّ أَعْظَمَ الْمَثُوبَةِ مَثُوبَةُ الْإِنْصَافِ»^(٤).

«ثَوَابُ الْجِهَادِ أَعْظَمُ الثَّوَابِ»^(٥).

ويقول الامام الباقر عليه السلام:

«الْبَائِسُ بِمَكَّةَ كَالْمُجْتَهِدِ فِي الْبُلْدَانِ، وَالسَّاجِدُ بِمَكَّةَ كَالْمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ، وَمَنْ خَلَّفَ حَاجَاً فِي أَهْلِهِ كَانَ لَهُ كَأَجْرِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ يَسْتَلِمُ الْحَجَرَ»^(٦).

ويقول سيدنا محمد صلى الله عليه وآله:

١ - سورة القصص: ٥٤.

٢ - تفسير المعين: ٢٩٩.

٣ - غرر الحكم: ٢٨١، فضيلة الصبر، حديث ٦٢٤٠؛ تفسير المعين: ٢٩٩.

٤ - غرر الحكم: ٣٩٤، الانصاف ومدحه، حديث ٩١٠٦؛ تفسير المعين: ٢٩٩.

٥ - غرر الحكم: ٣٣٣، الفصل ٣ في الجهاد، حديث ٧٦٦٣؛ تفسير المعين: ٢٩٩.

٦ - محجة البيضاء: ١٥٣/٢، كتاب اسرار الحج، باب ١.

«رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»^(١).

يقول ﷺ أيضاً:

«حَرَسُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ يُقَامُ لَيْلُهَا وَيُصَامُ نَهَارُهَا»^(٢).

«إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَخَلَّى بِسَيِّدِهِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ وَنَاجَاهُ، أَثْبَتَ اللَّهُ النُّورَ فِي قَلْبِهِ»^(٣).

وقال سيدنا علي عليه السلام:

«قِيَامُ اللَّيْلِ مَصْحَةُ الْبَدَنِ وَرِضَى الرَّبِّ وَتَمَسُّكَ بِأَخْلَاقِ النَّبِيِّينَ وَتَعَرُّضُ لِرَحْمَتِهِ»^(٤).

وقال سيدنا محمد ﷺ:

«إِنَّ الْعَبْدَ لَيُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُسْحَبُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ: يَا رَبِّ هَذَا الَّذِي كَانَ يَدْعُو لَنَا فَشَقَّعْنَا فِيهِ. فَيُشَفَّعُهُمُ اللَّهُ، فَيُنْجُو»^(٥).

وعنه ﷺ أيضاً:

«أَلَا مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلِمَهُ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ فَأَنَا لَهُ سَائِقٌ إِلَى الْجَنَّةِ وَدَلِيلٌ إِلَى

١ - تفسير المعين: ١٩٣.

٢ - تفسير المعين: ١٩٣.

٣ - مستدرک الوسائل: ٢٠٧/٥، باب ٢٨، حديث ٥٧٠٨ تفسير المعين: ٤٥٩.

٤ - وسائل الشيعة: ١٥٠/٨، باب ٣٩، حديث ١٠٢٧٥.

٥ - الكافي: ٥٠٧/٢، باب الدعاء للاخوان، حديث ٩٥ روضة الواعظين: ٣٢٧/٢.

الْجَنَّةُ^(١).

الجنة

من الحقائق عند الله وأهل المعرفة هو الشوق إذ جعل الله عز وجل الجنة ثواباً لمن آمن به وأطاعه، وعمل بأحكامه... فجزاء للمؤمنين المحسنين الجنة خالدين فيها أبداً. من أجل هذا نجد في القرآن الكريم دعوة أكيدة وحثاً على الذهاب إلى الجنة في الآخرة، التي هي المستقبل الحقيقي للانسان:

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(٢).

﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾^(٣).

ان الجنة لا يستحقها إلا المؤمنون العامدون للصالحات المتقون وهي محرمة على الكافرين العصاة الخاطئين الذين استغرقوا في المعاصي والذنوب فهؤلاء لا يدخلون الجنة.

﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(٤).

١ - تفسير المعين: ٤٩٦.

٢ - سورة آل عمران: ١٣٣.

٣ - سورة الحديد: ٢١.

٤ - سورة المؤمن: ٤٠.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١).

جاء عن زين العابدين سيدنا علي بن الحسين عليه السلام أنه قال :

«إِعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ أَشْتَقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَارَعَ إِلَى الْحَسَنَاتِ وَسَلَا عَنْ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ بَادَرَ بِالتَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذُنُوبِهِ وَرَاجَعَ عَنِ الْمَحَارِمِ»^(٢).

ويقول الامام علي عليه السلام :

«ثَمَنُ الْجَنَّةِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ»^(٣).

وعن الامام الباقر عليه السلام :

«عَشْرٌ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِهِنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَالْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَحُجُّ الْبَيْتِ، وَالْوَلَايَةُ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ أَعْدَاءِ اللَّهِ، وَاجْتِنَابُ كُلِّ مُسْخَرٍ»^(٤).

١ - سورة التوبة : ٧١ - ٧٢.

٢ - بحار الأنوار : ١٣٩/٧٥، باب ٢١، حديث ٣.

٣ - غرر الحكم : ١٥٤، حديث ٢٨٧٦؛ ميزان الحكمة : ٧٩٤/٢، الجنة، حديث ٢٥٣٨.

٤ - لخصال : ٤٣٢/٢، حديث ١٦؛ ميزان الحكمة : ٧٩٦/٢، الجنة، حديث ٢٥٤٨.

رحمة الله

وتحدث القرآن الكريم بشكل واسع عن رحمة الله لعباده، ودعا الناس جميعاً إلى نيل رحمته عز وجل من خلال التوسل بالآيات والعمل الصالح والتوبة عن الذنوب وتقوى الله تبارك وتعالى :

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَآَعْتَصِمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ ۖ ﴾^(١).

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ ﴾^(٢).

﴿ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ۖ ﴾^(٣).

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۖ ﴾^(٤).

التوافر على أمور تحددها الأحاديث التالية :

يقول الامام الباقر عليه السلام :

«تَعَرَّضَ لِلرَّحْمَةِ وَعَفَوِ اللّٰهِ بِحُسْنِ الْمُرَاجَعَةِ، وَأَسْتَعِينَ عَلَى حُسْنِ الْمُرَاجَعَةِ

بِخَالِصِ الدُّعَاءِ وَالْمُنَاجَاةِ فِي الظُّلَمِ»^(٥).

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : احب أن يرحمني ربي .

قال ﷺ :

١ - سورة النساء : ١٧٥

٢ - انعام : ٥٤ .

٣ - انعام : ١٤٧ .

٤ - سورة الاعراف : ١٥٦ .

٥ - بحار الأنوار : ١٦٢/٧٥ ، باب ٢٢ ، حديث ١ .

«إِزْهِم نَفْسَكَ وَأَزْهِم خَلْقَ اللَّهِ يَزْهِمَكَ اللَّهُ»^(١).

وقد سبق أن تحدثنا عن رحمة الله عندما شرحنا المقطع الأول من الدعاء الكريم:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ».

ولكي نستطيع تفهم هذه الحقيقة، ينبغي التوقف عند بعض المفاهيم حول عفو الله تبارك وتعالى.

عفو الله عز وجل

العفو بمعنى غرض النظر وصرف النظر عن الجزاء والعقوبة بسبب الذنب ومحو الآثار المترتبة على السيئات.

وقد فتح الله عز وجل أبواب عفوهِ للتائبين العائدين من الذين عصوه في لحظة ضعف بشري ثم شعروا بالندم وطلبوا من ربهم المغفرة ولذا أكد الله سبحانه هذه الحقيقة في صريح آياته البينات قال تبارك وتعالى:

«إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا»^(٢).

ويقول سيدنا علي عليه السلام:

«أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَجُحْمَةٌ، وَرِضَاؤُهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ، يُقْضَى بِعِلْمٍ وَيَعْفُو بِحِلْمٍ»^(٣).

وسأل أعرابي رسول الله ﷺ قائلاً:

١ - كنز العمال: ٤٤١٥٤؛ ميزان الحكمة: ٢٠٠٤/٤، الرحمة، حديث ٧٠٠٤.

٢ - سورة النساء: ٤٣.

٣ - نهج البلاغة: الخطبة ١٦٠.

يا رسول الله! من يحاسب الخلق يوم القيامة؟ قال: الله عز وجل. قال:
 نجونا ورب الكعبة. قال: وكيف ذاك يا أعرابي؟ قال: لأن الكريم إذا قدر عفا^(١).
 وقال الامام علي عليه السلام:

«مَنْ تَنَزَّاهُ عَنْ حُرُمَاتِ اللَّهِ سَارَعَ إِلَيْهِ عَفْوُ اللَّهِ»^(٢).

١ - مجموعة الزمام: ٩/١.

٢ - بحار الأنوار: ٩٠/٧٥، باب ١٦، حديث ٩٥.

« اَللّٰهُمَّ عَظِّمْ سُلْطَانَكَ »

ما أوسع مملكتك يا رب !

ان الملكة الحقيقية هي مملكة الله أما الممالك الأخرى فهي ممالك اعتبارية، وسلطة الله هي السلطة المطلقة الحقيقية وهي وحدها السلطة الخالدة والسلطان الأبدي الذي لا حدود فيها للمكان والزمان.

سلطان الله يمتد إلى كل عالم... وحكمه مبسوط في جميع العوالم من غيب وشهود وهو وحده الملك علام الغيوب الجميع يحتاج إليه، خاضع في حضرته، وله سبحانه الحجة البالغة على من سواه ودليله ساطع وبرهانه قاطع.

العقل والنبؤات والرسالات وولياؤه هم حججه إلى يوم القيامة على من عصاه وتمرد عليه.

« وَعَلَا مَكَانُكَ »

ما أرفع شأنك يا رب !

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(١).

هكذا قال الله عن ذاته المقدسة ، فهو الكمال المطلق المنزه عن كل شيء وهو الجمال المطلق ذو الجلال . صفاته عين ذاته وذاته عين صفاته وأسماءه الحسنی أسماءه وصفاته العليا صفاته وقيام جميع الأشياء بقوميته والكائنات في قبضته وكل الأشياء في سعة رحمته .

أوصافه لا تحدّه وقوّته فوق جميع القوى ولا قوّة ذاتية إلّا قوّته وعظمته أعظم من كل المقدرات ولا قدرة إلّا قدرته وله السطوة تعالى شأنه .
وعلا مكانك تبارك وتعالى .

« وَخَفِيَ مَكْرَكَ »

وهل يمكن الهروب من سطوتك يا رب؟

المكر في غير الله بمعنى الخديعة والحيلة وهي مختصة بالإنسان، الذي يخادع ويحتال ولكن عندما تستخدم هذه المفردة مع الله عز وجل فيتحول معناها إلى لعقوبة والجزاء الإلهي، الذي لا يمكن الفرار منه والنجاة فأولئك العصاة السادرون في غيهم وضلالهم والذين هم مستغرقون في خطاياهم، لا يهمهم إلا التمتع بذنائبهم الهابطة ولا يتورعون عن ارتكاب أي فعل محرّم مستكبرين في الأرض بغير حق؛ قد ماتت ضمائرهم وانطفئت بصيرتهم وخمد صوت العقل في وجدانهم. يحسبون أنفسهم في أمان من عقوبة الله وجزائه ولكنهم في الحقيقة مستدرجون قد أمهلهم الله الذي يمهل ولا يهمل...

تتدفق عليهم النعم فيها فيما يتقلبون وبها يتمتعون فتتفاقم غفلتهم، وينسون ربهم؛ يرتكبون المعاصي تلو المعاصي فلا هم يكفون ولا إلى ربهم يرجعون ولا يتذكروه فيستغفرون.

يقول سيدنا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:

«إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَأَذْنَبَ ذَنْبًا أَتْبَعَهُ بِنِعْمَةٍ وَيُذَكِّرُهُ الْإِسْتِغْفَارَ، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ شَرًّا فَأَذْنَبَ ذَنْبًا أَتْبَعَهُ بِنِعْمَةٍ لِيُنْسِيَهُ الْإِسْتِغْفَارَ وَتَمَادَى بِهَا وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)»^(٢).

« وَظَهَرَ أَمْرُكَ »

أوامرك هي القاهرة يا الهي !
وما أمر الله عز وجل إلا كلمح بالبصر، فشيء ما هو في مكنون الغيب في ديار
العدم؛ فجأة يسطع في رحاب الوجود، هذا أمره سبحانه « التكويني » يقول للشيء
كن ! فيكون .

وأمر آخر له تبارك وتعالى « تشريعي » حيث القرآن الكريم احكامه سبحانه
التشريعية نزلت على قلب رسوله محمد ﷺ في كتابه العزيز القرآن الكريم وفيه
بيّن الله عز وجل الحلال والحرام، الحق والباطل، طريق الجنة وطريق النار فهو
حجته سبحانه على البشر إلى يوم القيامة .

« وَغَلَبَ قَهْرُكَ »

وأنت يا الهي الغالب على كل شيء
وقد تحدثنا عن ذلك في مطلع الكتاب فارجع إليه إن شئت .

« وَلَا يُمْكِنُ الْفِرَارُ مِنْ حُكُومَتِكَ »

وهل يوجد مكان في غير مملكتك يا رب؟!
الله عز وجل محيط بكل شيء فكل شيء تحت قدرته؛ مبدأ كل شيء وإليه
معاد كل شيء؛ فالإلى أين يمكن الفرار من حكومة الله؟!
جاء في الأثر أن رجلاً قال لسيدنا الحسين: يا بن رسول الله أنا رجل لا صبر
لي على المعصية فقال سيدنا الحسين: أفعل خمسة أشياء وأذنّب ما شئت:
- لا تأكل من رزق الله وأذنّب ما شئت.
- أخرج من مملكة الله وحكمه وأذنّب ما شئت.
- اطلب مكاناً لا يراك فيه الله وأذنّب ما شئت.
- وإذا جاءك ملك الموت فادفعه عنك وأذنّب ما شئت.
- وإن ساقك ملائكة العذاب إلى النار فلا تدخل فيها وأذنّب ما شئت، واطرق
الرجل برأسه إلى الأرض مفكراً، ثم رفع رأسه وانصرف وقد عقد عزمه على التوبة
والاستقامة.

أجل يمكن الفرار من الله ولكن كيف؟ لا يوجد طريق للفرار إلا إليه... إلا الله
وهذا أعظم ما يقوم به الإنسان من أجل خلاصه والنجاة في الآخرة.
ذلك أن الفرار إلى الله يعني الفرار من الأهواء النفسية، والتحرر من سيطرتها
من خلال العبودية لله سبحانه ووضع رضا الله عز وجل نصب العين.

«اللَّهُمَّ لَا أَحَدَ لِدُثُوبِي غَافِرًا، وَلَا لِقَبَائِحِي سَاتِرًا»
«وَلَا لَشَيْءٍ مِنْ عَمَلِي الْقَبِيحِ بِالْحَسَنِ مُبَدِّلًا غَيْرَكَ»

من يغفر الخطايا ومن يستر الانسان غيرك يا الهي !

غفران الذنوب

الغافر والغفور من أسماء الله الحسنی وصفاته العليا، ومعنى هذا ان الله عزوجل يتجاوز عن الذنوب عندما يتوب العبد ويعود إلى رشده.
فعلى المذنب ان ينتبه إلى صفة الغفور؛ هذه الحقيقة الكبرى التي تبعث على الأمل والرجاء في عودة العاصي والمذنب وقبوله في رحمة الله الواسعة.
ان اليأس من رحمة الله ... من غفراته من أكبر الذنوب وقد عدّها القرآن كفراً
قال تعالى:

﴿ إِنَّهُ لَا يَنْتَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(١).

وقد بشر القرآن عباد الله برحمة الله الواسعة وغفران الذنوب جميعاً:
﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ

اللَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^(١).

وهناك باقية من الآيات الكريمة المباركة تبشرنا بالرحمة والمغفرة:

«إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً»^(٢).

«وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»^(٣).

«فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»^(٤).

«وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»^(٥).

أجل إن من يتوب إلى الله يتوب الله عليه فإذا تاب الانسان واجتنب الكبائر ولم يصّر على الصغائر وقضى ما عليه من صلاة وصيام وردّ ما عليه من المظالم ووفى بحقوق الناس فان توبته هذه هي توبة حقيقية وإن الله عزوجل يقبل توبته. يقول سيدنا محمد ﷺ:

«أَمَّا عَلَامَةُ التَّائِبِ فَاَرْبَعَةٌ: النَّصِيحَةُ لِلَّهِ فِي عَمَلِهِ، وَتَرْكُ الْبَاطِلِ، وَلُزُومُ الْحَقِّ وَالْجِرْصُ عَلَى الْخَيْرِ»^(٦).

ويقول سيدنا علي عليه السلام:

«ما كان الله ليُفتح على عبد باب الشكر ويغلق عنه باب الزيادة، ولا ليُفتح على

١ - سورة الزمر: ٥٣.

٢ - سورة النساء: ٢٣.

٣ - سورة النساء: ٢٥.

٤ - سورة المائدة: ٣٩.

٥ - سورة الانفال: ٦٩.

٦ - تحف العقول: ١٨؛ ميزان الحكمة: ٦٣٨/٢، التوبة، حديث ٢١٢٦.

عبد باب الدعاء ويفلق عنه باب الإجابة، ولا يفتح لعبد باب التوبة ويفلق عنه باب المغفرة»^(١).

ستار العيوب

من صفات الحق تبارك وتعالى انه ستار العيوب؛ يذنب العبد ويعصيه والله يستر عليه فلا يطلع عليه أحد سواه.
ان الله يحفظ لهم كرامتهم أمام الناس ويترك لهم باب التوبة والعودة إليه مفتوحة في كل وقت.
يقول سيدنا محمد ﷺ:

مَنْ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَمَرَتْ جَوَارِحُهُ أَنْ تَسْتُرَ عَلَيْهِ، وَيَقَاعَ الْأَرْضِ أَنْ تَكْتُمَ عَلَيْهِ، وَأَنْسَيْتِ الْخَفْظَةَ مَا كَانَتْ تَكْتُبُ عَلَيْهِ^(٢).

ويقول معاوية بن وهب: سمعت الامام الصادق عليه السلام يقول:

إِذَا تَابَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ تَوْبَةً نَصُوحًا أَحَبَّهُ اللَّهُ فَسَتَرَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قُلْتُ: فَكَيْفَ يَسْتُرُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: يُنْسِي مَلَكِيهِ مَا كَتَبَا عَلَيْهِ مِنَ الدُّنُوبِ... فَيُلْقِي اللَّهُ حِينَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ شَيْءٌ يَشْهَدُ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنُوبِ^(٣).

تحول السيئات إلى حسنات

من صفات الله تبارك وتعالى الرحمة والمغفرة؛ يذنب العبد ويعصي ثم يتوب

١ - نهج البلاغة: الحكمة ٤٣٥.

٢ - بحار الأنوار: ٢٨/٦، باب ٢٠، حديث ٣٢.

٣ - الكافي: ٤٣٠/٢، باب توبه، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٢٨/٦، باب ٢٠، حديث ٣١.

إلى الله؛ فيتوب الله عليه ويغفر له ثم يبدّل الله سيئاته إلى حسنات.

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١).

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ...﴾^(٢).

وحول هذا الموضوع (تبدل السيئات إلى حسنات) كتب الكثير من المسائل العلمية والفلسفية والعرفانية، مع الإشارة إلى أن قسماً من الكتابات تعدّ في الحقيقة ذوقية.

فقد جاء في «تفسير نمونه»^(٣) وهو من تأليف مجموعة من المفسرين عدّه نفاسير منها:

١ - عندما يتوب الانسان ويؤمن بالله تشهد أعماقه تحولات جوهرية تشمل كل وجوده وهذا التحول الكبير في نفسه يبدل سيئات أعماله إلى حسنات بحيث لو كان قاتلاً فإنه سوف يكون مدافعاً عن حقوق المظلومين وسيواجه الظالمين. ولو كان زانياً فإنه سيصبح عفيفاً وهذا توفيق الهي يحدث للانسان في ظلال الايمان.

٢ - التفسير الآخر هو أن الله بلطفه وكرمه وفضله وانعامه بعد أن يتوب على عبده يمحو سيئاته ويثبت له مكانها حسنات.

وقد جاء في الأثر عن أبي ذر رضي الله عنه انه يحشر بعضهم يوم القيامة فيأمر الله أن

١ - سورة الفرقان: ٧٠.

٢ - سورة هود: ١١٤.

٣ - تفسير باللغة الفارسية ترجمت بعض أجزائه إلى العربية تحت عنوان: «التفسير الأمثل». لمترجم.

تعرض صغائر ذنوبهم وتستتر كبائرهما، فيقال له أنك فعلت في اليوم الفلاني الذنب الفلاني فيقرّ بذلك ونفسه تضطرب من الكبائر التي سيسأل عنها.
ثم يأمر الله عز وجل أن تبدل سيئاته حسنات، فيقول يا رب إن لي ذنوب كبيرة ولا أراها.

يقول أبو ذر ان رسول الله تبسم حتى رؤيت اسنانه ثم تلا قوله تعالى :

﴿ فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۖ ﴾^(١)

٣ - والتفسير الثالث: ان مراد القرآن الكريم من السيئات هي ليست أعماله بل الآثار السيئة التي طرأت على روحه ونفسه؛ فاذا تاب الانسان وآمن وعاد إلى الله تزول عن روحه آثار السوء وهذا معنى تبديل السيئات بالحسنات^(٢).

١ - سورة الفرقان : ٧٠.

٢ - نور الثقلين : ٣٣/٤.

٣ - تفسير نموه (التفسير الأمثل) : ١٦٠/١٥.

« لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ »

لا إله سواك منزّه أنت في سماواتك وأرضك .

ان جملة لا إله إلا الله يعبر عنها بالتهليل وسبحانك تسبيح وبحمدك حمد
وثناء على الله عز وجل .

فمن هلّل بها من كمل قلبه وعمل بها باخلاص وخلوص نيّة وصدق وأبطل ما
يعبد من دون الله يكون موحداً حقيقياً وسيتفياً ظلال الايمان الوارفة في الدنيا
والآخرة، يحبه الله وتحبه الملائكة ويحشر مع الأنبياء والصديقين والشهداء .

ان حقيقة التهليل لا تنجلى في أعماق الانسان إلا من خلال المعارف القرآنية
ومعرفة الأنبياء وبخاصّة سيدنا محمد ﷺ وآل بيته الكرام عليهم السلام فهم انعكاس
لأسمائه الحسنی وصفاته العليا، وهذا يتطلب تزكية للنفس وتطهيراً للروح من كل
أنواع الشرك والرجس؛ حيث يتألق القلب ويصبح كالمرآة؛ فيتلقى حينئذ الاشراق
والنور الذي يشعّ من نور السموات والأرض .

أجل يحقق الانسان ذلك بطي المسافات في طريق الحب الالهي منشداً:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

حينئذ يتجلّى جمال المعشوق في سماء النفس الانسانية فتتهف كل خلايا
الانسان « لا إله إلا الله » « لا مؤثر إلا الله » و« لا حول ولا قوة إلا بالله » .

وهل في رحاب الوجود غير الله رزاق وحلال مشكلات وغفار الذنوب والسيئات؟!!

وفي هذا المقطع من الدعاء يصل الانسان إلى التذلل في حضرة الله عز وجل فيعبر عن فقره ومسكنته وقرار بذنوبه ومعاصيه ويقول انه لم يجد من يغفر الذنوب غيره ولا من يستر عليه العيوب سواه ثم يهتف من صميم وجوده: لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك.

ثمن الجنة

ان من يهمل الله بالمعرفة والاخلاص لساناً وعملاً ما يعني انه ينفي كل معبود غير الله كل طاعة لغيره سبحانه ثم يعفر خذه بالتراب وجبهته فانه بذلك قد أعد ثمن الجنة وزحزح نفسه عن العذاب.

يقول الامام الرضا عليه السلام:

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حِصْنِي فَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي»^(١).

وقال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

«مَا جَزَاءُ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(٢).

وعنه صلواته الله عليه وآله:

«مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣).

وقال عليه السلام أيضاً:

١ - التوحيد للصدوق: ٢٤؛ بحار الأنوار: ٥/٣، باب ١، حديث ١٤.

٢ - توحيد الصدوق: ٢٢؛ بحار الأنوار: ٥/٣، باب ١، حديث ١٢.

٣ - توحيد الصدوق: ٢٩؛ بحار الأنوار: ٩/٣، باب ١، حديث ٢٠.

«قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثَمَنُ الْجَنَّةِ»^(١).

وعن الامام الصادق عليه السلام :

«مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِخْلَاصُهُ أَنْ تَخْجُزَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَمَّا

حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^(٢).

وعلى أية حال فان التوحيد هو طوق النجاة الذي يخلص الانسان من الشقاء الأبدى ؛ فعند ما يدرك الانسان ان الله عزوجل هو المعبود ولا معبود سواه وكل ما في الوجود هو ملك له عزوجل ؛ ثم أقرّ بعبوديته لله سبحانه وآمن بالرسول والأنبياء والكتب الالهية وأقرّ بخاتميه سيدنا محمد ﷺ وبالأئمة الأوصياء من آله ؛ فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ومن تمسك بحبل الله والتزم بأحكام الاسلام والشريعة الالهية ؛ فقد نجا ، ذلك ان الدين عند الله الاسلام .

وفي دنيا التوحيد الحق فان كل عمل للخير هو عمل ايجابي يسجل للمرء فيه حسنات وكل عمل سلبي يصدر بسبب غفلة فبامكان المرء تداركه بالتوبة والندم وتجديد الميثاق فيغفر الله له ان الله هو التواب الرحيم .

أما في خارج دائرة لتوحيد فلا أهمية لأي عمل ايجابي ولا يغفر للمرء فيه أي عمل سلبي مهما صغر .

وحتى المذنبين من أهل التوحيد والذين يستحقون النار ، بسبب ما اقترفوه ؛ فان الله سينجيهم من النار ببركة التوحيد ، وقد جاء في كثير من الروايات ما يؤيد ذلك .

١ - التوحيد الصدوق : ٢١ ؛ وسائل الشيعة : ٢١٠/٧ ، باب ٤٤ ، حديث ٩١٤٠ .

٢ - توحيد صدوق : ٢٧ ؛ بحار الأنوار : ١٩٧/٩٠ ، باب ٥ ، حديث ٢١

كما ورد في الأثر أن الله عز وجل يعذر كثيراً من أهل الكبائر من فارقوا الحياة بلا توبة؛ فلما سيقوا إلى النار وقذفوا في هاوية الجحيم صاحوا: لا إله إلا الله فارتدت عنهم لسنة النار لكلمة التوحيد.

فيأتي الخطاب من الله عز وجل يا نار لا تمسي جباههم فقد سجدوا لي، ولا تحرقي قلوبهم فقد ظمأت من أجلي.

فبمكتون ردها من الزمن ثم يهتفون باسم النبي ﷺ ليشفع لهم، فيشفع لهم النبي ﷺ فيخرجون من النار وعلى جباههم مكتوب: عتقاء الرحمن من النار.

التسبيح والحمد

التسبيح هو تنزيه الله عز وجل من كل عيب ونقص وهو في الحقيقة اعتراف كامل بالكمال المطلق لله سبحانه.

سئل النبي ﷺ عن تفسير سبحان الله فقال:

«قَفَرِيهِ اللهُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ»^(١).

أن الله سبحانه الله تعني تعظيم جلاله وتنزيهه من كل شرك، لأنه ليس كمثله شيء.

وقد أكد القرآن الكريم على أن كل شيء في الوجود من الذرة إلى المجرة يسبح بحمد الله:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(٢).

١ - ميزان الحكمة: ٢٣٦٢/٥ التسبيح، حديث ٨٢٤.

٢ - سورة الإسراء: ٤٤.

ولعل التسبيح في هذا المقطع من الدعاء مرتبة يصلها العبد بعد اقرار كامل قد سبق بالعصيان والخطأ وهما يمنعان الانسان من بلوغ القرب الالهي يعني سقوط في ظلمات النأي عن المحبوب .

وهنا يأتي التسبيح والتحميد كأفضل وسيلة للنجاة من الظلمات واذن فان النوح والبكاء والاخلاق في قول : سبحانك وبحمدك سيكون سبباً في الخلاص من الظلمات كما نجا يونس النبي ﷺ فيما مضى .

لقد كان يونس في ظلام الليل في ظلمات البحر وفي ظلمات أعماق الحوت :

﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾

وجاء في تفسير « منهج الصادقين » ان رسول الله ﷺ قال :

« مَا مِنْ مَكْرُوبٍ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ إِلَّا اسْتَجَبَ لَهُ » (١) .

ويروي المحدث المجلسي عن سيدنا محمد ﷺ :

« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ أَمْرٌ يَسْرُهُ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ .

وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ أَمْرٌ يَغْتَمُّ بِهِ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ » (٢) .

١ - سورة الأنبياء : ٨٧ - ٨٨ .

٢ - انيس الليل : ٢٢٦ .

٣ - بحار الأنوار ٣٣/٦٨ ، باب ٦١ ، حديث ١٤ .

« ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَتَجَرَّأْتُ بِجَهْلِي ، وَسَكَنْتُ إِلَى قَدِيمِ ذِكْرِكَ لِي وَمَنْكَ عَلَيَّ »

لم أنصف نفسي وكنت جاهلاً... لم أنكر الحقيقة بل غررت بنفسي وسكنت إلى لطفك القديم بي .

ظلم النفس

كل شيء في الوجود يهتف باسمك ويشير إليك يا رب... لقد عرفتكم ولكني لم آت إليكم ولم النفث إلى أحكامكم لم أضع جبهتي على التراب في حضرتكم ولم أمدّ كفي نحوكم... كنت عنك يا الهي غافلاً وهذا ظلم عظيم أنزله بنفسي !
النبوءات عبر التاريخ الطويل أعرفها جميعاً... الأنبياء جاءوا من أجل اسعاد البشر وأنت يا الهي أرسلتهم إلينا، أرسلتهم من أجل سعادة البشر... أرسلتهم من أجل هدايتهم وانقاذهم من وساوس الشيطان واغواء ابليس . اعترف يا الهي انني لم اصغ إلى صوت الرسل... لم أتأمل في كلمات الأئمة الطاهرين...
أجل استغرقت في الثقافات الأجنبية التي تأتي من مصادر لانعرفها لم أجعل نفسي تتشرب ثقافة أهل البيت تركتها تتلوث بثقافات ليست انسانية صافية... وهكذا ظلمت نفسي .

وهذا القرآن الكريم الذي أنزلته علينا يا رب وفيه ما فيه من تفصيل كل شيء

وبيان كل شيء هذا الكتاب الذي ينساب في تلاوته كنهر وفيه من الثألي كالبهر؛
هذا الكتاب الكريم وضعته وراء ظهري ولم التفت إلى ما فيه من الكنوز السماوية
والانسانية...

وهذا ظلم فادح أنزلته بنفسي... يا رب وقد نصبت لنا اناساً طاهرين يدلوننا
الطريق ويعرفونا سواء السبيل وهم ميراث سيدنا محمد ﷺ جعلتهم يا الهي عدلاً
للقرآن يفسرونه لنا ويقرأوه لنا؛ ويبينون لنا الحق من الباطل والغث من السمين
والصالح من الطالح.

وكم يا الهي تحملوا من أجلنا صنوف العذاب وظلم الطغاة ولكنهم ظلوا
يقاومون من أجلنا ويبتئون لنا الأحكام... أحكامك يا الهي وربّي وسيدي...
وكانوا لنا خير معلم وأفضل هاد ونعم العون...

وهذا يا الهي كتاب «نهج البلاغة» الذي هو شعاع من كتابك قد سما في بلاغته
وتألق في معانيه، التي هي جزء من معاني كتابك العزيز... حتى قيل: انه دون
كلامك وفوق كلام المخلوقين.

وهذه يا الهي «الصحيفة السجادية» زبور آل رسولك وحبيبك ونبيك الذي
اصطفيته، وفيها يا رب من الكلمات النورانية والمناجاة الالهية والمعاني التي
ترتفع بالانسان إلى قربك وجوارك...

أجل يا رب وكتب غير ذلك ألفها أولياؤك وصنفها عبادك الصالحون من
الذين عرفوا الطريق فسلكوه ودعوا الناس إليه.

لكني يا الهي ضربت صفحاً عن جميع ذلك فقد خطفت بصري مجلات براءة
وأخذت لي كلمات مزوّقة أجل خدعني زخرف القول عن سماع كلامك وأخذني
الضجيج بعيداً عن الاصغاء لصوتك... وهذا يا الهي ظم عظيم ظلمت به نفسي.

الجهل هو الذي يكمن وراء الخطيئة

ولو لا جهلي يا الهي لم اقترف ذنباً ولم اکتسب اثمًا ولم ارتكب معصية...
مستنقع الجهل يا رب أقعدني عن المسير إليك.

انها سحب الغباء والغفلة غطت على بصيرتي فلم أر جمال وجهك، ولو اني
رأيت جمالك يا الهي وسيدي لأدرکت قبیح ما أنا أفعله بنفسی... ولو أني يا خالقي
ويا دليلي اکتشفت صراطك ما انزلت قدمي في الهاوية إلى حيث جحيم فرقك
والبعد عن ظلالك... انه الجهل يا سيدي قادني إلى ما قادني من هذا المصير.

الاعتراف بالذنب

الهي أنت الذي غمرتني برحمتك مذ كنت جنيناً في بطن أمي... ما أنا يا
سيدي وما شأني وقد كنت نطفة من ماء مهين فصيرتني انساناً سوياً وجعلت لي
عقلاً أفكر به ويدين اعمل بهما وقدمين امشي عليهما، ومنحتني يا رب قلباً ينبض
بالعاطفة النبيلة.

أجل يا سيدي جئت إلى الدنيا ضعيفاً لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرراً فوجدت
حضناً دافئاً وغذاء شهياً لبناً سائغاً ووجدت صدراً حنوناً وعبوناً تحرسني وتفيض
علي بنظرات كلها رحمة ورأفة وقلوباً تزخر بالعاطفة وكل ذلك يا سيدي مصدره
منك ومنشأه من عندك جلّت ارادتك وعظمت قدرتك وتسامى مجدك...

غمرتني يا الهي بالنعمة وأفيضت علي يا واسع الكرم.

الهي فما الذي فعلته قبال احسانك وما الذي عملته جواباً على كرمك غير
الاستغراق في الغفلة والجهل واقتراف الذنوب فكأنني لا أعرفك وكأنك لا تراني
ولا تعلم بحالي... ولكن أبت رحمتك إلا أن تمهلني وحلمك إلا أن يستع للعصاة

مثلي، وكنت يا الهي تغمرني برحمتك وتوسع علي برزقك فلعلي أصمد في غفلتي وأعود إلى رشدي وأتذكر ميثاقك علي... فيا الهي ها أنا أتوب إلى نفسي وأقرّ بظلمي واعترف بجهلي... أجل يا رب ظلمت نفسي وقد سمعت يا سيدي من أوليائك أن الاقرار نجاة والاعتراف خلاص.

يقول الامام الباقر عليه السلام:

«وَاللّٰهُ مَا يَنْجُو مِنَ الذَّنْبِ إِلَّا مَنْ أَقْرَبَهُ»^(١).

وقال عليه السلام أيضاً:

«لَا وَاللّٰهِ مَا أَرَادَ اللّٰهُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَضَلَتَيْنِ: أَنْ يُقِرُّوْا لَهُ بِالنِّعَمِ فَيَزِيدَهُمْ، وَبِالذُّنُوبِ فَيَغْفِرَها لَهُمْ»^(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«الْمُقَرُّ بِالذَّنْبِ تَائِبٌ»^(٣).

وعنه عليه السلام أيضاً:

«شَافِعُ الْمَذْنِبِ إِقْرَارُهُ وَتَوْبَتُهُ إِعْتِزَارُهُ»^(٤).

اعتراف الشاب

حكى منصور بن عمار قال: خرجت ذات ليلة من منزلي ومررت بمنزل

١ - بحار الأنوار: ٣٦/٦، باب ٢٠، حديث ٥٦.

٢ - الكافي: ٤٣٦/٢، باب الاعتراف بالذنوب، حديث ٢: ميزان الحكمة: ٦٤٢/٢، التوبة، حديث ٢١٥٣.

٣ - مستدرک الوسائل: ١١٦/١٢، باب ٨٢، حديث ١٣٦٧١: ميزان الحكمة: ٦٤٤/٢، التوبة، حديث ٢١٥٥.

٤ - غرر الحكم: ١٩٥، حديث ٣٨١١: ميزان الحكمة: ٦٤٤/٢، التوبة، حديث ٢١٥٦.

فتناهي لي صوت مناجاة شاب يقول متضرعاً: «الهي لم أعصك يا إلهي وأنا قاصد لمخالفتك فقد غلبني هواي وخدعني الشيطان فظلمت نفسي وتعرضت لسخطك علي».

فاقتربت من شق في الباب وقرأت بصوت مسموع:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ
وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾^(١).

فسمعت أنه ترتفع خلفي.

فلما كان الغد مررت بذلك المنزل فرأيت عجوزاً تبكي وتقول كان ابني يبكي كل ليلة من خشية الله وفي الليلة الفائتة كان ينادي ربه فسمع صوتاً يقرأ آيات العذاب فصرخ وبكى ثم غشي عليه وفارقت روحه بدنه.

قلت لها أنا: من فعل ذلك، وقد عرجت روحه إلى عالم البقاء فدعيني اغسسه؟ قالت: هو ذاك فافعل، فرفعت عن وجهه قطيفة فوجدت على صدره مكتوب بخط أخضر نحن غسلنا هذا الفتي بماء التوبة^(٢).

عاقبة المذنب التائب

كان عبدالواحد بن زيد من زمرة الفساق والفجّار؛ فمرّ ذات يوم بمجلس يوسف بن الحسين وكان يعظ الناس وكان من العباد الزهاد فسمعه يقول والناس يصغون: «دَعَاهُمْ بِلُطْفِهِ كَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِمْ».

١ - سورة التحريم: ٦.

٢ - انيس الليل: ٢٣٣.

فرمى عبدالواحد جبّة كانت عليه وأعول كالمرأة وانطلق يجري صوب
المقبرة .

وفي تلك الليلة سمع يوسف بن الحسين في الرؤيا هاتفاً يقول له : أدرك
الشاب التائب !

يعني بشره بالمغفرة... وراح يوسف يبحث عن الشاب حتى وجده بعد ثلاثة
أيام في المقبرة وكان يعفر وجهه بالتراب ويناجي ويبكي ، فلما وقعت عينا الشاب
على يوسف قال : أرسلوك قبل ثلاثة أيام فتأتيني الآن قال هذا ثم لفظ انفاسه
وسلم روحه إلى واهب لروح .

«اللَّهُمَّ مَوْلَايَ كَمْ مِنْ قَبِيحٍ سَتَرْتَهُ»

«وَكَمْ مِنْ فَادِحٍ مِنَ الْبَلَاءِ أَقْلَتَهُ، وَكَمْ مِنْ عِثَارٍ وَقَيْتَهُ»

«وَكَمْ مِنْ مَكْرُوهٍ دَفَعْتَهُ، وَكَمْ مِنْ ثَنَاءٍ جَمِيلٍ لَسْتُ أَهْلًا لَهُ نَشَرْتَهُ»

أنت يا رب سترت عبوبي ، وما أكثرها . ودفعت عني المشكلات وما أجلها .
وحرستني من العثار . ودفعت عن طريقي كل مكروه . وكنت تنشر ثنائي وترفع
اسمي عالياً بين الناس وأنا لا استحق ذلك أبداً .

ان لذكر كلمة مولاي في حالة دعاء وانابة ممتزجة بالانين وفي قلب الليل
وقد تكاثفت الظلمات في تلك الساعات المفعمة بالسكينة من ليلة الجمعة المباركة
أن لها لذة ما بعدها لذة ومن أجل هذا قال موسى بن عمران يناجي ربه :

«إِنِّي لِي فِي كَشْكُولِ الْفَقْرِ مَا لَيْسَ فِي خَزَائِكَ .

فجاء النداء: وما ذا فيه يا موسى؟

قال: رباً مثلك».

ان من أعظم النعم على الانسان ستر العيوب وعلى الانسان أن يدرك أن الذي
يستر العيوب في الدنيا يستر العيوب في الآخرة . وان الله الذي حفظ للانسان
كرامته أمام الناس يحفظ له سمعته أمام المؤمنين يوم القيامة .
وقد جاء في الحديث الشريف عن سيدنا محمد ﷺ قال :

« مَا سَتَرَ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ »^(١).

وقد ورد في الأثر عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ : ان جبرئيل نزل عليه بهذا الدعاء من السماء ونزل عليه ضاحكاً مستبشراً فقال : لسلام عليك يا محمد ﷺ قال : وعليك السلام يا جبرئيل ، فقال : ان الله عز وجل بعث إليك بهدية ، فقال : وما تلك الهدية يا جبرئيل ؟ قال : كلمات من كنوز العرش أكرمك الله بها ، قال : وما هن يا جبرئيل ؟ قال : قل :

« يَا مَنْ أَظْهَرَ الْجَمِيلَ وَسَتَرَ الْقَبِيحَ ، يَا مَنْ لَمْ يُؤَاخِذْ بِالْجَرِيرَةِ وَلَمْ يَهْتِكِ السِّتَرَ ، يَا عَظِيمَ الْعَفْوِ يَا حَسَنَ التَّجَاوُزِ ، يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ يَا بَاسِطَ الْيَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ ، يَا صَاحِبَ كُلِّ نَجْوَى وَمُنْتَهَى كُلِّ شَكْوَى ، يَا كَرِيمَ الصَّفْحِ ، يَا عَظِيمَ الْفَنِّ ، يَا مُبْتَدِئاً بِالنِّعَمِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا ، يَا رَبَّنَا وَيَا سَيِّدَنَا وَيَا مَوْلَانَا وَيَا غَايَةَ رَغْبَتِنَا ، أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ أَنْ لَا تُشَوِّهَ خَلْقِي بِالنَّارِ ».

فقال رسول الله ﷺ لجبرئيل : ما ثواب هذه الكلمات ؟ قال : هيهات هيهات انقطع العمل لو اجتمع ملائكة سبع سماوات وسبع أرضين على ان يصفوا ثواب ذلك إلى يوم القيامة ما وصفوا من كل جزء جزءاً واحداً فاذا قال العبد :

« يَا مَنْ أَظْهَرَ الْجَمِيلَ وَسَتَرَ الْقَبِيحَ » ستره الله ورحمه في الدنيا وجمله في الآخرة وستر الله عليه ألف ستر في الدنيا والآخرة ، وإذا قال « يَا مَنْ لَمْ يُؤَاخِذْ بِالْجَرِيرَةِ وَلَمْ يَهْتِكِ السِّتَرَ » لم يحاسبه الله يوم القيامة ولم يهتك ستره يوم تهتك الستور ، وإذا قال : « يَا عَظِيمَ الْعَفْوِ » غفر الله له ذنوبه ولو كانت خطيئته مثل زبد البحر ، وإذا قال : « يَا حَسَنَ التَّجَاوُزِ » تجاوز الله عنه حتى السرقة وشرب الخمر

وأهاويل الدنيا وغير ذلك من الكبائر، وإذا قال: «يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ» فتح الله عز وجل له سبعين باباً من الرحمة فهو يخوض في رحمة الله عز وجل حتى يخرج من الدنيا، وإذا قال: «يَا بَاسِطَ الْيَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ» بسط الله يده عليه بالرحمة، وإذا قال: «يَا صَاحِبَ كُلِّ نَجْوَى وَمُنْتَهَى كُلِّ شَكْوَى» أعطاه الله من الأجر ثواب كل مصاب وكل سالم وكل مريض وكل ضرير وكل مسكين وكل فقير وكل صاحب مصيبة إلى يوم القيامة، وإذا قال: «يَا عَظِيمَ الْقَمَرِ» أعطاه يوم القيامة منيته ومنية الخلائق، وإذا قال: «يَا كَرِيمَ الصَّفْحِ» أكرمه الله تعالى كرامة الأنبياء، وإذا قال: «يَا مُبْتَدِئاً بِالنِّعَمِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا» أعطاه الله من لأجر بعدد من شكر نعماءه، وإذا قال: «يَا رَبَّنَا وَسَيِّدَنَا» قال الله تبارك وتعالى: أشهدوا ملائكتي أن قد غفرت له وأعطيته من الأجر بعدد من خلقتة في الجنة والنار والسموات السبع والأرضين السبع والشمس والقمر والنجوم وقطر الأمطار وأنواع الخلق والجبال والحصى والثرى وغير ذلك والعرش والكرسي، وإذا قال: «يَا مَوْلَانَا» ملأ الله قلبه من الإيمان، وإذا قال «يَا غَايَةَ رَغْبَتِنَا» أعطاه الله يوم القيامة رغبته ومثل رغبة الخلائق، وإذا قال: «أَسْأَلُكَ يَا إِلَهَ أَنْ لَا تُشَوِّهَ خَلْقِي بِالنَّارِ» قال الجبار جل جلاله: استعتقني عبدي من النار أشهدوا ملائكتي أن قد أعتقته من النار واعتقت أبويه وأخوانه وأهله وولده وجيرانه، وشفعته في ألف رجل ممن وجبت لهم النار وأجرتهم من النار، فعلمهن يا محمد المتقين، ولا تعلمهن المنافقين فانها دعوة مستجابة لقائلهن إن شاء الله تعالى، وهو دعاء أهل البيت المعمور حوله إذا كانوا يطوفون به^(١).

جدير ذكره هنا انه لا ينبغي أن تتعجب لعظم ذلك الثواب العظيم لقراءة هذا الدعاء ذلك ان الكرم والجود الالهي لا حدود له ورحمته ولطفه لا نهاية له

وخزائنه عزوجل لا تتفد أبداً.

ان علياً عليه السلام وهو يقول «كَمْ مِنْ قَبِيحٍ سَتَرْتَهُ» يذكر البلايا التي دفعها سبحانه من زلازل وطفوفان وصواعق محرقة وحرائق وجفاف وقحط ومصائب ونوائب كما يذكر نعمة الله عزوجل في صونه وحمايته من الأتزالاق في مهاوي الاثم والمعصية وما يعقب ذلك من زوال الصفات الحسنة وذبول شجرة الاخلاق الكريمة... ويذكر آلاء الله سبحانه ولطفه واحسانه اذ وفقه لرؤية النور وحفظ قلبه من سحب الذنوب، وما من عليه من ستر العيوب، ثم جعل له اسماً يذكره الناس بخير ويشيرون إليه بالثناء والرضا والاحترام. ولم يكن كل هذا عن استحقاق لذلك وإنما رحمة من الله الذي ستر عيوبه ونشر فضائله.

«اللَّهُمَّ عَظَّمَ بَلَائِي ، وَأَفْرَطَ بِي سُوءَ حَالِي»
« وَقَصُرَتْ بِي أَعْمَالِي ، وَقَعَدَتْ بِي أَغْلَالِي»

يا رب ولقد ساءت أحوالي ولا تنهض بي يا الهي أعمالي وها أنا مكبل يا رب
بأغلالِي !

وفي هذا المقطع دلالات على وصول حالة الداعي إلى الاحساس بعمق
الفاجرة التي يعيشها؛ فهو قد أصبح أسير ذنوبه وصريع خطيئته وقد أدرك أنه لا
نجاة له ممّا هو فيه إلّا باللجوء إلى القادر الحكيم والعالم والطبيب الذي سيشفيه
ممّا يعانيه من انشداد إلى الأرض ومن كل ما يثقله وبقعه به عن التسامي والسير
إلى المحبوب .

معنى البلاء

السالكون يعرفون دلالات «اللَّهُمَّ عَظَّمَ بَلَائِي» فهي :

١ - الذنب والمعصية

قليل ان المراد من البلاء هو الذنب والمعصية فالذنب اعظم واكبر الامراض ..
والمعاصي امراض خطيرة وإذا لم يتدارك الانسان نفسه بالتوبة ويبادر إلى التكفير

عن ذنوبه بالاعمال الصالحة فان قلبه سيموت وإذا مات القلب فان علاقة الانسان بالله والمعاد ستقطع وإذا انقطعت علاقة الانسان بالله والقيامة فسيكون مصيره الشقاء الأبدي والحرمان من رحمة الله .

يقول الامام السجاد علي بن الحسين عليه السلام :

«وَأَمَّا قَلْبِي عَظِيمُ جَنَائَتِي»^(١).

فأجاب شكو ذنوبي .

سؤال و جواب

روي أن عثمان بن عفان دخل على عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يعود في مرضه الذي مات فيه فقال له : ما تشتكي ؟

قال : ذنوبي .

قال : ما تشتهي ؟

قال : رحمة ربي .

قال : أفلا ندعوا الطيب ؟ !

قال : الطيب امرضني .

قال : أفلا نأمر بعطائك ؟

قالك منعته وأنا محتاج وتعطينيه وأنا مستغن !

قال : يكون لبناتك ؟

قال : لا حاجة لهن فقد امرتهن أن يقرأن سورة الواقعة فأني سمعت رسول

الله ﷻ يقول : من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً^(١).

مع أوس القرني

حكى هرم بن حيان قال : سمعت بشفاة أويس فتمنيت لقاءه ، فجئت الكوفة وانطلقت أسأل عنه حتى وجدته يتوضأ قال لي : يا بن حيان ما الذي جاء بك ؟ قلت : استئناساً بك .

قال : ما اظن من يعرف الله يأنس بغيره .

قلت له : أوصني .

قال : يا بن حيان ! إن نمت فاحسب الموت تحت وسادتك وان استيقظت فظن الموت أمامك ..

يا بن حيان لا تستصغر ذنبك وانظر إلى عظمة من تعصي فمن استصغر ذنبه استصغر ربّه !!

٢ - النأي عن مقام القرب

وقيل ان المراد من البلاء النأي عن مقام القرب الالهي وهو مقام لا يتحصّل إلا بالايمان والعمل الصالح والتخلّق بالأخلاق الحسنة حيث يحظى الانسان برضا الله عزوجل وهو مقام يجعل الانسان جليساً للانبياء والصدّيقين والشهداء يوم القيامة وحسن أولئك رفيقاً .

ان النأي والابتعاد عن هذا المقام يؤدي بالانسان إلى الانسلاخ عن آدميته وانسانيته ومن ثم السقوط في هاوية الشياطين والحيوانات الكاسرة التي لا

١ - تفسير مجمع البيان : سورة الواقعة .

تعرف غير البطش والقتل والافتراس، وحيث لا يوجد سوى الظلم والفجور والانحطاط والسقوط في بؤرة المعصية والأثم والفساد.

وأولئك الذين يتحركون صوب مقام القرب تغمرهم فيوضات خاصة تجعلهم في حيوية ونشاط؛ قلوبهم مملوءة بالشوق والحب والعشق الالهي فهم بذكر الله مستغرقون وفي خدمته منهمكون.

أولئك في سير معنوي لا يلتفتون إلى شيء سوى لقاء المحبوب، والوصول إلى أحضان المعشوق قد امتلأت قلوبهم بالفيض الربوبي وغمرتهم حالة من الوجد الرباني. ولقد كان يوسف الصديق مثلاً على الحب الالهي أحب الله فأحبه الله وأجتباه وأفاض عليه فانفجحت عليه من خلال الرؤى والاحلام أبواب المستقبل فحلّق نحو سماوات العلا وقد قذفوا به نحو غيابات الحب، ومادروا انهم يقذفون به نحو سماوات الحب.

وذلك القصر الذي هوى بزيخا نحو السقوط لبشري المريع أحاله يوسف الصديق إلى عش دافئ مغمور بالحب الالهي؛ فخرج به نحو السماء إلى حيث القرب الالهي وذلك ما ينشده الانسان المؤمن.

٣ - الجهل

وقيل أن أعظم البلاء هو الجهل فهو أساس كل بلاء وشقاء وحرمان، يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«الْجَهْلُ دَاءٌ وَعِيَاءٌ»^(١).

١ - غرر الحكم: ٧٣، حديث ١٨٤؛ ميزان لحكمة: ٨٦٨/٢، الجهل، حديث ٢٧٩٨.

«الْجَهْلُ أَذْوَاءُ الدَّاءِ»^(١).

«الْجَهْلُ مُمِيتُ الْأَحْيَاءِ وَمُخْلِدُ الشُّقَاءِ»^(٢).

«الْجَاهِلُ لَا يَعْرِفُ تَقْصِيرَهُ وَلَا يَقْبَلُ مِنَ النَّصِيحِ لَهُ»^(٣).

«الْجَاهِلُ مَيِّتٌ وَإِنْ كَانَ حَيًّا»^(٤).

«الْجَاهِلُ صَخْرَةٌ لَا يَنْفَجِرُ مَأْوُهَا، وَشَجَرَةٌ لَا يَخْضَرُ عُودُهَا، وَأَرْضٌ لَا يَظْهَرُ عُشْبُهَا»^(٥).

وقال في دعاء له :

«أَنَا الْجَاهِلُ عَصِيَّتُكَ بِجَهْلِي، وَأَزْتَكَبْتُ الذُّنُوبَ بِجَهْلِي، وَسَهَوْتُ عَنْ ذِكْرِكَ بِجَهْلِي، وَرَكَنْتُ إِلَى الدُّنْيَا بِجَهْلِي»^(٦).

سوء الحال

المراد من سوء الحال هو الأخلاق الرذيلة التي هي من أخطر الأمراض وأشد فتكاً بروح الانسان وهي من أشد الحجب الظلمانية كثافة لأن سوء الأخلاق يمنع من وصول اشعة الفيض وكسب السعادة وتحقيق رضا الله .

﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾^(٧).

١ - غرر الحكم : ٧٣ ، حديث ١٠٩٥ : ميزان الحكمة : ٨٦٨/٢ ، الجهل ، حديث ٢٧٩٩ .

٢ - غرر الحكم : ٧٥ ، حديث ١١٦٤ : ميزان الحكمة : ٨٦٨/٢ ، الجهل ، حديث ٢٨٠٢ .

٣ - غرر الحكم : ٧٥ ، حديث ١١٥٢ : ميزان الحكمة : ٨٧٠/٢ ، الجهل ، حديث ٢٨١٧ .

٤ - غرر الحكم : ٧٥ ، حديث ١١٦٣ : ميزان الحكمة : ٨٧٠/٢ ، الجهل ، حديث ٢٨١٨ .

٥ - غرر الحكم : ٧٤ ، حديث ١١٢٣ : ميزان لحكمة : ٨٧٠/٢ ، الجهل ، حديث ٢٨٢٢ .

٦ - بحار الأنوار : ٢١٩/٩٤ ، اليوم التاسع والعشرون .

٧ - سورة المطففين : ١٥ .

وهذا تأكيد الهي على تزكية النفس من الصفات الرذيلة وتجميلها بالصفات الحسنة حيث يتوقف على ذلك مصير الانسان؛ من أجل هذا قال الله عز وجل:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾^(١).

وقال سيدنا محمد ﷺ:

«خَصْلَتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ»^(٢).

وقال سيدنا علي عليه السلام:

«لَا وَخْشَةَ أَوْخَشُ مِنْ سُوءِ الْخُلُقِ»^(٣).

وقال عليه السلام أيضاً:

«سُوءُ الْخُلُقِ شَرُّ قَرِينٍ»^(٤).

وقال سيدنا محمد ﷺ:

«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَّبِعُ مِنْ سُوءِ خُلُقِهِ أَسْفَلَ دَرَكٍ جَهَنَّمَ»^(٥).

التقصير في العمل

الانسان الذي يرنو إلى السعادة وبلوغ الكمال الروحي ودخول الجنة عليه أن ينظم أعماله في ضوء القرآن الكريم وآياته البينات وثقافة أهل البيت عليه السلام ويجب أن يقوم بكل ذلك في إخلاص ونية صادقة.

١ - سورة الشمس: ٩ - ١٠.

٢ - شرح بهج البلاغة: ٣٣٧/٦؛ ميزان الحكمة: ١٥٣٦/٤، الخلق، حديث ٥٠٩٧.

٣ - غرر الحكم: ٢٦٥، حديث ٥٧٢٢؛ ميزان الحكمة: ١٥٣٦/٤، الخلق، حديث ٥٠٩٨.

٤ - غرر الحكم: ٢٦٤، حديث ٥٦٩٧؛ ميزان الحكمة: ١٥٣٦/٤، الخلق، حديث ٥٠٨٩.

٥ - محجة البيضاء: ٩٣/٥، كتاب رياضة النفس؛ ميزان الحكمة: ١٥٣٦/٤، الخلق، حديث ٥١٠١.

فالأعمال العارية من حُلِّ المعرفة ولا تنسجم مع ارادة الحق ولم تكن مفعمة بالحب والشوق أو كان للكسل وعدم الرغبة ظلال قاتمة عليها تمنع من وصول نور الاخلاص ويعيث بها البخل والحسد والاطماع والتكبر والغرور فكيف يمكن لمثل هذه الاعمال أن توصل صاحبها إلى شاطئ النجاة وتنقذه من الغرق في بحر الظلمات؟

من أجل هذا كان أمير المؤمنين يتأوه في قلب الليل وهو يناجي ربّه ومحبوبه قائلاً:

«آه مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ وَبُعْدِ السَّفَرِ وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ»^(١).

وقد جاء في سيرة أويس القرني انه قال في شطر من الليل: هذه ليلة ركوع فيبقى راکعاً حتى مطلع الفجر فإذا حلتّ الليلة التالية قال هذه ليلة سجود فيبقى ساجداً حتى الفجر. فقال له رجل: كيف تطيق ذلك تقضي الليل الطويل راکعاً أو ساجداً؟!

قال: ومتى كان الليل طويلاً؟ ليت الزمان من الازل إلى الأبد ليلة واحدة فأمضيه في سجدة واحدة!!

السلاسل والأغلال

يقول أهل البصيرة في تفسير: وقعدت بي أغلالي: لعل المراد من الاغلال الذنوب وبخاصّة الكبائر لأنها تشدّ الانسان إلى الأرض وتقعد به عن القيام بالطاعات والعبادة وتقذف به في هاوية الحرمان من الفيض الالهي. جاء في الأثر

١ - المناقب: ١٠٣/٢، فصل في السابفة بالزهد: عدة الداعي: ٢٠٩: بحار الأنوار ١٥٦/٨٤، ص ٦.

ان أحدهم شكى إلى أمير المؤمنين عليه السلام انه كان يؤدي الفريضة والنافلة ثم سلب التوفيق إلى ذلك منه ! فقال له أمير المؤمنين عليه السلام :

«أَنْتَ رَجُلٌ قَدْ قَيَّدَتْكَ ذُنُوبُكَ»^(١).

ولعل المراد من الاغلال تلك الروابط التي تشدّ الانسان إلى الحياة الدنيا بكل ما فيها من كثافة وطين وادران؛ لأن كل ذلك يعيق من حركة الانسان صوب الكمال المنشود.

ولعل المراد من الأغلال هي الملاهي التي تستغفل الانسان عن مهمته الحقيقية، فاذا هو مستغرق فيها منصرف بوجوده إليها معرضاً عما أريد له من تحصيل الكمال.

وقد جاء عن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله قوله :

«مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُ مَا لَا يَغْنِيهِ»^(٢).

١ - الكافي: ٤٥٠/٣، باب صلاة النوافل، حديث ٣٤.

٢ - بحار الأنوار: ١٥٠/١، باب ٤، علامات العقب.

« وَحَبَسْنِي عَنْ نَفْعِي بَعْدَ آمَالِي »

يا الهي آمالي المحلقة في الأوهام هي التي تمنعني عن التوجه إليك .

الآمال البعيدة

الأمل نعمة كبرى أنعم الله بها على الانسان ولولاه لاستحالت الحياة إلى عبء لا يطاق .

ولولا الأمل الذي تتوقد شعلته في النفس الانسانية لاصبحت الحياة خامدة بعد حراك ورماد تذرره الرياح .. فلا عمل ولا نشاط ولا حركة ولا حيوية وإنما يأس وقنوط وظلمات من الخمول يتراكم بعضها فوق بعض .
جاء في الأثر :

بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يشير الأرض قال عليه السلام : اللهم انزع منه الأمل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة . فقال عيسى عليه السلام : اللهم اردد إليه الأمل !

فقام فجعل يعمل^(١) .

ويتضرع الامام السجاد عليه السلام إلى الله عز وجل قائلاً :

«أَسْأَلُكَ مِنَ الْأَمَالِ أَوْفَقُهَا»^(١).

الأمنيات خضراء والطموحات المشروعة من قبيل كسب العلم والرقي في الدرجات العلمية والتكامل الاخلاقي هي أمنيات ايجابية تساعد الانسان على تحقيق سعادته في الدنيا والآخرة، كما أن تقديم الخدمات للناس كبناء المدارس والمستشفيات، والمساجد وشق الطرق وتأسيس المكتبات والحوزات العلمية هي من مؤشرات الايمان.

غير ان المطلوب إلا يكون همّ الانسان منصّباً على الشؤون المادّية فقط، بحيث ينسى حياته الروحية؛ لأنّ لاهتمام بالحياة المادّية يجعل المرء يعيش جفافاً في الروح، ممّا يعرّضه إلى هزّات روحية وازمات نفسية تنغص عليه حلاوة العيش.

من هنا يتوجب على الانسان أن يعيش الأمل المشروع الذي يؤمّن سعادته في الدنيا والآخرة؛ وقد ورد في الروايات عن أهل البيت عليهم السلام ما ينبغي على الانسان المؤمن التفكير في المستقبل فهناك اخطار جادّة من بعض الآمال الكاذبة والأوهام الخادعة يقول أمير المؤمنين عليه السلام :

«الْأَمَلُ كَالسَّرَابِ يَغُرُّ مَنْ رَأَاهُ وَيُخْلِفُ مَنْ رَجَاهُ»^(٢).

«الْأَمَلُ خَادِعٌ غَارٌ ضَارٌّ»^(٣).

١ - بحار الأنوار ١٥٥/٩١، باب ٣٢، حديث ٢٢.

٢ - غرر الحكم: ٣١٢، حديث ٧٢٠٧؛ ميزان الحكمة: ١/١٨٦، الأمل، حديث ٦٨٣.

٣ - غرر الحكم: ٣١٣، حديث ٧٢٤٥، ميزان الحكمة: ١/١٨٦، الأمل، حديث ٦٨٤.

«الْأَمَانِي تُغْمِي عُيُونَ الْبَصَائِرِ»^(١).

«الْأَمَلُ سُلْطَانُ الشَّيَاطِينِ عَلَى قُلُوبِ الْغَافِلِينَ»^(٢).

وجاء في مناجاة سيدنا موسى بن عمران عليه السلام :

«يَا مُوسَى! لَا تُطَوِّلْ فِي الدُّنْيَا أَمَلَكَ فَيَقْشُو قَلْبَكَ، وَالْقَاسِي الْقَلْبِ بِنَى بَعِيدٍ»^(٣).

وجاء عن الامام الصادق عليه السلام :

«أَعُوذُ بِكَ مِنْ دُنْيَا تَمْنَعُ خَيْرَ الْآخِرَةِ، وَمِنْ حَيَاةٍ تَمْنَعُ خَيْرَ الْمَوَاتِ، وَمِنْ أَمَلٍ يَمْنَعُ

خَيْرَ الْعَمَلِ»^(٤).

ويقول سيدنا علي عليه السلام :

«مَنْ أَيْقَنَ أَنَّهُ يُفَارِقُ الْأَحْبَابَ وَيَسْكُنُ الْقُرَابَ وَيُوَاجِهُ الْجِسَابَ وَيَسْتَعْنِي عَمَّا

خَلَفَ وَيَفْتَقِرُ إِلَى مَا قَدَّمَ، كَانَ حَرِيّاً بِقَصْرِ الْأَمَلِ وَطُولِ الْعَمَلِ»^(٥).

إن الآمال العريضة والبعيدة لها آثار خطيرة في حياة ومصير الانسان، وقد

تحرم الانسان من تلقي الفيض الالهي.

فالانسان مذ يفتح عينيه في هذه الحياة وهو ينطوي على قابلية التلقي.. تلقي

الفيض الالهي وأمطار الرحمة فتفتح في وجوده ورود الايمان وازهار الاخلاق

الكريمة والعمل الصالح ولكن الآفات المدمرة من قبيل الغفلة والتكبر والحرص

والآمال العريضة السابحة في الأوهام أن كل هذا يلحق اضراراً فادحة بأغراس

١ - غرر الحكم: ٦٥، حديث ٨٦٠؛ ميزان الحكمة: ١٨٦/١، الأمل، حديث ٦٨٥.

٢ - غرر الحكم: ٣١٢، حديث ٧٢٠٦؛ ميزان الحكمة: ١٨٦/١، الأمل، حديث ٦٨٦.

٣ - الكافي: ٣٢٩/٢، باب القسوة، حديث ١؛ ميزان الحكمة: ١٨٨/١، الأمل، حديث ٧١٨.

٤ - اقبال: ٣٩٠؛ ميزان الحكمة: ١٨٦/١، الأمل، حديث ٦٩٠.

٥ - بحار الأنوار: ١٦٧/٧٠، باب ١٢٨، حديث ٣١.

الايمان والاخلاق ويطيح بالشجرة الطيبة للعمل الصالح.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا﴾^(١).

إنّ الآمال العريضة البعيدة هي كخيوط العنكبوت أو كشرنقة دودة القز، تعرقل وتعيق الانسان عن سيرة في الطريق إلى الله وتحقيق الغاية المنشودة وهي التكامل الانساني والراقي الأخلاقي.

وحقاً أن الآمال الكاذبة تغتال الانسان لأنه يبعثر سنوات عمره في محاولة تحقيقها.. انها كالسراب يحسبه الظمآن ماء وهو مجرد موجات خيال وخداع.. كم من الآمال التي تبدو من بعيد حياة ملوّنة وسعادة وهي مجرد سراب في سراب.

وما أكثر الذين يتصوّرون سعادتهم في جمع المال ثم تراهم يلهثون وراء الثراء حتى إذا تكدّست الاموال في ارصدتهم وبنوا القصور الفخمة وركبوا السيارات الفارهة وجدوا أنفسهم يشعرون بالكآبة والفقر الروحي والأمراض النفسية!

أجل انهم اغتالوا أرواحهم وشطبوا على قلوبهم وضماثرهم واصبحوا يعيشون حياة حيوانية خالية من كل القيم الانسانية، يقول سيدنا محمد ﷺ:

«إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ خَصْلَتَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ وَطُولُ الْأَمَلِ، أَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ، فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ؛ وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ، فَيُنْسِي الْآخِرَةَ»^(٢).

إنّ على الانسان العاقل أن ينتبه إلى نفسه قبل فوات الأوان وأن يبادر إلى

١ - سورة الأعراف: ٥٨.

٢ - الكافي: ٥٨/٨، حديث ٢١؛ بحار الأنوار: ١٠٦/٢، باب ١٥، حديث ٢.

الخلاص من نير الأهواء النفسية ومن شرقة الغرائز الحيوانية.
عليه أن يتأمل في مصبر الغابرين وهذا القرآن الكريم فيه نبأ الذين سادو ثم
بادوا... وهذه كتب التاريخ تتحدث عن الماضين من أجيال البشر... وهذه المقابر
تعكس قصّة الانسان وتهتف من خلال صمتها بالكثير الكثير من العظات والعبر.

حكاية

حكى عطار النيسابوري: ذهب الحسن البصري ذات يوم إلى النهر فرآه
حبيب الأعجمي وكان من الزهاد والعباد واقفاً على الشاطئ فقال للبصري ما
وقوفك هنا وما تنتظر؟

قال: انتظر قارباً أعبر به إلى الجانب الآخر.

قال حبيب: يا معلّم انا تعلمت منك لو أن الناس اخرجوا الحسد من قلوبهم
وأعرضوا عن طول الأمل وأطفأوا نار حب الدنيا في نفوسهم لمشوا على الماء...
قال حبيب ذلك ثم وضع رجله في الماء ومشى فسقط الحسن مغشياً عليه فلما
أفاق قيل له: ما جرى لك؟

قال تلميذي يتعلّم عندي والساعة ينبؤني ثم مشى على الماء، لو قامت
القيامة وجاء النداء ان اعبر على الصراط فماذا افعل. ثم التفت إلى حبيب: من أين
لك هذا المقام؟

قال: يا حسن أنا أجلي قلبي وأنت تسوّد قرطاسك.

فقال الحسن البصري:

«عِلْمِي يَنْفَعُ غَيْرِي وَلَمْ يَنْفَعْنِي».

« وَخَدَعْتَنِي الدُّنْيَا بِغُرُورِهَا »

لقد خدعتني هذه الدنيا بغرورها الأمنيات وبريق الأوهام .
هذه الدنيا تزخر بالحقائق والباطيل... تموج بقطرات التدى وهي بحر
يتلاطم بأمواج السراب البعيدة .
وما على الانسان إلا أن ينظر إليها نظرة تأمل يسبر غورها فيستخرج لآئى
الحقيقة من بين أصدافها الغارقة في بحر الحياة ...
الانسان الواعي الذي يعرف قصّة الحياة هو الذي يتمكن أن يقود قاربه في
وسط البحر بحر الحياة متجهاً نحو شاطئ الحقيقة وساحل الأمان .
أما الانسان المغلوب على أمره... الانسان الذي ترك لأهوائه أن تسيطر
عليه وترك صوت العقل والضمير جانبا فسوف يتخبط في رحلته وسوف تتكاثف
عليه الظلمات حتى لا يستطيع بعد ذلك أن يرى الطريق .
لقد خدعه ما يحمل من متاع براق خداع... ولم يعد يفكر بان ما يحمله سوف
يغرق قاربه فيهوي في الاعماق المظلمة .
الانسان في هذه الدنيا مجرد عابر سبيل انه مسافر مهما بدت له الدنيا خداعة
ومهما وسوس الشيطان يوحى له انها دار الخلود... هذه الحقيقة بكل وضوح
كالشمس في الظهيرة العظمى ...
هذه هي الحقيقة يكفي أن ينظر الانسان وراءه قليلاً ليرى كم خلف سنيماً

طويلة وراءه انه يتقدّم في العمر؛ كم من الناس يعرفهم كانوا ذات يوم أحياءها هم الآن في عالم الموتى...

وهذه المقابر المسوّرة حيث الصست الكامل... عالم من الموتى لا يفصلنا عنه سوى شبر من التراب؛ وها هو التاريخ يقف كشيوخ طاعن في السن يروي للأجيال قصص الغابرين.

أين فرعون وقارون ونمرود وأين كل الذين ملأوا الدنيا ذات يوم ضجيجاً وعجيجاً؟!

أين أولئك الذين قادوا الحروب ودوّخوا العالم؟!

أجل اين قوافل الاجيال البشرية؟!

بل أين حضارات البشر؟ حضارات سادت ثم بادت وأصبحت أثراً بعد عين!!

يا أيها الانسان ما غرّك بربك الكريم؟!

ولكن يا حسرة على العباد. يا حسرة على الانسان الذي يخدعه الوهم ويغتال عقله الخيال! تملأ سمعه أصوات الضجيج فلا يصغي إلى صوت النبوات.

الأنبياء والأولياء والأئمة الطاهرون اكتشفوا سرّ الحياة الانسانية وادركوا أحابيل الشيطان... عرفوا الطريق إلى الله تبارك وتعالى رأوا النور بقلوبهم النقية.

ودعوا الناس إلى اقتفاء الأثر... دعوهم ليستفيدوا من تجاربهم؛ ان طريق الأنبياء هو وحده الطريق الذي يؤدي إلى السعادة في الحياة الدنيا والخلود الأخضر في الآخرة.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام وكأنه يخاطب الانسانية جمعاء:

«أيها الناس! كل أمرئ لاقٍ ما يفرّ منه في فراره... الأجل مساق النفس والهرب

منه موافاته».

وقال في اللحظات الأخيرة من حياته:

«أنا بالأمس صاحبكم وأنا اليوم عبرة لكم وغداً مفارقكم... وإنما كنت جاراً
جاورك بدني أياماً... وستعقبون مني جثة خلاء... ساكنة بعد حراك... وصامته
بعد نطق... ليعظكم هدى وخفوت اطراقي.. وسكون اطرافي...».

ان من تخذه الدنيا سيشفي في الآخرة، وعلى الانسان إلا يعرض صفحاً
عن طريقه الحقيقي نحو الله عز وجل؛ فيبتغي فيما آتاه الله من النعم الدار الآخرة
ولا ينسى نصيبه من الدنيا؛ والدنيا مزرعة الآخرة.
يقول الامام الصادق عليه السلام:

«مَنْ رَهَدَ فِي الدُّنْيَا أَثْبَتَ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فِي قَلْبِهِ، وَأَنْطَقَ بِهَا لِسَانَهُ، وَبَصَّرَهُ عُيُوبَ
الدُّنْيَا وَدَاءَهَا وَدَوَاءَهَا، وَأَخْرَجَهُ مِنَ الدُّنْيَا سَالِمًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ»^(١).

ويقول لقمان الحكيم لابنه:

«يَا بُنَيَّ! إِنَّ الدُّنْيَا بَحْرٌ عَمِيقٌ، قَدْ غَرِقَ فِيهَا عَالَمٌ كَثِيرٌ، فَلْتَكُنْ سَفِينَتَكَ فِيهَا تَقْوَى
اللَّهِ، وَخَشَوْهَا أَيْمَانًا، وَشِرَاعُهَا التَّوَكُّلَ، وَقَيْمُهَا الْعَقْلَ، وَدَلِيلُهَا الْعِلْمَ،
وَسُكَّانُهَا الصَّبْرُ»^(٢).

أجل عندما تكون الدنيا بحراً عميقاً متلاطم الأمواج فما أجمل وأروع ان
تكون للانسان في رحلته عبر هذا البحر سفينة.

فسفينة هي التقوى.. تقوى الله وحده سفينة لا تهاب أحداً ولا تخشى إلا الله،
وقودها الايمان العميق، وشراعها التوكل على الله فهناك من يهدي هذه السفينة،
عندما يكون ربان السفينة العقل بكل محاسباته المنطقية، وعندما يكون الدليل هو

١ - وسائل الشيعة: ١٠/١٦، باب ٦٢، حديث ٢١٨٢٧.

٢ - الكافي ١٠/١٥، كتاب العقل والجهل، حديث ١٢.

العلم الذي يضيء الطريق أمام الانسان وعندما يكون الصبر هو المسافر عبرها يتحمل ويقاوم دون ملل وكلل أو ضجر وتراجع .
ويقول سيدنا محمد ﷺ :

«كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ كَأَنَّكَ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَعِدْ نَفْسَكَ فِي أَصْحَابِ الْقُبُورِ»^(١).

ويقول الامام الصادق عليه السلام لصاحبه :

«يَا بْنَ جُنْدَبٍ! إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تُجَاوِرَ الْجَلِيلَ فِي دَارِهِ، وَتَسْكُنَ الْفِرْدَوْسَ فِي جَوَارِهِ، فَلْتَهِنْ عَلَيْكَ الدُّنْيَا»^(٢).

من خلال ميراث أهل البيت عليه السلام فإن الدنيا المذمومة التي حذر منها القرآن الكريم والروايات هي الدنيا التي تقضي على مستقبل الانسان في الآخرة، الدنيا التي تصادر كرامة الانسان وتجعل منه ما هو أسوأ من الحيوان بكثير وإلا فإن الدنيا هي مزرعة الآخرة والدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون؛ ومعيار النجاح هو الايمان والعمل الصالح.

من أجل هذا حذر الأئمة من أهل البيت من حب الدنيا لأنه رأس كل خطيئة وكانوا يدعون إلى الحب الالهي إلى حب الله وحده لا شريك له لا اله إلا هو الواحد لا أحد.

هذه الدنيا مجموعة من الأوهام... مجرد خيالات وأباطيل، ولا شيء سوى الله هو الحق والحقيقة.

والدنيا لا تساوي شيئاً وأن امتلأت ذهباً لأنها زائلة وما المستقبل إلا في الآخرة لأنها خالدة.

١ - بحار الأنوار: ٩٩/٧٠، باب ١٢٢، حديث ٨٦.

٢ - تحف لعقول: ٣٠٣؛ بحار الأنوار: ٢٨١/٧٥، باب ٢٤، حديث ١.

« وَنَفْسِي بِخِيَانَتِهَا وَمِطَالِي »

آه من نفسي انها تخونني ... تخدعني وتماطلني في الانقياد...
ترويض النفس . السيطرة عليها ترشيدها هو المطلوب في تجربة الانسان في
الحياة الدنيا... وأنه لمن الصعب أو المستحيل ادراك حقيقتها...
النفس إذا لم تروّض تستحيل إلى حيوان جموح صعب ، تفعل ما تشاء وتورد
الانسان إلى منزلقات خطيرة قد لا يستطيع الخلاص منها أو النجاة .
«الهوى» هذه المفردة التي تتداعى في أذهاننا مع آلاف الرغبات و لميول
النفسية .

ف«هوى» فعل يعني السقوط من أعلى إلى أسفل سقوط سلبي يتضمن معنى
الهلاك .

وهي فعل يعني الافراط في الحب سواء كان في الامور المادية أو المعنوية .
و«الهوس» يعني التحطم ، الفساد السقوط الحائر ، هذا لغوياً ومعناها في علم
النفس ، حركة مضطربة تحدث في النفس الانسانية تجعل من الانسان مضطرباً
فاقداً لحالة الطمأنينة والهدوء والتوازن وحيث تموج في النفس احساس
ومشاعر مختلفة من قبيل الحبّ والبغض والحقد والغضب والنفور ، وانسان في
هكذا حالة نفسية لا يمكن له أن يخطو في طريق التكامل خطوة واحدة .

لأن من شروط السير في طريق الكمال هو الطمأنينة وسيطرة العقل على مقاليد الأمور في مملكة الانسان، لأن انقياد الهوى للعقل شرط أكيد في عملية السير واستمرار هذه العملية نحو الأمام في طريق واضح وخط مستقيم.

من أجل هذا يأتي التأكيد على مراقبة الأطفال لأن الانسان في هذه السن معرض لسيطرة الأهواء والهوس؛ فيستلزم تنمية الاخلاق القويمة تربيته على مسار يكفل له التقدم والنمو؛ المرأة أيضاً أنها معرضة لذلك فهي كائن يموج بالعاطفة والاحاسيس وهكذا خلقها الله عزوجل، لحكمة بالغة في بناء المجتمع الانساني ولذا ما ينبغي فعله هو ترشيد العاطفة في ما يخدم الانسانية واشاعة الحياة الدافئة.

الله عزوجل خلق الانسان وأودع أسرار الفطرة فيه... الفطرة الانسانية مستودع السرّ لالهي بما يحقق آدمية الانسان وتفوقه على الحيوان.

وخلق الله عزوجل العقل ليكون مرشداً لحركة الانسان فهو مركز المحاسبات المنطقية... وجعل الله تبارك وتعالى للانسان الضمير ليكون القانون الأخلاقي الذي يساعده على معرفة النبيلة. ومنحه جل شأنه الارادة ليحيا تجربته الانسانية مستقلاً بقراره... ومنحه تبارك وتعالى القلب مركز العاطفة الانسانية ومركز الحب والجزء الذي يتلقى الأنوار الالهية والوعي الكامل للحياة...

وخلق جلّت قدرته الاهواء النفسية لتكون الوقود الذي يغذي مسيرة الانسان فهناك آلاف الرغبات وأمواج الأمل الذي يجعل الانسان في نشاط دائم وحركة مستمرة والمطلوب من الانسان إلا يسمح للهوى النفساني ان يتسلل إلى مركز القيادة وهو العقل... لان الأهواء لا تعرف الطريق... العقل وحده الذي يجب أن يرتفع على عرش القيادة وتكون الأهواء وقوداً للحركة فقط لا قائداً أهوج يجهل المسار الحقيقي الذي يؤدي بالانسان إلى الهدف المنشود وشيطان الأمان.

من هنا قيل من عرف نفسه فقد عرف ربه وانه لمن الضروري أن يعرف الانسان نفسه التي بين جنبيه.

أوصاف النفس

هناك أوصاف للنفس ينبغي معرفتها:

- ١ - النفس الأمارة. ٢ - النفس الدساسة. ٣ - النفس السفهية. ٤ - النفس المسؤولة. ٥ - النفس المرتهة. ٦ - النفس الهوائية. ٧ - النفس المتحسرة.
- وهذه الآيات تشير إلى ذكرها بالترتيب.

﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾^(١).

﴿ وَقَدْ خَابَ مِنْ دَسَّاهَا ﴾^(٢).

﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾^(٣).

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ ﴾^(٤).

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ ﴾^(٥).

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾^(٦).

١ - سورة يوسف: ٥٣.

٢ - سورة الشمس: ١٠.

٣ - سورة البقرة: ١٣٠.

٤ - سورة يوسف: ١٨.

٥ - سورة المدثر: ٣٨.

٦ - سورة النازعات: ٤٠ - ٤١.

« أَنْ تَقُولَ نَفْسُ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ »^(١).

يقول الشيخ البهائي في كتابه القيم « الأربعين »: ان المراد من النفس في الروايات هي القوى الحيوانية كالشهوة والغضب.
ويقول الغزالي في كتابه « مدارج القدس »:

« يُطْلَقُ النَّفْسُ عَلَى الْجَامِعِ لِلصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ الْمُضَادَّةِ لِلْقُوَى الْعَقْلِيَّةِ ».

وبرى الحكماء الالهيين جهاد النفس في ما يرتبط بالبدن وأوصافه البهيمية والسبعية والشيطانية وفي ما عدا ذلك فان النفس هي العقل ولها صفات الملائكة وبها يعبد الله عز وجل وبها يدخل الجنة.
ومن هنا يأتي جهاد النفس وكبح حالاتها البهيمية والسبعية والشيطانية للسيطرة عليها.

ولجم الحيوانات التي تعربد في أعماقها.

وفي قول رسول الله ﷺ:

« أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ »^(٢).

قال الحكماء: ان القاعدة هي انك ان احسنت إلى عدوك صار صديقاً إلا النفس فانك متى أحسنت إليها تصبح أكثر شراها وطالبت بالمزيد.
فمن اتبع هواه انفصل عن عقله وكانت حياته جنوناً؛ وسئل بهلول عن عدد المجانين في المدينة.

١ - سورة الزمر: ٥٦.

٢ - عدة الداعي: ٣١٤؛ بحار الأنوار: ٦٧/٦٤، باب ٤٥، حديث ١.

فقال: وهل يمكن احصاؤهم ولكن سلوني عن عدد العقلاء!

آراء أمير المؤمنين عليه السلام في اصلاح النفس

تتضمن كلمات أمير المؤمنين عليه السلام المبنوثة في الكتب وبخاصة « نهج البلاغة »

و « غرر الحكم » آراء هامة للغاية في اصلاح النفس:

«إِذَا رَغِبْتَ فِي صَلَاحِ نَفْسِكَ فَعَلَيْكَ بِالْإِقْتِصَادِ وَالْقَنُوعِ وَالْتَّقَلُّ»^(١).

«صَلَاةُ النَّفْسِ مُجَاهِدَةُ الْهَوَى»^(٢).

«سَبَبُ صَلَاحِ النَّفْسِ الْعُزُوفُ عَنِ الدُّنْيَا»^(٣).

«دَوَاءُ النَّفْسِ الصَّوْمُ عَنِ الْهَوَى»^(٤).

«سَبَبُ صَلَاحِ النَّفْسِ الْوَزْعُ»^(٥).

«إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءٌ دَاءِ قُلُوبِكُمْ.. وَطُهْرٌ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ»^(٦).

«أَفَةُ النَّفْسِ أَلْوَلُهُ بِالدُّنْيَا»^(٧).

«رَأْسُ الْأَفَاتِ أَلْوَلُهُ بِاللَّذَاتِ»^(٨).

«طُوبَى لِمَنْ عَصَى فِرْعَوْنَ هَوَاهُ وَأَطَاعَ مُوسَى عَقْلَهُ».

١ - غرر الحكم: ٢٣٧، اصلاح النفس، حديث ٤٧٦٦.

٢ - غرر الحكم: ٢٤١، مخالفة الهوى، حديث ٤٨٨١.

٣ - غرر الحكم: ١٣٦، الدنيا آفة النفس، حديث ٢٣٨٦.

٤ - غرر الحكم: ٢٣٥، مراقبة النفس، حديث ٤٧١٨.

٥ - غرر الحكم: ٢٧١، صلاح الدين بهما، حديث ٥٩١٢.

٦ - نهج البلاغة: ٣١٢، خطبة ١٩٨، من خطبة له (ع) ينبه على احاطة علم الله.

٧ - غرر الحكم: ١٣٦، الدنيا آفة النفس، حديث ٢٣٨٥.

٨ - غرر الحكم: ٣٠٣، ذم اللذة، حديث ٦٩٢٣.

أجل هناك صراع حقيقي ومعركة داخل الوجود الانساني؛ هناك صوت يدعو إلى الحقيقة وهناك زعيق يصرخ لاتباع الهوى؛ وعلى الانسان أن ينصر العقل في صراعه مع الأهواء النفسية...

ان موسى العقل يقاوم عريضة فرعون وملأه ويجب على الانسان أن ينصر موسى في صراعه ضد الفراعنة أن يكون مثلاً هارون إذ آزر أخاه وآزر الحق في صراعه المرير ضد الباطل.

﴿سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾^(١).

﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

ان على الانسان أن يقوم بحملة تطهير كاملة لازالة الادران والأوساخ.

﴿طَهِّرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ دَنَسِ الشَّهَوَاتِ، قُدِّرْكُمْ رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾^(٣).

أجل أن من يريد الرقي في سلم الكمال الانساني محلّقاً بحرية بعيداً عن سجن الطبيعة؛ بكل طينها وادارنها، عليه أن يطهر نفسه من كثافات المادّة وصدأ الشهوات الحيوانية حتى يمكن للروح أن تتخفف من كل ما يشدّها إلى الأرض؛ وحينئذ يمكنها التحليق في عالم مفعم بالصفاء والنقاء؛ في عالم يزخر بالطمأنينة والسلام.

يقول الحكماء انه يمكن للانسان أن يزكي نفسه من خلال طريق من هذه الطرق الاربعة:

١ - سورة الصافات: ١٢٠.

٢ - سورة الصافات: ١٢٢.

٣ - غرر الحكم: ٣٤٠، تهذيب النفس، حديث ٤٨٥١.

- ١ - تعلم الأدب من عديمي الأدب .
- ٢ - معاشرة أهل الأدب .
- ٣ - البحث عن عيوب النفس من خلال الاصدقاء الحقيقيين .
- ٤ - اقضاء العيوب التي يسمع بها من خلال اشارة الأعداء .

المطال

ان أخطر شيء على النفس هو ما تمارسه من مطال وتسويق فهناك لو اصغى الانسان إلى ما يجري في أعماقه جدل حول الاصلاح الحقيقي ... هناك وعي كامل لما يرتكبه الانسان من أخطاء، وكأن العقل باعتباره مركز المحاسبات المنطقية يوم بمناقشة الاعمال والأفعال البشرية ويقوم بتطبيقها على معايير دقيقة؛ فيظهر خطؤها أو صوابها، وهنا يأتي دور الضمير الذي يقوم بإجراء الأحكام فإن كانت الاعمال خاطئة تعرضت الروح إلى لوم شديد وتقريع ما يدعى بعذاب الضمير، حيث يجد الانسان نفسه متهماً ومداناً على تصرفه الخاطئ، وان كان صواباً وخيراً أصدر الضمير كقانون أخلاقي إشارات الارتياح التي تظهر على وجه الانسان فتشرق البسمة فوق الشفاء وعلى الجبين فيما تتألق أنوار مشعة في العينين .

« يَا سَيِّدِي فَأَسْأَلُكَ بِعِزَّتِكَ أَنْ لَا يَخْجُبَ عَنْكَ دُعَائِي سُوءَ عَمَلِي وَفِعَالِي

يا الهي ! هذه أعمالي البائسة تستحيل إلى حجب تحول دون وصول دعائي إليك .

يا الهي الرحيم اتضرع إليك إلاّ تجعل سيئات أعمالي حاجباً بيني وبينك .

انقطاع طريق الدعاء

الذنوب والمعاصي حجاب يضرب على الانسان ويحول بينه وبين ربّه إذا لم يتدارك الأمر بالتوبة والتدبّر والاستغفار وإذا لم يفعل ذلك لا سمح الله ، فان الانسان سيعيش حالة من الحرمان من الفيض الالهي .

ان انسداد طريق الدعاء وحرمان العبد من الاجابة مؤثر على طرده من ساحة الله عزوجل .

يقول عاشق الهي : لو حرمت من الدعاء لكان اشق علي من حرمان الاجابة . وفي هذا المقطع من الدعاء يتضرع الداعي إلى ربّ العزة إلاّ تحول الذنوب والمعاصي دون وصول الدعاء إلى الله عزوجل ؛ وجاء في الأثر ان أمير المؤمنين مرّ مع بعض اصحابه على شاب قد ادار وجهه إلى الحائط وكان يقسم على الله عزوجل بعزّته فقال أمير المؤمنين : انه أقسم على الله بما يضمن الاجابة .

أجل ان الله الرحيم القدير قادر على ازالة الحجب التي يصنعها العبد بذنوبه
ومعاصيه ويفتح عليه الطريق .
إن الله الذي قال لنار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم ، ومنع السكين من ذبح
اسماعيل ، قادر على ابطال آثار الذنوب والمعاصي في قطع الطريق على دعاء
الانسان وقضاء حاجاته .

« وَلَا تَفْضَحْنِي بِخَفِيِّ مَا أَطْلَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ سِرِّي »

الهي ولا تفضحني ، لا تهتك سترك الذي سترتني به وأنت تعرف أسراري .

الستر

على الانسان أن يدرك ان الله عالم الغيب والشهادة ، مطلع على كل شيء ، لا يعزب عن علمه مثقال شيء في السماوات والأرض ، يعلم ما جرى في الغابر والحاضر ويعلم ما في المستقبل وما سيجري من حوادث في ضمير الغيب كل شيء حاضر عنده ...

يعلم خطرات الانسان وأسراره ونواياه وما يمرّ في خاطره من أفكار .
نستطيع أن نخفي أخطاءنا عن الناس عن الوالدين ... عن أولادنا ، ولو اطلعوا على حقيقتنا كما هي ، لطرّدنا المجتمع ونبذنا أصدقاءنا وأهلونا ... الله وحده الذي يعلم ما نخفي ، نعصيه فيستر علينا ، ونرتكب الذنوب فلا يفضحنا ان العبد في هذا المقطع من الدعاء يتضرع إلى الله ويتوسل إليه أن يستر عليه ولا يفضحه ويهتك أسرار ... والله عزوجل هو ستار العيوب .

وعلى الداعي وهو يتوسل إلى الله ويتضرع إليه أن يتيقن ويتأكد بان الله عزوجل لا يفضح عباده التائبين ... حتى يوم القيامة يأتي النداء اني احاسب

عبدى فلان حتى لا يطلع من فى المحشر على ذنوبه وحتى لا يفتضح أمره فيخجل .

يقول الامام الرابع سيد الساجدين وزين العابدين علي بن الحسين عليه السلام فى دعائه المعروف «دعاء أبى حمزة الثمالى» .

«سَتَارُ الْعُيُوبِ، غَقَارُ الذُّنُوبِ، عَلَامُ الْغُيُوبِ، تَسْقُرُ الذَّنْبُ بِكَرَمِكَ وَتُؤَخِّرُ الْعُقُوبَةَ بِجِلْمِكَ» .

ان بعض الناس من عباد الرحمن الذين اتصفوا بالاخلاق الحسنة والفضائل يسترون على غيرهم عيوبهم وقد نشعر بالدهشة لأولئك البشر الذين بلغوا شأواً عجيباً فى سترهم على عيوب الآخرين ، فكيف بالله عزوجل وهو الستار؟! جاء فى قصص الانبياء أن يعقوب عليه السلام طلب من ابنه يوسف عليه السلام أن يقص ما جرى عليه يوم تأمر اخوته عليه فقال يوسف الصديق :

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْ سَلَفٍ﴾ (١) .

حكاية

روى أن أبا عبدالرحمن حاتم بن يوسف المعروف بالأصم كان من أعيان خراسان وكان عالماً ورعاً تقياً وقيل انه عرف بالأصمّ لأنه كان يتظاهر بالصمم بعد حادثة وقعت وهى أن امرأة جاءت إليه تسأله عن بعض المسائل فخرجت من معدتها الريح فشعرت بالخجل الشديد ولكن الرجل أعرض فأشار إلى أذنه متظاهراً بالصمم وانه لم يسمع سؤالاها ولم يفهم ما أرادت وطلب منها أن تتكلم بصوت مرتفع لىسمع ففرحت المرأة وحمدت الله عزوجل ان ستر عليها ولم

يفضحها أمام الرجل؛ وقد ظل العالم منذ لك الحين يتظاهر بالصمم إلى رحلت المرأة عن الدنيا.

ولما توفي الاصم رآه رجل صالح في عالم الرؤيا وسأله عن حاله: ما فعل الله بك؟

قال: عفا الله عن جميع ذنوبي لأنني تظاهرت بعدم سماع ما يسمع.

« وَلَا تُعَاجِلْنِي بِالْعُقُوبَةِ عَلَى مَا عَمِلْتُهُ فِي خَلَوَاتِي »

« مِنْ سُوءِ فِعْلِي وَإِسَاءَتِي ، وَدَوَامِ تَفْرِيطِي وَجَهَالَتِي ، وَكَثْرَةِ شَهَوَاتِي وَغَفْلَتِي »

وامهلني يا الهي ولا تعاقبني بسبب ذنوبي وما فعلته في خلوتي .. اعترف يا رب
بجهلي وتهافتني على الشهوات واعترف بانني كنت غافلاً يا رب !
يستفاد من المعارف الالهية انه لو عجلت العقوبة ، ما ترك على الأرض دابة ولكنها
رحمة الله وسعت كل شيء ؛ وان الله عز وجل يمهل عباده ويفتح أبواب التوبة لعودة
من ينيب ويكفر عن ذنوبه ويقضي ما أوجب الله عليه من فرائض .

وربما تؤخر العقوبة من أجل مؤمن يخرج من صلب العبد الآبق ، وربما يرفع
العذاب والانتقام الالهي ؛ لبكاء الاطفال ودعوات خالصة من عاشق ودموع
تجري من عيون ساهرة في منتصف الليل أو لتوبة نصوح ؛ وإذا بالعذاب الذي كان
قاب قوسين أو أدنى يرتفع وتنزل رحمة الله .

ان الاستغراق في المعاصي بلا وازع ولا حياء ؛ قد يعجل في العقوبة ولكن الدعاء
والتضرع إلى الله والعزم على اصلاح ما فسد يوقف نزول العذاب وهذا ما حصل
لقوم يونس فقد كاد العذاب أن يحيل حاضرتهم إلى أثر بعد عين لولا أن تداركتهم
رحمة من الله بدعاء وتوبة وندم .

ويجب أن نلتفت إلى هذه الحقيقة وهي أن العقاب الالهي قد يحصل في الدنيا
ويكون بصورة قحط وجفاف يضرب أطنا به ، وربما جاء على شكل بلايا سماوية ،

أو يعمّ الغلاء في الاسعار أو اختفاء الثقة في المجتمع أو على شكل مسخ باطني، فيستحيل الناس إلى ذئاب وخنازير ترتدي أهاب انسان كاذب فتقسوا القلوب وتصبح كالحجارة أو أشدّ قسوة.

يقول سيدنا محمد في حديث له مع وصيّيه علي عليه السلام وهو يكشف له عمّا سيحصل من بعده:

«يَا عَلِيُّ! إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ [بَعْدِي] بِأَمْوَالِهِمْ، وَيَمْتُونُ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِرَحْمَتِهِ، وَيَأْمَنُونَ بِسَطَوْتِهِ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، وَالشَّخْتَ بِالْهَدِيَّةِ، وَالزِّبَاءَ بِالنَّبِيْعِ»^(١).

﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾^(٢).

ان مقطع الدعاء يشير إلى ما يلي:

١ - التفريط . ٢ - الجهل . ٣ - الشهيرة . ٤ - الغفلة .

التفريط

المراد من التفريط هنا التقصير في الطاعة والعبادة وفي خدمة الناس الذين عباد الله .

ان المعارف الدينية تحذّر الناس من السقوط في ورطة التفريط لأن التفريق خسارة كبرى وسبب في الحرمان من الفيض الالهي ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام :

١ - نهج البلاغة: الخطبة ١٥٦، ومن كلام له (ع) خاطب به اهل البصرة: معار الأنوار: ١٠٠/٥٦، باب

٤، حديث ٣٢.

٢ - سورة البقرة: ٦٥.

«التَّقْرِيطُ مُصِيبَةُ الْقَابِرِ»^(١).

«ثَمَرَةُ التَّقْرِيطِ الدَّامَةُ، وَثَمَرَةُ الْحَزْمِ السَّلَامَةُ»^(٢).

«الْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفَرِّطِينَ»^(٣).

ويقول الامام الصادق عليه السلام :

«مَنْ فَرَطَ تَوَرَّطَ»^(٤).

الجهل

الجهل بالحقائق ومُور الدنيا والآخرة والواجبات والحقوق للذات والآخرين؛ من الأمراض الخطيرة التي إذا لم يتداركها الانسان بدواء العلم والمعرفة فانها ستؤدي به إلى الهاوية ولقد اشرنا إلى خطورة الجهل فيما مضى في شرح «وتجرات بجهلي» الواردة في الدعاء الكريم.

الشهوة

الشهوة هي الرغبة الشديدة في شيء فيصبح أشباعها هدفاً أكيداً لا بد منه. وعندما تكون هذه الرغبة والشهوة في أمر حرام، فانها ستؤدي بالانسان إلى الوقوع في المعصية والخطيئة وبالتالي اغتيال الروح والعقل والسقوط في عذاب

١ - غرر الحكم: ٤٧٩، منفرقات اجتماعي، حديث ١١٠٠٩.

٢ - نهج البلاغة: الحكمة ١٨١.

٣ - نهج البلاغة: ٢٢١، الخطبة ١٥٧.

٤ - تحف العقول: ٣٥٦.

الدنيا وعذاب الآخرة.

إنّ هياج الشهوات والرغبات والانشداد المفرط إلى الدنيا وملذاتها سوف يساعد على انبات شجرة الوسواس الشيطانية وسوف تكبر هذه الشجرة وتتفرع أغصانها لتنشعب في كل حرام وتصبح الشجرة الملعونة ولن تكون ثمارها سوى اقتراف المعاصي والبعد عن الله تبارك وتعالى والحرمان من رحمته ومن ثم السقوط في هاوية الجحيم.

ان هذه الشجرة من اشجار جهنم وشجرة الزقوم ولا يمكن اجتثاثها إلا بفؤوس الموعظة والنصيحة واللجوء إلى الله عز وجل والعودة إليه والتأمل في العاقبة والاعتبار من الحوادث.

يقول أهل الحقيقة :

إنّ من أخطر أغصان هذه الشجرة التي لها جذور في النفوس والسبب في بروز المعاصي والذنوب سبعة أغصان :

١ - شهوة الجاه والرئاسة .

٢ - شهوة المال والثراء .

٣ - شهوة امتلاك القصور المنيفة .

٤ - شهوة الجنس مع الحسنات .

٥ - شهوة البطن والأكل اللذيذ .

٦ - شهوة اللبس وارتداء الفاخر من الثياب من الحرير وغيره .

٧ - شهوة المعاشرة مع أهل المجون والآثمين .

هذه شهوات سبع تكمن وراء بروز الصفات الشيطانية في باطن الانسان

والحوول دون سطوع شمس العرفان على قلوب الغافلين :

١ - التكبر . ٢ - الرياء التظاهر . ٣ - الحسد والحقد . ٤ - الحرص والطمع . ٥ -

البخل . ٦ - الظلم . ٧ - الغضب .

ويحتاج شرح كل من هذه الشهوات السبع إلى كتاب لما لها من آثار سلبية ولما تسببه من خسائر ولما تفتحه من نوافذ على الجحيم .
الساقطون في هاوية حب الدنيا والغارقون في ظلمة الشهوات ما أن يصلوا إلى حافة الأجل وتأتيهم سهام الموت حتى يفيقوا من غفلتهم وحينئذ يدركوا حجم الخسارة التي نزلت بهم والطامة الكبرى التي وقعوا فيها .
أجل سوف يرون ببصر كالحديد أن كل حياتهم الصاخبة رماد تذروه الريح ،
فيتبدل فرحهم حزناً وصفاء عيشهم كدورة .

حكاية

إنّ حال من سقطوا في حبّ الدنيا ومن غرقوا في ظلام الشهوات حال ذلك الأمير الذي أراد والده السلطان تزويجه فخطب له حسناء من الأسر الشريفة لها جاه وثراء .

ولما حانت ليلة الزفاف ودعي لها الخاص والعام وفتحت خزائن السلطان للاحسان وتوزيع الجوائز وضيئت مصابيح المهرجان ارتفعت اصوات الطبول والغناء وجيء بالمهرّجين يقومون بحركات مضحكة ليعم السرور ويشيع الحبور .
وجيء بالعروس في حجلتها وقد زينت بانواع الزينة فأضافت الفتنة إلى فتنها وبحثوا على العريس فلم يجدوا له أثراً .

وأما ما كان من شأن العريس فقد راح يحتسي كؤوس الخمر حتى سكر ولم يعد يعي من حوله وما حوله فخرج من الاحتفال وقصر والده السلطان وراح يترنح في أزقة المدينة، فصادف عربية من تلك العربات التي يحمل فيها المجوس موتاهم وكان من تقاليدهم أنهم يضيئون حولها الشموع . فلما وقعت عيناه عليها

ظنها حجلة العروس فولج إليها فوجد فيها جسداً لعجوز شمطاء ظنها عروسه فراح يتمرغ فوق الجنازة؛ حتى هبّت نسائم الصبح فافاق الأمير من سكرته ووجد نفسه في عربة الموتى إلى جانب جنة تلك العجوز فأشرف على الهلاك من شدة الخجل والحياء وودّ لو ابتلعتة الأرض قبل أن يراه الناس على هذا الحال وفيما هو يحاول الفرار من هذا العربة إذا بالسلطان ومعه الخدم والحشم فوقفوا على فضيحته وعاره.

وهذا حال من سقط في هاوية حبّ الدنيا وغرق في الشهوات فضيّع عرس الآخرة بسكر الشهوات في الدنيا فقاده إلى مضاجعه جسد عجوز شمطاء ميتة!! روى الامام الصادق عليه السلام عن آبائه عن جدّه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله قوله:

«طَوْبَى لِمَنْ تَرَكَ شَهْوَةً حَاضِرَةً لِمَوْعُودٍ لَمْ يَزَهُ»^(١).

وعنه عليه السلام قال:

«خَفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَخَفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»^(٢).

وعنه عليه السلام أيضاً:

«أَكْثَرُ مَا تَلِجُ بِهِ أُمَّتِي النَّارَ الْأَجُوفَانِ: الْبَطْنُ وَالْفَرْجُ»^(٣).

الغفلة

وهي ضد الانتباه يعني الانصراف عن شيء يجب أن ينتبه إليه الانسان ويهتم

به.

١ - الأمل للشيخ المفيد: ٥١، المجلس السادس، حديث ١٨.

٢ - بحار الأنوار: ٧٢/٦٨، باب ٦٢.

٣ - بحار الأنوار: ٢٦٩/٦٨، باب ٧٧، حديث ٥.

ان الاستغراق المفرط في الامور المادية والألتهاء بها والانصراف الكلّي إلى ظواهر الحياة والانشغال بها إلى حدّ اللهاث وراءها ليل نهار من دون ترك فرصة للتأملات العقلية في مسائل أساسية ومصيرية تؤدي إلى الغفلة التامة ونسيان الله والدين والمعاد والطاعة والعبادة والتدين .

يقول الامام علي عليه السلام في بعض حكمه وموعظه العميقة :

«الْغَفْلَةُ أَضَرُّ الْأَعْدَاءِ»^(١).

«وَيْلٌ لِمَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْغَفْلَةُ فَنَسِيَ الرِّحْلَةَ وَلَمْ يَسْتَعِدَّ»^(٢).

«مَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْغَفْلَةُ مَاتَ قَلْبُهُ»^(٣).

«دَوَامُ الْغَفْلَةِ يُغْمِي الْبَصِيرَةَ»^(٤).

ويقول الامام الحسن السبط عليه السلام :

«الْغَفْلَةُ تَرْكُكَ الْمَسْجِدَ وَطَاعَتِكَ الْمُفْسِدَ»^(٥).

-
- ١ - غرر الحكم : ٢٦٥ ، حديث ٥٧٤٤ : ميزان الحكمة : ٤٣٦٢/٩ ، الغفلة ، حديث ١٥١٣٥ .
 - ٢ - غرر الحكم : ١٤٦ ، حديث ٢٦٥٦ : ميزان الحكمة : ٤٣٦٢/٩ ، الغفلة ، حديث ١٥١٤٣ .
 - ٣ - غرر الحكم : ٢٦٦ ، حديث ٥٧٦٥ : ميزان الحكمة : ٤٣٧٢/٩ ، الغفلة ، حديث ١٥٢٠٧ .
 - ٤ - غرر الحكم : ٢٦٦ ، حديث ٥٧٦٢ : ميزان الحكمة : ٤٣٧٢/٩ ، الغفلة ، حديث ١٥٢٠٨ .
 - ٥ - بحار الأنوار : ١١٤/٧٥ ، باب ١٩ ، حديث ١٠ : ميزان الحكمة : ٤٣٧٢/٩ ، الغفلة ، حديث ١٥٢٠٣ .

«وَكُنِ اللَّهُمَّ بِعِزَّتِكَ لِي فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا رَوْوفاً، وَعَلَى فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ عَطُوفاً»

اغمرني بالعطف وانثر عليّ الرأفة يا الهي !
لا يمكن لأحد أن يشرح أو يصور الرأفة والرحمة الالهية للمحبيب حتى لو
أوتي علماً واسعاً وقدرة على البيان البليغ .
ان القرآن الكريم يصوّر لنا جانباً من رحمة الله ورأفته حيث تتجلى في آياته
عز وجل .

وقد جاء في الأثر ان سيدنا محمد ﷺ سأل الله عز وجل أشياء منها أن يوكل
إليه حساب أمته فجاءه النداء : أنت وإن كنت نبي الرحمة ولكنك ، لست أرحم
الراحمين ولو اطلعت على بعض خطاياهم لفرت منهم... يا محمد احاسبهم واستر
عنك ذنوبهم وأنت نبي الرأفة ومظهر الرحمة الواسعة فكيف لا استرهم عن
غيرك ؟!

يا محمد أنت وإن كنت رحمة النبوة فأنا الرحمة الالهية .
أنت راهم اليوم وأنا أراهم إلى الأبد .

حكاية

حكى الشيخ البهائي : سمعت ممن اثق به أن مذنّباً قد توفي وطلبت زوجته

من الناس أن يجروا له مراسم الغسل والكفن والدفن، ولكن الناس ولشدة بعضهم إيّاه لم يحضروا إلى ذلك، فاضطرت إلى استئجار شخص لحمل جنازته إلى مسجد المدينة فلعل أهل الايمان يقومون بتجهيزه ومع ذلك لم يحضر أحد، فاضطر الأجير إلى حمل الجنازة إلى الصحراء ودفنها دون غسل وكفن.

وكان في تلك الفلاة جبل قريب وكان زاهد يعيش في ذلك الجبل، فلما رأى الجنازة عن بعد هبط من الجبل يشارك في مراسم الدفن فلما سمع الناس في الأطراف ذلك تبادروا لمساعدة الرجل الزاهد.

ولما أتموا الدفن سألوا العابد عن سرّ نزوله من الجبل والمشاركة في دفن الميت؛ فقال: رأيت في عالم الرؤيا هاتفاً يقول لي: اترك صومعتك غداً واتجه إلى المكان الفلاني في الصحراء لدفن جنازة ميت ليس يرافقه إلا زوجته فصل عليه فقد غفر الله له.

فتعجب الناس من ذلك فسأل العابد المرأة عن زوجها فقالت ما مرّ يوم إلا وأذنب فيه ذنباً؛ فقال العابد: الا تعلمين له عملاً صالحاً؟ قالت: رأيت له ثلاثة من أعمال الخير:

- ١- كان كلما أذنب خلع ثيابه وارتدى ثياباً نظيفة وتوضأ وصلى بخشوع.
- ٢- لم يخلو بيته من يتيم قط وكان يحسن إلى اليتامى أكثر من أولاده.
- ٣- كان إذا استيقظ في الليل بكى وقال: أي رب! أي زاوية من زوايا جهنم سترميني؟!

حكاية أخرى

وحكى عطار النيسابوري: كان لعبد الله بن المبارك غلام تعاقد معه إذا سدّد ثمنه من كدّه اعتقه؛ فجاء رجل ذات يوم إلى عبد الله بن المبارك وقال له: ان

غلامك ينبش القبور ليلاً! ويسرق أكفان الموتى ويبيعها ويحصل الدينار والدرهم ويأتي به إليك!

فاغتمَّ عبدالله بن المبارك لذلك، فلما حلَّ الليل وانسلَّ الغلام من المنزل، راح عبدالله يتعقبه حتى وصل المقبرة، فرأى الغلام يلج قبراً وقد ارتدى ثوباً خليقاً وفي عنقه سلسلة؛ ثم عفر وجهه بالتراب وراح يناجي بصوت يقطع نياط القلب فانتحى عبدالله جانباً وراح يبكي... وظل الغلام حتى السحر مشغولاً في مناجاته ودعائه ثم خرج من القبر وولّى وجهه شطر المدينة؛ فولج أول مسجد في الطريق ووقف لصلاة الفجر ثم قال بعد صلاته: وهو يمدّ كَفَّهُ: اللهم يا مولاي الحقيقي طلع علي الصبح ومولاي المجازي يريد مني درهماً وديناراً أي رب يا غياث المستغيثين ويا دليل المتحيّرين.

وفي تلك اللحظات انبثق نور وخرج منه دينار ليسقط في كفّ الغلام. فلم يصبر عبدالله بن المبارك ويادر إلى الغلام وهو يقول: فذاك أبي وأمي؛ وعانقه: ليتني كنت غلامك.

ولما رأى الغلام ما يصنع به مولاه ابن المبارك نظر إلى السماء وقال: اللهم لم يكن يعلم سرّي إلا أنت الآن وقد عرف سرّي غيرك فاقبضني إليك ثم تتم بكلمات وفاضت روحه الطاهرة... وقام عبدالله بدفنه في ثوبه الخلق فرأى رسول الله ﷺ في تلك الليلة ومعه ابراهيم خليل الله راكبين برافاً قادمين نحوه؛ فلما وصلا قريباً من عبدالله قالوا له: لم دفنت حبيبنا في ثوبه الخلق؟! أجل ان الله عز وجل رحيم بعباده تشملهم رأفته في كل حال؛ فكيف في وقت الدعاء والمناجاة والتوبة والعودة إليه سبحانه.

«إِلَهِى وَرَبِّى مَنْ لى غَيْرُكَ، أَسْأَلُهُ كَشَفَ ضَرْى، وَالنُّظَرَ فِى أَمْرِى»

ويا الهى ما لي أحد سواك... فألى من أتوجه بسؤالي ومن غيرك يا الهى
يكشف الكرب الذي حلّ بي؟

أي نبع في الوجود سوى فيض نبعك أنت يا رب الخير المطلق... فألبك يا رب
أتوجه في سؤالي في كل أحوالي... في دنيي وآخرتي.

ويا مولاي إلى من أتوجه وأنا البائس ومن يغشني وأنا المكروب.

أنت وحدك يا سيدي المقصود في الحاجات... وأنت وحدك نبع الاحسان
والكرم... وأنت وحدك الكمال المنزه من كل نقص وعيب.

ولو قصدت غيرك يا الهى، قصدت بخيلاً لا وجود وعاجزاً لا حول له ولا قوّة
وضعیفاً لا يحير ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً... ولو قصدت غيرك يا
رب؛ قصدت مخلوقاً مثلي وفقيراً بائساً لا يملك من نفسه شيئاً...

أنت يا الهى وحدك واجب الوجود؛ فعليك توكلني وأنت وحدك الرازق الذي
إذا مددت كفي إليك لم تردّني خائباً؛ كيف وأنت الذي ترزق بلا سؤال وتعطي يا
مغيث المكروبين.

أجل هكذا يكون حال الانسان إذا أدرك موقعه الحقيقي ويعرف من يخاطب
ومن يسأل وفي حضرة من يقف ان حال الانسان في هذه الحياة كغريق في لجة

بحر لا أمل له في النجاة إلا رحمة الله سبحانه...
وهكذا علم الله الانسان؛

«يَا عِيسَى اُدْعِنِي دُعَاءَ الْغَرِيقِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مُغِيثٌ» (١).

وجاء عن الامام الصادق عليه السلام؛

«إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ لَا يَسْأَلَ رَبَّهُ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ فَلْيَتَيَاسَّ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَلَا يَكُونَ لَهُ رَجَاءٌ إِلَّا عِنْدَ اللَّهِ، فَإِذَا عَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ مِنْ قَلْبِهِ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهُ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ» (٢).

ان من يقول يا معبودي ولا معبود سواك؛ من كل قلبه ومن أعماق وجوده صادقاً مخلصاً لا بد وأن يستجاب دعاؤه.

ان من يقطع أمله ورجاءه من كل شيء إلا الله... أن من لا يرى شيئاً إلا الله... لا مال ولا ثراء ولا جاه ولا كل شيء من مظاهر هذه الدنيا الزائلة... لا بد وان تنفذ كلماته ومناجاته استار الحجب وتصل إلى الله ويستجاب دعاؤه.

ان من يقول يا الهي ورببي وسيدي... يعني انه يرفض سلطة الفراعنة ولا يعترف بحاكمية أحد إلا حاكمية الله سبحانه وتعالى لأنه لا شيء في الوجود يمكن أن يقدم نفعاً للانسان أو يلحق ضرراً.

ومن هنا فان حب الله والايمان به عزوجل يتطلب الانصراف عن كل شيء واليأس من كل شيء؛ وهذا هو ايمان العاشقين، انهم لا يرون شيئاً إلا الله وما ما هذا الوجود إلا تجلياً لرحمته وارادته وقدرته.

ولهذا ترى العاشق يقول؛

١ - بحار لأنوار: ٢٩٥/١٤، باب ٢١.

٢ - الكافي: ١٤٨/٢، باب لاستغناء عن الناس، حديث ٢.

«إلهي وربّي من لى غيرك، أسئله كشف ضرى والنظر فى أمرى».

وهكذا يقول المؤمن :

«إلهي إنّ لى فى كشكولِ الْفَقْرِ مَا لَيْسَ فى خزانَتِكَ».

وهو الله سبحانه الغني المطلق محبوب الفقراء والذين أدركوا حقيقة فقرهم الذاتي .

وعندما يحصل الانقطاع إلى الله ... عندما ينبض القلب بعشق المحبوب ، وعندما تفيض العيون شوقاً إليه ، وتتغفر الخدود تذلاً في حضرة ، وعندما تتشبث الأكف بأذيال رحمته ، حينئذ تنفتح أبواب السماوات ويتدفق الفيض الالهي بالرحمة والرأفة والمغفرة والبركات ويضع الانسان خطاه في الطريق المستقيم ، الذي يؤدي إلى السعادة في الدنيا والآخرة .

حكاية

حكى أحد العرفاء عن أم طردت ابنها الشاب لعقوقه وأذاه واعراضه عن النصيحة ، قالت له : اخرج فلست ابني . ويخرج الفتى ليمضي وقته مع الفتيان ، إلى حان وقت الغروب فراحوا يعودون أدراجهم إلى بيوتهم ، ولما ظل وحيداً ولم ير وفاءً من رفاقه عاد إلى منزله فرأى الباب مسدوداً ، فراح يطرق الباب ويبكي ويتضرّع ويتوسل إلى أمه أن تفتح له الباب ولكن أمه امتنعت عن ذلك .

وفيما هو يتضرّع ويبكي مرّ عالم تقي فأشفق على الفتى ، فطرق الباب وتشفع للفتى عند الأم لتفتح الباب .

قالت الأم : أيها المحترم اقبل شفاعتك بشرط أن تكتب لي عهداً إن عقني

بعدها وآذاني أن يخرج من البيت ولا يدعوني أمه، فكتب الرجل التقي لها ذلك وتصالح الابن مع أمه.

ومرّت أيام وذات يوم مرّ الرجل التقي فوجد الفتى عند الباب يتضرع ويقول: كوني ما شئت ولكن لا تغلقي دوني الباب ولا تطرديني. ولكن الأم أصرّت على عدم فتح الباب وقالت: لن افتح لك الباب ولن ادعك تدخل البيت، ولن اتصالح معك. وفكر الرجل التقي ان يجلس جانباً ليرى عاقبة الأمر، فرأى الفتى يجهش بالكباء إلى أن غشي عليه وانقطع صوته، واطلّت الأم لترى ما حلّ بابنها، فلما رأت ذلك فارت عاطفة الأمومة، ففتحت الباب ورفعت رأس ولدها عن التراب ووضعت في حجرها وراحت تمسح عن رأسه وتقول: يا قرّة عيني! انفضش لتدخل البيت. اني وان اغلقت دونك الباب فلم يكن مرادي طردك، بل كنت أريد تأديبك لتعود إلى دائرة الطاعة.

ان المذنب إذا تاب وندم وتضرّع إلى الله عزوجل وأتاب فستفتح له أبواب المغفرة والرحمة^(١).

حكاية اخرى

جاء في ترجمة محمود الغزنوي انه لما ترّبّع على عرش السلطنة والملك مرّ يوماً بشاطئ البحر فرأى فتىً يلقي بشباكه إلى البحر وكان في غاية الحزن فسأله السلطان عن سبب حزنه فقال الفتى أيها الملك وكيف لا أحزن ونحن سبعة يتامى

١ - حدثني صديق انه قرأ في كتاب عن ذكريات العارف الاديب الشيخ حسن زاده آملي حفظه الله مر كل مكروه أنه كان له ثلاثة أولاد، وكانوا يلعبون في البيت ساعة استراحته فمكروا عليه عفوته بصحتهم، فهب من نومه غاضباً فأمسك بكبيرهم وضربه فيما فرّ وسطهم أما الولد الأصغر، فلما شعر بانه قد وقع في قبضة والده وأنه لا يمكن الفرار ركض إلى والده وأعتنقه وقبله، نأسقط في يد الشيخ العارف ودمعت عيناه وكان له فيما حصل عرة وموعظة لأنه لا فرار للعبد الأبز من الله إلا إليه !! المنرحم.

فقراء أمنا عجوز فمن ابن لي أن أكفل معيشتهم فأنا آتي كل يوم إلى البحر، فربما اصطدت سمكة أو سمكتين، فقال الملك أتحب أن اصطاد معك وأكون شريكك؟ قال الشاب: نعم.

قال السلطان: اسحب الشباك باسمي، فلما أراد أن يفعل ذلك فاذا هو لا يستطيع فقال الملك لمن حوله: اعينوه!

فلما اخرجوا الشباك فاذا هي ملأى بالسمك الوفير.

ولما عاد السلطان إلى قصره وجلس على سرير الحكم أرسل وراء الفتى فجاء فأجلسه إلى جانبه وراح يسأله وكان كلما استنكر أحد وقال: ليس مكان هذا الفتى إلى جانبك يقول: انه على كل حال شريكي وهو في ما لدي شريك. أجل إذا كان الملك المجازي هكذا يفعل، فما بالك بالملك الحقيقي وعنده الخزائن التي لا تنفذ ولا تنتهي. كلف ستره يفعل مع الانسان الفقير المحتاج والذي لا يمكن له أن يعيش حتى لحظة واحدة من دونه.

إن نظرة من الرحمة الالهية تفعل ما لا يمكن تصوره. نظرته سبحانه انقذت نوح والمؤمنين من غضب الطوفان العظيم. وهي التي جعلت من عصا موسى قدرة تهزم الفرعون، الذي تجبر وطغى وقال أنا ربكم الاعلى، وتخلص بني اسرائيل من طغيانه وتنقذهم من الغرق في مياه البحر وأمواجه المتلاطمة. وأوصلتهم إلى ساحل النجاة والأمان، وهي التي انقذت أيوب من سهام البلاء والمصائب؛ وانقذت يوسف من غيابات الجب وأجلسته على كرسي الحكم ليصبح عزيز مصر.

وحكاية أخرى

كان حاتم الاصم من الزهاد والعرفاء والاتقياء في عصره، وبالرغم من شهرته بين الناس فقد كان يعيش مع أسرته في شظف من العيش ولكنه كان يتوكل

على الله وحده.

كان يتحدث ذات ليلة مع أصدقاء حول الحج وزيارة بيت الله الحرام وزيارة ربوع الوحي والنبؤات فتأججت نار لشوق للسفر إلى هناك.

وما إن عاد إلى منزله حتى حدث زوجته وأولاده برغبته في حج بيت الله فقالت زوجته: ومن أين لك نفقة السفر وزاد الطريق وأنت فقير لا تملك شيئاً؟! ثم كيف تتركنا على هذا الحال وأنت كما ترى! وقد كتب الله سبحانه الحج على الأغنياء ومن استطاع إليه سبيلاً؟!!

وأمن أولاده على كلام الأم إلا ابنته الصغيرة فقد قالت: وما يمنعكم من أن تأذنوا له بالسفر؟ دعوه يذهب إلى حيث شاء ورزقنا على الله وما والدنا إلا سبب من الأسباب ولأن ذهب فان الله سيرزقنا بسبب آخر. وانتبه الجميع إلى هذه الحقيقة وأذنوا لأبيهم بالسفر وحج بيت الله الحرام والدعاء لهم هناك.

وسرّ حاتم أيما سرور وأعدّ للسفر أسبابه والتحق بقافلة الحجيج.

ولما سمع الجيران بأن سفر الرجل الزاهد كان سببه ما قالت ابنته الصغيرة جاءوا يلومونها كيف فعلت ذلك وماذا سيفعلون وقد يغيب ربّ العائلة شهوراً طويلة؟

وأنضم أفراد العائلة إلى جميع اللائمين: وقالوا لو لا أنك قلت ما قلت ما حصل ما حصل!

وشعرت الفتاة بالحزن وراحت تبكي ببراءة وفي تلك الحالة رفعت كفيها إلى السماء وقالت: اللهم ان هؤلاء اعتادوا على احسانك وكرمك ويطعمون من موائد نعمك اللهم فلا تضيعهم ولا تخزني فيهم.

وفيما كان أفراد الأسرة حائرين يفكرون فيما عسى يفعلون ومن أين سيأكلون أو يشربون وإذا بحاكم المدينة يعود من رحلة صيد وقد هدّه الظمأ

والسغب؛ فأرسل بعض رجاله إلى بيت هذه الأسرة الفقيرة فطرقوا الباب وخرجت المرأة تسأل من الطارق وما يريد؟ قالوا: أرسلنا حاكم المدينة يطلب ماءً. فنظرت المرأة إلى السماء وقالت: اللهم إنا بتنا ليلتنا جائعين واليوم يأتي الأمير يطلب منا ماءً!!

ثم احضرت اناء مليئاً بالماء وجاءت به إلى الأمير واعتذرت عن الاناء لأنه كان من خزف وسأل الأمير من حوله عن هذا المنزل لمن؟ قالوا: هو للأصم أحد الزهاد والعرفاء وقد سمعناه أنه ذهب إلى الحج وليس لعياله نفقة. قال الأمير:

إنا قد طلبنا منهم ماءً وهم ليسوا في حال ميسور وليس من المروءة إلا أن نساعدهم؛ قال ذلك، ثم فتح نطاقاً ذهبياً كان يتمنطق ورماه في بيت الزاهد ثم قال: من احبني فليفعل مثل ذلك. ورمى جميع من معه انطقتهم، ولما أرادوا مغادرة المكان قال الأمير سلام عليكم سوف يأتي وزير إليكم ويشترى منكم هذه الانطقة، وما أسرع أن جاء الوزير يحمل اثمان تلك الانطقة.

ولما رأت الفتاة ذلك دمعت عيناها؛ فقيل لها هذا ليس وقت بكاء بل فرح وسرور وقد فتح الله علينا من أبواب رحمته ولطفه وما وسّع علينا عيشنا.

قالت الفتاة: ابكي لاتنا بتنا ليلتنا فقراء جائعين واليوم نظر إلينا مخلوق فاغنانا، فكيف لو نظر الله إلينا؟!

ثم رفعت يديها إلى السماء تدعو لأبيها:

اللهم كما نظرت إلينا وأنزلت علينا من رحمتك فانظر إلى أبينا واصلح أمره. وأما ما كان من شأن حاتم الأصم فقد كان في قافلة الحجيج ولم يكن في القافلة من هو أفقر منه، فلا مركب يحمل ولا زاد يكفيه ولكن كان كل من يعرفه يمدّ له يد العون بشيء يسير.

و ذات ليلة شعر أمير الحاج بألم شديد وعجز طبيب القافلة من فعل شيء يسكن ألمه ويداوي أوجاعه، فسأل أمير الحاج عن زاهد عارف في القافلة يدعو له ويفرج عنه بدعائه ممّا يعاني قيل: نعم هو حاتم الأصمّ. فقال أيتوني به الساعة؛ فتراكض الغلمان إلى حاتم يحضروه، فدخل وسلّم على الأمير وجلس عند فراشه ثم دعا له بالشفاء فما أسرع أن انفرجت أسارير الأمير وزال عنه الألم، كأنه لم يكن يتلوّى منه وأراد أن يكافئه فأمر بتهيئة مركب له وأعطاه ما يكفي من النفقة ذهاباً وإياباً.

فشكر حاتم الأمير ولما دخل الليل كانت له مع الله عز وجل مناجاة وتضرع وخشوع إلى أن وهّمت عيناه بالنوم فسمع هاتفاً يقول: يا حاتم من أصلح حاله مع الله أصلح الله حاله معه ومن آمن به أنزل عليه رحمة منه وبركات؛ فلا تغتم لحال عيالك فقد أصلح الله حالهم.

ولمّا أفاق حمد الله وأثنى عليه وهو يعجب من أمر الله عز وجل.

ولما عاد من حج بيت الله خرج لاستقباله أولاده وسرّوا بلاقائه وهو أيضاً سرّ بهم وكان أكثر سروراً بابنته الصغيرة؛ فقبلها وقال ما أكثر من تظنه صغيراً وهو كبير إنّ الله لا ينظر إلى السن وإنما إلى معرفة الحق فسلام على من عرف الله وتوكل عليه، ومن توكل على الله فهو حسبه^(١).

وحكاية أخرى

حكى الفاضل السيد جعفر المزارعي: ان أحد طلبة الحوزة العلمية في النجف

الأشرف كان يعيش في ضيق وشطف من العيش لا يطاق.

فجلس ذات يوم إلى جانب ضريح سيدنا علي عليه السلام يشكو حاله بشيء من العتب قائلاً: سيدي يا أبا الحسن لأي شيء تعلق في ضريحك هذه المصاييح الوهاجة التي لا نظير لها وهذه الثريات وأنا كما ترى من البؤس في حالي؟! فرأى في ليلته تلك وفي عالم المنام أمير المؤمنين يقول له: إن أردت جوارى هنا فهذا عيشك خبز وفجل وهذا أثاثك لا يعدو سوى فراش وإن أردت الرفاه فاذهب إلى لهند إلى مدينة «حيدر آباد الدكن» إلى بيت فلان فاطرق الباب وقل لصاحب الدار:

سمعت نحو السماء واضحت دارة الشمس!

ولما استيقظ من النوم انطلق في الصباح إلى مرقد سيدنا علي عليه السلام وشكى حاله وقال: لقد ساءت حالي حتى لا أستطيع البقاء في هذا البؤس قال ذلك وعاد ادراجه إلى حجرته، فرأى في منامه في الليل أمير المؤمنين يقول له: هو ما قلت لك إن أردت جوارى فهذا عيشك وإلا فاذهب إلى تلك المدينة وقل لصاحب الدار: سمت نحو السماء وأضحت دارة الشمس.

وهب ذلك الطالب من نومه وظل ساهراً حتى الصباح وما إن صلى صلاة الفجر، حتى رح يللم كنبه وأثاثه البسيط وعرضه للبيع لعله يهيأ نفقة توصله إلى الهند وساعده بعض المحسنين وقد أبدى بعضهم تعجبه من هذا الطالب الفقير يقصد زيارة فلان الثري في الهند!!

وشد الطالب الرحال ووصل إلى الهند وإلى المدينة وإلى تلك الدار؛ فاذا هي قصر فهتف به: سمت نحو السماء واضحت دارة الشمس.

ولما سمع الرجل ذلك أمر الخدم أن يدخلوا الشاب واستبقاه باكرام، فأرسل إلى الحمام وغير ما عليه من الثياب وقد قدم له الطعام وبات ليلته تلك في أحسن حال.

فلما كان العصر من اليوم التالي ادخل إلى صالة الاستقبال؛ فرأى أعيان البلدة وتجارها وعلماءها يفدون وكل يجلس في مكان خصص له من قبل؛ فسأل من حوله هل من مناسبة؟

فقال له: اليوم قعد قران ابنة صاحب القصر.

وكانت الصالة أحسن زينة عندما حضر صاحب القصر؛ فنهض له الجميع اجلاً لأفحيّاهم ورحب بقدمهم ثم استقرّ في مكانه.

وهيمن صمت مهيب على المحفل وكل الانظار مشدودة إلى صاحب الدار الذي قال: أيها السادة أشهدكم جميعاً على ني أهدي نصف ثروتي من أرض وبساتين وماشية وأثاث إلى هذا الطالب القادم من النجف الأشرف وأشهدكم على أنني أزوجه إحدى ابنتي وليس لي غيرهما وأنتم يا علماء الدين اجروا صيغة العقد، وكاد الطالب أن يفقد وعيه لما يرى هل هو في حلم أن يقظة؟!

ولكنه استعاد رباطة جأشه وسأل: عن سرّ ما يرى؟

فقال الرجل الثري محدثاً ضيفه وصهره والحاضرين: قبل سنوات أردت انشاء شعر في مديح سيدنا مولى المتقين علي أمير المؤمنين؛ فقلت صدرأ في مدحه وعجزت عن العجز فاستعنت بشعراء الفارسية في الهند؛ فلم أجد عندهم ما يشفي غليلي واتصلت بشعراء في ايران فلم يوافقني بأحسن ممّا سمعت في الهند أحد؛ فقلت في نفسي ان لهذا سرّاً؛ فنذرت لله إن وجدت الشطر الثاني من الشعر؛ شطرت أموالي شطرين وأعطيت شطراً لقائله وزوّجته إحدى ابنتي يختار، فلما جئت وهتفت بهذا الشطر من البيت وقع في قلبي موقعاً حسناً وقلت: هذا ما كنت ابحث عنه:

فقال الطالب وما صدر البيت يا سيدي؟

فقال الرجل: ولو لطف أبي تراب إلي ذرّة ينظر، فقال الطالب: ولكن الشعر لم

يكن لي، كان لطفاً من سيدي ومولاي أمير المؤمنين علّمنيهِ في الرؤيا .

فسجد الرجل الهندي الثري شكراً لله وأنشد :

ولو لطف أبي تراب إلى ذرة ينظر

سمت نحو السماء واضحت دائرة الشمس^(١)

هذه نظرة لطف لأمر المؤمنين ﷺ اغنت فقيراً ورفعت مغموراً؛ فكيف بنظرة

رب الأرباب . والأرض جميعاً قبضته والسموات مطويات بيمينه ؟!

١ - الشعر بالفارسية :

به دزه گر لطف بو تراب کند به آسمان رود و کار آفتاب کند

«إِلَهِي وَمَوْلَايَ أَجَزَيْتَ عَلَيَّ حُكْمًا أَتَّبَعْتُ فِيهِ هَوَى نَفْسِي ، وَلَمْ أَخْتَرِشْ»
«فِيهِ مِنْ تَزْيِينِ عَدُوِّي ، فَغَرَّنِي بِمَا أَهْوَى وَأَسْعَدَهُ عَلَيَّ ذَلِكَ الْقَضَاءُ»
«فَتَجَاوَزْتُ بِمَا جَرَى عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ بَغْضَ حُدُودِكَ»
«وَخَالَفْتُ بَغْضَ أَوْامِرِكَ»

لقد زللت عن الطريق يا سيدي وحُدت عن المنهج الذي رسمته لي...
ونسبت يا الهي؛ العدو الذي حذرتني منه فاستغفلني وأوقع بي وراح يضحك مني
وهو يراني اتخبط في سيري بعيداً عن طريقك القويم.

الواجبات

خلق الله عزوجل البشر وأودع في قلبه العقيدة الحق، ونفخ في نفسه
الاخلاق الحسنة وأوحى إلى جوارحه أن تنساق إلى الأعمال الصالحة ومنح الله
سبحانه عبده الارادة وحمله مسؤولية الاختيار وقد بين له الطريق اللاحب
الواضح المبين الذي يقوده إلى خير الدنيا وخير الآخرة.
ولاشك أن تنفيذ ارادة الحق تبارك وتعالى باخلاص وحب في جميع
الظروف فان الانسان سوف يتدرج في مراتب الكمال الذي يوصله إلى السعادة
في الدارين والحصول على رضوان الله عزوجل في حياة طيبة هائلة أبدية في

مقعد صدق مع الأنبياء والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا.
ولكن ما يمنع ويحول بين الاستجابة لأمر الله عز وجل ونهيه هي الأهواء
النفسية؛ التي مجموع الرغبات والميول، التي تحاول باستمرار جرّ الإنسان إلى
أشباعها بأي طريقة وبأي ثمن، حتى لو أوقعت الإنسان في المعاصي والذنوب
والخطايا.

وهذه الأهواء والرغبات الجائعة تصور للإنسان هذه الدنيا الفانية في أحلى
صورة؛ فتجسّد له لذائذها ومتعها ومظاهرها لبراقة الخادعة، وتوحي له أن
السعادة هي في أشباع الرغبات، بأية وسيلة حتى لو كان ذلك على حساب سحق
حقوق الآخرين وانتهاك كرامتهم الإنسانية.

وشيئاً فشيئاً يصبح الإنسان أسيراً في قبضة الشهوات والرغبات التي
تستحيل إلى حيوانات جامحة تعربد باستمرار ولا ترف الهدوء، وتصبح إنسانية
الإنسانية أسيرة ويستحيل الكائن الإنساني إلى حيوان وربما إلى ما هو أسوأ بكثير
من درجة الحيوانية وحينئذ ينسى الإنسان الحقيقية؛ فلا يرى سوى الأباطيل.
وعندما يكتشف الحقيقة يكون قد فات الأوان لأن مخالب الموت قد نشبت
في عنقه ولات حين مناص وحينئذ يدرك المرء أن عدوّه كان نفسه التي بين
جنبيه، يقول سيدنا محمد ﷺ:

أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ^(١).

أجل هذه النفس الأمّارة بالسوء. هذه الأهواء التي تصبح كالحيوانات
الكَاسرة لا تعرف سوى الافتراس والبطش والشر حتى يصبح الإنسان العوبة،
تدفعه حيث تشاء وتبعثر سنوات عمره في مستنقعات الرذيلة والسقوط.

سئل الامام الرضا عليه السلام عن شيء يجمع خير الدنيا والآخرة، قال: خالف هواك ^(١).

وقال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله:

أَفْضَلُ الْجِهَادِ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ ^(٢).

وقال عليه السلام لعلي عليه السلام:

يَا عَلِيُّ أَفْضَلُ الْجِهَادِ مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْمُ بِظُلْمٍ أَحَدٍ ^(٣).

عندما يسلم الانسان نفسه لأهوائه النفسية فانها ستأخذه إلى طريق الغواية ويسقط فريسة الخداع والوساوس الشيطانية، فبنسى الله واليوم الآخر يوم الحساب والجزاء، ومعنى هذا ان الانسان قد مكّن الشيطان من روحه، وكان الأحرى به وقد منحه الله نعمة الارادة والحرية أن يختار الطريق الصائب، من خلال اقامة علاقة حب مع الله عز وجل والقيام بكل الواجبات الدينية الالهية واجتناب المعاصي والظلم وانتهاك حقوق الغير وفي هذا تكمن السعادة الأبدية.

١ - سفينة البحار: ٢٩٨/٨.

٢ - وسائل الشيعة: ١٦٣/١٥، باب ١، حديث ٢٠٢١٦.

٣ - وسائل الشيعة: ١٦٢/١٥، باب ١، حديث ٢٠٢١٤.

« قَلَّكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ »

« وَلَا حُجَّةَ لِي فِيمَا جَرَى عَلَيَّ فِيهِ قَضَاؤُكَ ، وَالزَّمَنِي حُكْمَكَ وَبَلَاؤُكَ »

أجل يا سيدي أنني مدان وكل الأدلة ضدي ، فلقد عشت حياتي حراً مسؤولاً
امتلك الارادة الكافية وأعي ماذا أفعل وكنت أرى طريقين طريق الخير وطريق
الشر ولكنني مع الأسف اخترت طريق الهاوية والسقوط . فها أنا تحت حكمك
مستسلم لقضائك .

أدلة الحق

يدرك الانسان بوضوح انه مسؤول تماماً عن أفعاله وأعماله وبالتالي عن كل
تجاربه ولا حجة له عند الله في تبرير أي من مواقفه وسيرته .

فهو ينعم بالارادة التي تجسّد استقلاله وحرّيته في الانتخاب كما أنه يعي
تماماً ما حوله من دروب لحياة ؛ فكلمة الدين واضحة والأدلاء هنا وهناك
وكتاب الله يتلى عليه ؛ وهناك من كتب المعروفة والثقافة ما يساعده على اكتشاف
الدين والحق والطريق القويم .

وهو ينعم بقدرات عقلية كافية ، جعلته يعرف كيف يعيش وكيف يكسب قوته
ويشغل موقعه في الحياة الاجتماعية .

ولو انه احتج بغياب من يساعده ويرشده إلى سواء الطريق فهذه النبوات، تتألق كما صبيح تضيء ظلمات الأرض وقد أضاءت مصابيح وقناديل مئة وأربعة وعشرون ألف نبي ورسول وكان سيدنا محمد آخر الرسل وخاتم الأنبياء؛ وهذا كتاب الله عز وجل؛ وقد نصب رسول الله ﷺ اثني عشر اماماً يفسرونه ويقرأونه للناس ويبلغون أحكامه وهذه مساجد الله يرفع فيها اسمه يُسبح له فيها بالغدو والآصال.

فما عذر الانسان بعد كل هذا؟ أجل ليس له عذر إلا المكابرة والانصياع للأهواء ووضع الأصابع في الآذان حتى لا يسمع صوت الحق.

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾^(١)

قال أحد أصحاب الامام الصادق عليه السلام: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«تَوَاتَىٰ بِالْمَرْأَةِ الْحَسَنَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلْتَىٰ قَدْ أَفْتِنْتِ فِي حُسْنِهَا فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَسَنْتُ خَلَقِي حَتَّىٰ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ؛ فَيُجَاءُ بِمَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَيُقَالُ: أَنْتِ أَحْسَنُ أَوْ هَذِهِ؟ قَدْ حَسَنَّاها فَلَمْ تُفْتِنِّي. وَيُجَاءُ بِالرَّجُلِ الْحَسَنِ الَّذِي قَدْ أَفْتِنْتَ فِي حُسْنِهِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَسَنْتُ خَلَقِي حَتَّىٰ لَقِيتُ مِنَ النِّسَاءِ مَا لَقِيتُ، فَيُجَاءُ بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيُقَالُ: أَنْتِ أَحْسَنُ أَوْ هَذَا؟ قَدْ حَسَنَّاها فَلَمْ يُفْتِنِّي. وَيُجَاءُ بِصَاحِبِ الْبَلَاءِ الَّذِي قَدْ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ فِي بَلَاءِهِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ شَدَّدْتَ عَلَيَّ الْبَلَاءَ حَتَّىٰ أَفْتِنْتُ؛ فَيُتَوَاتَىٰ بِأَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيُقَالُ: أَبْلَيْتُكَ أَشَدَّ أَوْ بَلِيَّةٌ هَذَا؟ فَقَدْ أَبْتَلَيْتُ فَلَمْ يُفْتِنَّنِي»^(٢).

١ - سورة القيامة: ١٤ - ١٥.

٢ - الكافي: ٢٢٨/٨، حديث يأجوج ومأجوج، حديث ٢٩١؛ بحار الأنوار: ٢٨٥/٧، باب ١٣.

حديث ٣.

« وَقَدْ أَتَيْتَكَ يَا إِلَهِي بَعْدَ تَقْصِيرِي وَإِسْرَافِي عَلَى نَفْسِي مُعْتَذِرًا نَادِمًا »
« مُنْكَسِرًا، مُسْتَقِيلًا مُسْتَغْفِرًا مَنِيئًا، مَقْرًا مَذْعِنًا مُعْتَرِفًا »
« لَا أَجِدُ مَقْرًا مِمَّا كَانَ مِنِّي، وَلَا مَفْزَعًا أَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِي »
« غَيْرَ قَبُولِكَ عُذْرِي، وَإِذْ خَالَكَ إِتَائِي فِي سَعَةِ مِنْ رَحْمَتِكَ »

ها أنا قادم إليك يا رب... قدم أعذر... نادماً يا الهي منكسراً يا رب
واعترف في حضرتك بكل خطاياي وأعترف أنه لا مهرب لي إلا بالفرار إليك ها أنا
قادم فاقبلني واصفح عني تائباً جئت فاغفر لي يا الهي .

كلمات الحب ومناجاة العشق

وفي هذا المقطع من الدعاء نجد سيدنا علي عليه السلام يشير إلى كل ما من شأنه أن
يؤدي إلى المغفرة؛ اعتراف بالتقصير في العبادة، اعتراف واقرار بالاستغراق في
الشهوات، ندم وانكسار وعتذار واستغفار، وإدراك كامل بالعجز عن الفرار إذ لا
طريق للقرار من الحق إلا بالاعتذار وطلب المغفرة والتوبة.

هذا النواح والتضرع والبكاء وهذا الندم والاعتراف يجسد توبة حقيقية وعزم
على العودة والانابة إلى المحبوب ن هذه الكلمات البشرية لا بد وأن الله عز وجل
يحب سماعها من عباده.

جاء في سيرة العاشقين؛ ان أحد السالكين جاء إلى وليّ من أولياء الله، فقال:
لقد قررت الرحيل إلى رحاب الحق ومقام الربوبية والحضور في رحاب الالهية
فاخبرني أي هدية آخذ معي إلى الرب الودود الغفور مالك الملك ذي الجلال؟
لأن الذهاب بيد خالية في غاية القبح والجفاء!

فقال ذلك الولي: احمل إليه ما ليس هناك... هناك الكمال في العلم والحلم
والقدرة والرحمة والمشية واللفظ والمطلق في السمع والبصر والكرم والجلال
والعدل والسطوة والهيبة أما ما ليس هناك فهو الآهة الحرى والدمعه والنضرع
وكلمات الانكسار.

أجل انه يحبّ أصداء التائبين وكلمات النادمين ومناجاة العائدين وصرخ
المكروبين واستغاثة المنيبين وأي عاشق لا يحب اقبال حبيبه؟!

يوسف وزليخا

جاء في قصص الأنبياء: ان زليخا استغلت نفوذها واتهمت يوسف حتى سيق
إلى السجن، وأرادت زليخا أن تسمع صوت الذي شغفها حباً؛ فأمرت غلاماً لها أن
يضربه بالسوط لتسمع تأوهاتة ولما أراد الغلام أنى فعل ذلك ووقع عيناه على
حالة يوسف وقد تألق وجهه بنور سماوي لم يطاوعه قلبه أن يجلد هذا الفتى
الكريم؛ فأمر أن يضع على ظهره ثوباً وراح يلهبه بالسياط فلم يتألم كثيراً وكانت
زليخا تصغي إلى صوت السياط ولا تسمع ليوسف أنه ولا نوجعاً؛ فأمرت غلامها
أن يشدّد في الضرب حينئذ طلب الغلام من يوسف أن يكشف عن جزء من ظهره؛
فاستجاب يوسف وراحت السياط تنهال عليه؛ حتى تصاعدت أناته وزليخا
تصغي إلى صوت من شغفها حباً!

قوم يونس

لَمَّا أَحَسَّ قَوْمُ يُونُسَ أَنَّ نَبِيَّهِمْ قَدْ غَادَرَ مَدِينَتَهُمْ مُتَجَهًّا إِلَى دِيَارِ بَكْرٍ وَرَأَوْا
عَلَامَاتِ الْعَذَابِ وَاضِحَةً فِي الْفُضَاءِ وَأَيَقَنُوا أَنَّ سَخَطَ اللَّهِ وَقَعَ عَلَيْهِمْ لَا مُحَالَةَ
وَأَنَّهُمْ قَابُ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى مِنَ الْهَلَاكِ، هَبُّوا إِلَى رَجُلٍ يَتَوَسَّمُونَ فِيهِ الصَّلَاحَ
فَاسْتَغَاثُوا بِهِ فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يَفْعَلُوا مَا يَظْهَرُ عِزُّهُمْ وَنَدَمُهُمْ وَانْكَسَارُهُمْ
وَاعْتَذَارُهُمْ وَاعْتِرَافَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ؛ فَخَرَجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَنْ بَكْرَةَ أَبِيهِمْ إِلَى الْفَلَاةِ
وَفَرَّقُوا بَيْنَ الْأَطْفَالِ وَأُمَّهَاتِهِمْ وَارْتَدَوْا الْخَلْقَ مِنَ الثِّيَابِ وَخَرَجُوا جَمِيعًا حِفَاةً
يَبْكُونَ وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَرْفَعَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ حَتَّى الْحَيَوَانَاتِ أَخَذُوهَا مَعَهُمْ
فَامْتَلَأَ الْفُضَاءُ بَيْكَاءَ الْأَطْفَالِ وَعَوِيلِ النِّسَاءِ وَبَكَاءِ الرِّجَالِ وَثَغَاءِ الْمَاشِيَةِ، وَالْجَمِيعِ
يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ وَيَقْرَأُ بِالْآثِمِ وَقَدْ أَعْلَنُوا تَوْبَتَهُمْ وَآمَنُوا بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ لَا شَرِيكَ لَهُ
وَتَبَرَّأُوا مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ.

وَفِيمَا جَاءَ فِي تَضَرُّعِهِمْ: الْهِنَا وَرَبَّنَا إِنْ يُونُسَ وَعَظْنَا وَقَالَ اعْتَقُوا الْعَبْدَ
وَأَحْسِنُوا إِلَى الْبَائِسِ الْفَقِيرِ وَنَحْنُ يَا رَبَّنَا عَبِيدُكَ فَاصْفَحْ عَنَّا وَأَعْتَقْنَا مِنْ غَضَبِكَ...
اللَّهُمَّ يَا غِيَاثَ مَنْ لَا غِيَاثَ لَهُ.

وَاسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَحِمَهُمْ وَرَفَعَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ الَّذِي كَادَ يَعْصِفُ بِهِمْ
وَيَمْزِقُهُمْ وَيَجْعَلُهُمْ أَحَادِيثَ.

إِنَّ الْعُودَةَ إِلَى اللَّهِ وَالْاعْتِرَافَ بِالخَطَا وَالْتِقَصِيرِ هُوَ مَا يَنْبَغِي عَلَى الْإِنْسَانِ
الْعَاقِلِ أَنْ يَفْعَلَهُ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَبَانَ مَعَالِمَ دِينِهِ وَأَتَمَّ حُجْجَهُ عَلَى عِبَادِهِ فَلَا
عُذْرَ لَهُمْ مِمَّا يَفْعَلُونَ وَلَا حُجَّةَ لَهُمْ فِيمَا يَرْتَكِبُونَ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ.

وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ فَتَحَ أَبْوَابَ التَّوْبَةِ وَمَهَّدَ مَسَالِكَ الْعَائِدِينَ إِلَيْهِ وَسَعَتْ
رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ.

«اللَّهُمَّ فَاقْبَلْ عَذْرِي، وَأَرْحَمْ شِدَّةَ ضُرِّي، وَفُكِّنِي مِنْ شَدِّ وَثَاقِي»
«يَا رَبِّ أَرْحَمْ ضَعْفَ بَدَنِي، وَرِقَّةَ جِلْدِي، وَدِقَّةَ عَظْمِي، يَا مَنْ بَدَأَ خَلْقِي»
«وَذِكْرِي، وَتَرْبِيَّتِي وَبِرِّي وَتَغْذِيَّتِي، هَبْنِي لِابْتِدَاءِ كَرَمِكَ، وَسَلِّفْ بِرَّكَ بِي»

اقبل اعتذاري يا رب، وارأف بحالي ...

وهذه الأغلال يا الهي لا يفكّني منها سواك ... أنا يا الهي ضعيف وأنت يا رب خلقتني ... وأنت الذي هيأت لي كل أسباب النمو بكرمك ساعدني فقد غمرتني بلطفك منذ جئتُ إلى الوجود يا الهي !

في رحاب الحبيب

وفي هذا المقطع من الدعاء نجد أن الكلمات تقطر عشقاً وتوبة وصدقاً
كلمات مفعمة بالمناجاة الخالصة والمشاعر الانسانية التي تدرك جيداً موقعها
الحقيقي في ساحة الله خالق الخلق أجمعين .

ان كلمات الاعتذار تتوالى تباعاً وتحمل معها الاعتراف الكامل بالخطيئة
والضعف البشري ... ليس هناك من عذر سوى الاقرار بالذنب والتوبة والندم .

هذا هو الكائن البشري يقف أمام الله الذي خلقه وغمره بالنعم والآلاء وسخر
له كل شيء ... ها هو يقف يغمره احساس بالخجل والندم وها هو يعترف بضعفه

وغفلته وكيف انزل في الضياع والته قبل أن يصحوا وينتبه إلى ما وصل إليه من طريق مسدود...

انه يعود إلى الله ويعترف أمامه باكياً متضرعاً متوسلاً منيباً منكسراً مقراً مذنباً معترفاً لا يجد مفرّاً من الله إلا إليه...

نهار الغفلة التي تغتال الانسان وتقذف به نحو هاوية مظلمة سحيقة مالها من قرار... ولكنه ينتبه في لحظة رحمة الهية فيعود يبكي ويشكو ويلوم نفسه آه كيف سوّلت لي نفسي؟! كيف انخدعت بوساوس الشيطان ونسيت كيد عدوّي؟!!

لماذا تركت نار الحسد تلتهم انساني؟ ولماذا عميت بصيرتي وتركنت ذاتي تتضخم وتتضخم حتى لم أعد أرى شيئاً غيرها ولا أرى العالم إلا من خلالها؟ لماذا الحرص على دنيا زائلة لماذا هذا الطمع ولماذا البخل ولماذا الرياء...

لماذا تركت روعي تتخطفها ذئاب الرذائل... كان في وسعي أن أضرب صفحاً عن الوساوس الشيطانية وأصغى إلى نشيد الكون ينساب من رسالات الله...

ألم يكن من الأفضل ان أرى ذاتي على حقيقتها تعيش بسلام؛ تتقاسم الحب مع الآخرين؟ اذن لعشت في راحة بال وطمأنينة خاطر... إنّ الأنانية مقينة ومقرفة. كان في وسعي أن أغبط الآخرين على ما أنعم الله عليهم اتمنى ان يرزقني الله مثلهم وهو الرزاق الكريم؛ فالحسد أن يتمنى المرء زوال نعمة الغير! ترى ما أقبح هذه لمشاعر بل مائة فائدتها للانسان غير الاحتراق بها؟!!

انها لنار مجنونة تلتهم القيم الانسانية النبيلة وتحيل الانسان إلى كائن مقيت. لماذا البخل والله هو الرزاق؛ وقد فتح خزائنه وتدققت نعمه وما على الانسان إلا أن يسعى ويعمل وينتج وينفق على نفسه وغيره... ولماذا الرياء والذي يراقبنا ويحاسبنا الله وهو الذي يكافئنا وينظر إلى قلوبنا.

حمداً لك يا الهي وقد تداركتني برحمتك ، ولولا أنت ما أدري ما أنت...
ولولا رأفتك لفتكت بي الأمراض ومزقت روحي ولكن مصيري في قاع
الجحيم... ولولا أنت يا الهي لكان مصيري مع الكافرين مع نمرود وفرعون
والجنود أو كان مع قارون وبلعم بن باعورا ومع الذين كذبوا بآيات الله وكانوا بها
يستهزؤون أجل لكان مصيري في جهنم وساءت مصيرا.

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾^(١).

ويوما يأتي النداء بالحق :

﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا
فَأَسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴾^(٢).

أجل يا الهي فاذا لم تفك عني السلاسل والأغلال ؛ فمن يرفعها عني ؟! وإذا لم
تطلق سراحني من أسر الهوى ؛ فمن أين لي أن أكون حراً يعبدك ولا يشرك بك
شيئاً.

الهي وفقني لطاعتك وعبادتك ولا تخرجني من الدنيا حتى ترضى عني
وحني لا أفارق الدنيا إلا تلبية لندائك :

﴿ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾^(٣).

حكاية

عندما كان هارون الرشيد في خراسان ومرض المرض الذي مات فيه أمر

١ - سورة الانسان : ٤ .

٢ - سورة الحاقة : ٣٠ - ٣٣ .

٣ - سورة البلد : ٢٨ .

باحضار طبيب من أهل طوس حيث كان هناك وأن يعرض عليه ادراره في زجاجة مع ادرار مرضى وأصحاء آخرين كلاً في زجاجة وأن يقوم الطبيب بتشخيص الجميع، وبدأ الطبيب يجري فحوصاته الواحدة بعد الأخرى ويسجل الحالات حتى إذا أتى عليها جميعاً قال: وليكتب صاحب هذه الزجاجة وصيته لأن قوه قد اضمحلت وانهار بدنه، وعندما جاءوا إلى هارون بذلك الخبر أنشد:

ان الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع نحب قد أتى

ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان يبرئ مثله فيما مضى

ولما شاع الخبر في طوس بموت هارون أمر أن تسرج دابته، ليظهر بين الناس وما أن استوى على ظهرها حتى خرّ فقال: صدق المرجفون ثم أمر باحضار أكفان؛ فاختار من بينها كفنًا ثم أمر أن يحفر له قبر إلى جانب فراشه ثم نظر إلى القبر وقال:

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهُ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَتُهُ ﴾^(١).

أجل لن يستطيع المال ولا السلطان لا الثراء الواسع ولا النفوذ والسطوة والجيوش أن تدفع سهام القدر والمصير الحتم.

أجل لن ينفع شيء سوى الله عز وجل برحمته الواسعة ورأفته المطلقة.

اللهم هذه شهواتي أسررتي وهي تكبلني بالسلاسل والأغلال... الهي فك

أسري وضع عني السلاسل والأغلال التي تمنعني من السير في طريقك... الهي لا طاقة لي وأنت يا الهي القادر على كل شيء.

محاسبة قبل الحساب

تعالوا نحاسب أنفسنا كما فعل ذلك الرجل الذي حكى قصّته البهائي كيف عدّ أيام عمره وقد ذرّف على الستين فاذا هي ٢١,٥٠٠ يوماً فقال يا ويلي لو لم أرتكب في كل يوم إلّا ذنباً لواجهت الله وأنا مكبّل بـ ٢١,٥٠٠ ذنباً ثم صرخ صرخة ووقع مغشياً عليه فحرّك فاذا هو قد فاضت روحه .

الهي ! أنا على كل حال عبدك خلقتني وربيتني وأنا يا الهي محكوم بقدرتك خاضع لمشيئتك ولا يمكن لي الفرار إلّا إليك .

الهي أنا الذرّة أنا التراب أنا الطين وأنا الصلصال والحمأ المسنون وأنا النطفة من ماء مهين أنا العلقة والمضغة ...

الهي من أنا وما شأني لولا أني عبدك ومجدي أن أعفّر جبیني ساجداً في حضرتك وعزّتي في انكساري أمامك وغناي بفقرتي إليك ... الهي ارحمني واغفر لي وتجاوز عني يا كريم يا غفور يا رحيم .

« يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي وَرَبِّي ، أَتْرَاكَ مُعَذِّبِي بِنَارِكَ بَعْدَ تَوْحِيدِكَ »
« وَبَعْدَ مَا أَنْطَوَى عَلَيْهِ قَلْبِي مِنْ مَعْرِفَتِكَ ، وَلَهَجَ بِهِ لِسَانِي مِنْ ذِكْرِكَ »
« وَأَعْتَقَدُهُ ضَمِيرِي مِنْ حُبِّكَ ، وَبَعْدَ صِدْقِي اعْتِرَافِي وَدَعَائِي خَاضِعاً لِرُبُوبِيَّتِكَ »

ويا معبودي ولا معبود سواك ويا الهي ولا اله سواك هل ستعذبني وفي قلبي
يتدفق حبك .. يا حبيب وهل تعاقبني ولساني يهتف باسمك ؟
ها أنا يارب اعلن استسلامي وخضوعي في حضرتك فافعل ما تشاء يا
راحم المساكين ولبائسين ويا مجيب دعوة المضطرين يا رب !
الهي ظني بك حسن أنت أرسلت إلينا الأنبياء ، نصبت لنا الأئمة الهداة معالم
تضيء طريقك وتدلنا عليك .
اللهم استر عني عيوبي واغفر لي وادخلني الجنة يا واحد يا أحد !

التوحيد

هذا الوجود الفسيح كل ما فيه آيات تدلّ على أحدية الخالق تبارك وتعالى ..
وكل ذرّة في هذا العالم تهتف : « لا إله إلا الله » .

ان من يتأمل الكون بكل ما فيه يسمع نداء التوحيد هذه النجوم في اغوارها
السحيقة والمجرات والسدم والجبال الشاهقة التي تغفو السحب على سفوحها

وهذه السحب في أجواء الفضاء والأمطار إذ تنهمر فتغسل الغابات الكثيفة.. كل قطرة من المطر تهتف لا إله إلا الله.

والقلوب المؤمنة تنبض بحب الله وتوحيده تسبح بحمده وتنزهه فلا شريك له ولا معبود غيره ولا اله سواه.

وهذا تاريخ النبوات منذ فجر الرسالات كل الأنبياء حملوا مشعل التوحيد ودعوا الأمم والشعوب والقبائل إلى توحيد الله لأنه لا إله إلا هو.

التوحيد هو أساس النظام الالهي، وكل الشرائع الالهية بشرت بالتوحيد ونفت كل شريك لله، فليس هناك اله للخير واله للشر ولا أساس للحلول؛ الله لم يحلّ ولن يحلّ في جسم من الأجسام، ان الحلول خرافة وانتاج الأذهان المريضة والذين جسموا الله هؤلاء أيضاً ضلّوا سواء السبيل لأنه ليس كمثله شيء، الله واحد لا شريك له.

هذه هي العقيدة الحق انه واحد أحد فرد صمد وليس ثالث ثلاثة كما قال النصارى.

ان على المؤمن أن يعتقد بالله الواحد، الذي يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار؛ محيط بكل شيء وأكبر من كل شيء وفوق كل شيء سبحانه وتعالى عما يصفون.

وعلى المؤمن أن يتصرّف وفق هذه العقيدة، التي تنفي كل العقائد الاخرى والمؤمن الحق من يواجه هذه الأباطيل التي تمس بنقاء التوحيد.

هذا هو الجانب النظري الفكري من عقيدة التوحيد؛ أما الجانب العملي فهو أن تكون الطاعة وفق ما جاءت به الكتب السماوية والأنبياء والرسل، ولأن الشرك في القول هو أظهر أنواع الشرك فقد شدّد الأنبياء على اعلان عقيدة التوحيد واضحة جليّة وهذا ما سيؤدي إلى رفض العبودية لغير الله؛ فطاعة الطغاة هي شرك

بالله، وعقيدة التوحيد ترفض بحزم سلطة الطاغية، الذي يعني طرح نفسه رباً كما فعل فرعون وقال بوقاحة: أنا ربكم الأعلى!
من أجل هذا ما إن أعلن الأنبياء والرسل عقيدتهم وهتفوا ان لا اله إلا الله حتى ثارت ثائرة الطغاة والفراعنة والمستكبرين:

﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(١).

ان عقيدة التوحيد ترفض في الصميم الاستعباد.. استعباد الانسان واستعباد الشعوب وقهر الأمم، لأن كلمة التوحيد تجعل الحاكمية لله وحده وتدحض حاكمية الطواغيت والجبابرة.

ان عقيدة التوحيد الخالص هي ان الله واحد لا شريك له؛ ليس كمثله شيء؛ صفاته عين ذاته، هو الحاكم على كل شيء مالك كل شيء رب العالمين.. الأرض جميعاً قبضته والسموات مطويات بيمينه.

أنزل القرآن على عبده محمد ﷺ ليكون للعالمين نذيراً وسراجاً منيراً فأوضح فيه عقيدة الاسلام وطالب بطرد الشيطان وعدم اتباع خطواته.. وأن هذه الحياة الدنيا اختبار للبشر.

لينظر كيف يصنع عباده وقد بين لهم السبيل وأوضح لهم أن لا إله إلا الله ولا مؤثر في الوجود إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذا سيدنا علي عليه السلام كرم الله وجهه؛ فلم يسجد لوثن ولم يعبد أحداً إلا الله؛ تشرب عقيدة التوحيد حتى لا يرى شيئاً إلا ورأى الله فيه وقبله وبعده فكل شيء هو تجلّي لله، اصغ إليه وهو يقول:

«أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده،

وكمال توحيدِهِ الاخلاص له، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة؛ فمن وصف الله فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه ومن جزأه فقد جهله ومن جهله فقد أشار إليه ومن أشار إليه حدّه ومن حدّه فقد عدّه ومن قال: فيم؟ فقد ضمّته ومن قال: علام؟ فقد أخلى منه.

كائن لا عن حدث؛ موجود لا عن عدم مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة؛ بصير إذ لا منظور إليه من خلقه؛ متوحد إذ لا سكن سيستانس به ولا يستوحش لفقده»^(١).

ويقول عليه السلام في خطبة أخرى :

«الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد ولا تراه النواظر ولا تحجبه السواقر الدالّ على قدمه بحدوث خلقه وبحدوث خلقه على وجوده، وباشتباهم على أن لا شبه له.

الذي صدق في ميعاده وارتفع عن ظلم عبادِهِ وقام بالقسط في خلقه وعدل عليهم في حكمه.

مستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته وبما وسمها به من العجز على قدرته، وبما اضطرها إليه الفناء على دوامه.

واحد بلا عدد ودائم بلا أمد، وقائم بلا عمد.

تتلقاه الأزمان لا بمشاعرة وتشهد له المرائي لا بمحاضرة.

لم تحط به الأوهام بل تجلّى لها بها، وبها امتنع منها وإليها حاكمها.

ليس بذي كبر امتدّت به النهايات فكبرته تجسيماً ولا بذي عظم تنامت به

الغيايات فعظّمته تجسّيداً بل كبر شأناً وعظم سلطاناً»^(١).

فمن آمن بالله واحداً لا شريك له وبالقُرآن كتاباً منزلاً من عنده وبالأنبياء والأئمة والأولياء يعمل بما فرض الله عليه ويجتنب ما نهى عنه سبحانه، ولا يعبد أحداً إلا الله كتب عند الله عز وجل موحداً ونجاة يوم لا ينجو إلا من آمن بالله واليوم الآخر وجاء بقلب سليم.

يقول سيدنا محمد ﷺ:

«خَيْرُ الْعِبَادَةِ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٢).

وعن الامام الباقر عليه السلام:

«مَا مِنْ شَيْءٍ أَعْظَمُ ثَوَاباً مِنْ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَغْدِلُهُ شَيْءٌ وَلَا يَشْرِكُهُ فِي الْأَمْرِ أَحَدٌ»^(٣).

وقال رسول الله ﷺ:

«مَنْ مَاتَ وَلَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً أَحْسَنَ أَوْ أَسَاءَ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٤).

وعن الامام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَرَّمَ أَجْسَادَ الْمُؤَحِّدِينَ عَلَى النَّاسِ»^(٥).

وعنه عليه السلام:

١ - نهج البلاغة: الخطبة ١٨٥.

٢ - الكافي: ٥٠٦/٢، باب تسبيح، حديث ٥؛ توحيد صدوق: ١٨، باب ثواب الموحدين، حديث ٢.

٣ - التوحيد للصدوق: ١٩، باب ثواب الموحدين، حديث ٣.

٤ - التوحيد للصدوق: ١٩، باب ثواب الموحدين والعارفين، حديث ٥.

٥ - التوحيد للصدوق: ٢٠، باب ثواب الموحدين، حديث ٧.

«قُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثَمَنُ الْجَنَّةِ»^(١).

وقال سيدنا محمد ﷺ :

«إِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةُ عَظِيمَةٌ كَرِيمَةٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَنْ قَالَهَا مُخْلِصاً
اسْتَوْجِبَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قَالَهَا كَاذِباً عَصَمَتْ مَالُهُ وَدَمُهُ وَكَانَ مَصِيرُهُ إِلَى
النَّارِ»^(٢).

وقال صلوات الله عليه وآله :

«وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ بِشِيرَاءٍ لَا يُعَذِّبُ اللَّهُ بِالنَّارِ مُوَحِّدًا أَبَدًا»^(٣).

الهي ! يا رحمن يا رحيم يا محبَّ الموحدين يا من لا تعذب موحديك ولا
تدخل النار من آمن بك اله واحداً لا شريك لك ولا معبود سواك.
الهي انعددت الألسن فهي عاجزة عن توصيف مجدك وولعت القلوب بحبك
وهامت الأرواح المؤمنة بعشقك يا واحد يا أحد يا رب.

١ - التوحيد للصدوق : ٢١، باب ثواب الموحدين، حديث ١٣.

٢ - التوحيد للصدوق : ٢٣، باب ثواب الموحدين، حديث ١٨.

٣ - التوحيد للصدوق : ٢٩، باب ثواب الموحدين، حديث ٣١.

« هَيْهَاتَ أَنْتَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ تُضَيِّعَ مَنْ رَبُّيَّتَهُ ، أَوْ تَبْعِدَ مَنْ أَدْنَيْتَهُ »
« أَوْ تُشَرِّدَ مَنْ آوَيْتَهُ ، أَوْ تُسَلِّمَ إِلَى الْبَلَاءِ مَنْ كَفَيْتَهُ وَرَحِمْتَهُ »

أنا لا أصدق انك يا الهي تعذبي ، فأنت كريم لا تضيع من ربيت ولا تقصي من أدنيت ، وهل يتشرّد الذين آويتهم أو تترك أعاصير البلاء تعصف بهم؟! وما هي رحمتك تغمر كل شيء!

تجلّي الربوبية

الله سبحانه وتعالى ومنذ أن خلق الانسان ليدبّ على الأرض وإلى أن يرحل عن الدنيا جعل له نوعين من التربية:
أ - تربية مادية .

ب - تربية روحية .

أ: والتربية المادية تتجلّى في غمره بالنعم؛ فنعمة تبارك وتعالى لا تحصى وتتجلّى أيضاً في تأثير هذه النعم في نموه وتكامله المادّي ، فتلك القوى المدهشة التي يشتمل عليها بدن الانسان والتي تقوم بامتصاص واجتذاب هذه النعم في سلسلة من التفاعلات تؤدي إلى تغذية الجسم ونموه .

قال الله عزوجل :

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأُمْرَ
فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾^(١).

اننا عاجزون عن الامام والاحاطة بعضو واحد من البدن عاجزون عن فهمه
فكيف نقدر على شكر الله من أجله؟!

ان الجسم البشري عالم هائل يزخر بالآيات الالهية وهو من الجلال في البناء
ما يجعل العالم ولو بقدر قليل، يختر ساجداً لله وكأن عالم الإنسان يكاد يتسع لكل
الوجود وكأنه انعكاس لعالم كبير كبير جداً ولعلّ هذا ما أراد سيدنا علي عليه السلام أن
ينبها له في قوله :

«وتحسب أنك جرم صغير، وفيك انطوى العالم الأكبر».

أجل جسم الإنسان هو من اعظم آيات الله وحججه على الإنسان نفسه .
قال تعالى :

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٢).

وقال أيضاً:

﴿سَتَرْنَاهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٣).

توجه هذه الآيات، الإنسان إلى ما ينطوي عليه خلقه من الآيات البينات

١ - سورة يونس : ٢١ .

٢ - سورة الذاريات : ٣١ .

٣ - سورة فصلت : ٣١ .

التي لا تنتهي. كما تبشر بأن الله سيبيئها للناس جلية واضحة، حتى يتبين لهم أنه الحق.

فلنحاول طرق أبواب هذا العالم المعقد، وسبر أعماقه بكل تؤدة وخشوع
لعلنا نعيش في ظل هذه الآيات القرآنية التي تجعل الجحيم حيران:

- ففي المعدة يوجد ٣٥ مليون غدة معقدة التركيب لأجل الإفراز. أما الخلايا
الجدارية التي تفرز حمض كلور الماء فتقدر بمليار خلية.

- في العفج والصائم يوجد (٣٦٠٠) زغابة معوية في كل ١ سم ٢ لإمتصاص
الأغذية المهضومة، وفي الدقاق (٢٥٠٠) زغابة مع العلم أن طول الأمعاء ثمانية
أمتار.

- في مخاطبة الفم يتوسف (٥٠٠/٠٠٠) خلية تعوض فوراً، وذلك كل
خمسة دقائق.

- يوجد في اللسان (٩٠٠٠) حليلة ذوقية لتمييز الطعم الحلو والحامض
والمر والمالح.

- لو وضعت الكريات الحمراء لجسم واحد بجانب بعضها في صف واحد،
لأحاطت بالكرة الأرضية التي نعيش عليها (٥ - ٦) مرات، أما مساحتها فتقدر
بـ (٣٤٠٠) متر مربع وعددها (٥) ملايين كرية حمراء في كل ملمتر مكعب من
الدم.

وتجري كل كرية حمراء ١٥٠٠ دورة دموية بشكل وسطي كل يوم، تقطع
خلالها (١١٥٠) كم ألف ومئة وخمسين كيلومتراً في عروق البدن.

- القلب: هو مضخة الحياة التي لا تكل عن العمل، عدد ضرباته (٦٠ - ٨٠)
ضخة في الدقيقة الواحدة، وينبض يومياً ما يزيد على مئة ألف مرة، يضخ خلالها
٨٠٠٠ ليتراً من الدم. وحوالي ٥٦ مليون جالون على مدى حياة إنسان وسطياً.

ترى هل يستطيع محرك آخر القيام بمثل هذا العمل الشاق لمثل تلك الفترة الطويلة دون حاجة لإصلاح؟!

- تحت سطح الجلد يوجد (١٥/٥) مليون مكيف لحرارة البدن، والمكيف هنا هو الغدة العرقية التي تخلص الجسم من حرارته الزائدة بواسطة عملية التبخر والتعرق.

- يستهلك الجسم من خلاياه (١٢٥) مليون خلية في الثانية الواحدة أي بمعدل (٧/٥٠٠/٠٠٠/٠٠٠) سبعة آلاف وخمس مئة مليون خلية في الدقيقة الواحدة. وبنفس الوقت يتشكل ويتركب نفس العدد من الخلايا تقريباً. ولو تعلم أيها القارئ بناء وهندسة وفيزيولوجية الخلية الواحدة لسقطت على الأرض ساجداً من إعجاب صنع الله:

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾^(١).

- الرغامى عند الإنسان تتفرع إلى قصبات ثم قصيبات، وهكذا حتى تصل إلى فروع دقيقة على مستوى الأسناخ الرئوية، ويبلغ عدد الأسناخ الرئوية حوالي (٧٥٠) مليون سنخ، وكل سنخ يتمتع بغلاف رقيق ويتصل بجدار عرق دموي صغير، وهكذا يتم تصفية الدم بسحب غاز الفحم، ومنح الأكسجين اللازم للبدن. إن شبكة الأسناخ تفرض مساحة تصل إلى ما يزيد على (٢٠٠) متر مربع لنصفية الدم وفي الحالة الطبيعية لا يستخدم أكثر من عشر هذه الأسناخ، وفي الأزمات ينفتح المزيد من الأسناخ.

- في كل يوم يتنفس الإنسان (٢٥) ألف مرة يسحب فيها ١٨٠ متراً مكعب من الهواء، يتسرب منها ٦/٥ متر مكعب من الأكسجين للدم.

- في الدماغ (١٣) مليار خلية عصبية و (١٠٠) مليار خلية دبقية إستنادية تشكل سداً مارداً لحراسة الخلايا العصبية من التأثير بأية مادة. والأورام تنمو خاصة على حساب الخلايا الدبقية وكأن الخلايا العصبية مستعصية على السرطان.

يتغذى الدماغ على الغلوكوز كمادة سكرية فقط بخلاف القلب الذي يتغذى على سكر الغلوكوز أو حمض اللبن، الغلوكوز هو الحلوى الفاخرة التي يفضلها الدماغ بخلاف بقية أجهزة البدن، وإذا وقع البدن في أزمة غلوكوز فإن آليات الجسم تفضل هذا العضو النبيل عن باقي أعضاء البدن في العطاء. وذلك لأن انقطاع الدم عنه لمدة (٣ - ٥) دقائق تؤدي لتخريب دائم غير قابل للتراجع في أنسجته. أما كمية الدم التي يحتاجها يومياً فلا تقل عن (١٠٠٠) ليترًا.

- لو وضعت الخلايا العصبية في الجسم بصف واحد لبلغ طولها أضعاف المسافة بين القمر والأرض.

- العين: في العين الواحدة حوالي (١٤٠) مليون مستقبل حساس للضوء، وهي تسمى بالمخاريط والعصي، وطبقة المخاريط والعصي هذه هي واحدة من الطبقات العشرة التي تشكل شبكية العين، التي تبلغ ثخانتها بطبقاتها العشرة (٤/٠) مم. ويخرج من العين نصف مليون ليف عصبي ينقل الصورة بشكل ملون!!!

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾^(١).

- أما الأذن ففي عضو كورتني الذي يمثل شبكية الأذن يوجد (٣٠/٠٠٠) خلية سمعية لنقل كافة أنواع الأصوات بمختلف اهتزازاتها وشدتها بحساسية

عظيمة. وفي الأذن الباطنة يوجد قسم يسمى التيه Labyrinth لأن الباحث يكاد يتيه من أشكال الدهاليز والممرات والجدر والحفر والفرق والفوهات والاتصالات وشبكة التنظيم والعلاقات الموجودة داخل هذا القسم!!

- في الدم الكامل (٢٥) مليون المليون كرية حمراء لنقل الأكسجين و (٢٥) مليار كرية بيضاء لمقاومة الجراثيم ومناعة البدن، ومليون المليون صفيحة دموية لمنع الترف بعملية التخثر في أي عرق نازف، وتتكون هذه الخلايا بصورة أساسية في مخ العظام الذي يصب في الدم مليونين ونصف كرية حمراء في الثانية الواحدة وخمسة ملايين صفيحة، ومئة وعشرين ألف كرية بيضاء، وهذه أهمية العظام بتوليد عناصر الدم وتراجع وتضعف هذه الوظيفة عند المسنين، ولنتذكر هنا الآية القرآنية التي تعبر عن الكهولة:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾^(١).

فقد يصبح للآية وقع خاص على النفوس.

- دفقة المني الواحدة عند الرجل تحوي ثلاثمائة مليون حيوان موي، ولا يتخلق الإنسان إلا من حيوان منوي واحد يندمج ببيضة واحدة من الأنثى.

- الكلية الواحدة تحوي مليون وحدة وظيفية لتصفية الدم تسمى النفرونات Nephrones، ويرد إلى الكلية في مدى (٢٤) ساعة (١٨٠٠) ليتر من الدم، ويتم ضخ (١٨٠) ليترًا منه، ثم يعاد امتصاص معظمه في الانابيب الكلوية ولا يطرح منه سوى ١/٥ ليترًا وهو المعروف بالبول. ويبلغ طول أنابيب النفرونات حوالي (٥٠) كيلومترا.

﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ ﴾^(١).

حكمة تشريحية

في تعصيب اللسان، توصل علماء التشريح إلى أن الحليمات الذوقية في الثلث الأخير من اللسان تتعصب بالعصب البلعومي اللساني أما في الثلثين الأماميين فيتعصبان بشعبة عصبية تأتي من العصب الوجهي السابع، وتسمى هذه الشعبة بعصب حبل الطبل، وإن الألياف الذوقية في العصب البلعومي اللساني، والألياف الذوقية في حبل الطبل تنشأ جميعها من نواة واحدة في الدماغ هي النواة المنفردة، وقد فكر في سر ذلك علماء العصر، فانتهوا إلى القول أن عصب حبل الطبل هو عصب تائه، لأنه قد ضل طريقه، فهو عصب ذوقي نشأ في النواة الذوقية التي نشأ منها العصب التاسع البلعومي اللساني ولكنه لم يسر معه بل طاف طويلاً فخرج مع العصب الوجهي، ثم دخل عظم الصخرة والأذن الوسطي، ثم اتبع طريق العصب اللساني حتى وصل إلى اللسان ليحمل إلى مقدم اللسان حس الذوق. لقد قال من رأوا نصف العلم أن هذا الطريق الطويل الذي سلكه العصب التائه هو خطأ في التكوين، ولكن الله سبحانه وتعالى الذي لا تنفذ معجزات كتابه العظيم الذي قال فيه متحدثاً عن المستقبل:

﴿ سَرِّبَهُمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۖ ﴾^(٢).

جعل العلماء يكتشفون سرّاً جديداً، فقد كان في مرور العصب المذكور داخل الأذن الوسطي على الوجه الباطن لغشاء الطبل ومرافقاً للرباط الطبلي الكعبي

١ - سورة النمل: ٨٨.

٢ - سورة فصلت: ٣١.

الخلفي فالأمامي حكمةً بالغة في خلق الله للإنسان وتحقيقاً لأمر آخر ولم يكن من باب ضلال الطريق، ذلك أنه إذا نقص الضغط الجوي داخل الأذن الوسطي، انجذب غشاء الطبل نحو الداخل وضغط على هذا العصب، ويؤدي هذا الانضغاط إلى تنبيه الألياف الذوقية التي يحملها فيؤدي ذلك لإفراز اللعاب من الغدد اللعابية، وهذا يوجب على الإنسان أن يتلعب لعابه، بعملية البلع هذه تنفتح الفوهة البلعومية للتفجير السمعي (نفير أوستاش) فيدخل الهواء للأذن والوسطي ويتعادل الضغط داخل وخارج غشاء الطبل فيعود لوضعه الطبيعي ويزول انضغاط العصب التائه ويتوقف إفراز اللعاب وهكذا دواليك.

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^(١).

ولو تابعنا بمحاولة التعرف على دقائق وعجائب جسم الإنسان لبقينا في ذهول نتيجة الهول والدهشة، ولكن سنقتصر على هذا القدر البسيط، فلنرجع ونتأمل الآيات القرآنية التي تصف خلق الإنسان لعلمنا تقدرها بعض تقديرها.

﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾^(٢).

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي

ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(٣).

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾^{(٤)(٥)}.

١ - سورة آل عمران: ١٩١.

٢ - سورة الجاثية: ٤.

٣ - سورة لقمان: ١١.

٤ - سورة الذاريات: ٢١.

٥ - مع الطب في القرآن الكريم: ٣٩ - ٤٣.

وفي هذا المقطع من الدعاء نجد سيدنا علي عليه السلام يستدلّ بنعم الله عز وجل التي تغمر الانسان والوجود على رحمته ويستبعد أن يكون الله عز وجل يرّبي مخلوقه الضعيف المحتاج له في كل شيء للخراب والفساد، وهو الذي آواه وربّاه وكفاه ودفع عنه أمواج البلاء وأعاصير النوائب.

وكيف لا وهو عز وجل الذي يقول لعباده:

«نَادَيْتُمُونِي فَلَبَّيْتُكُمْ، سَأَلْتُمُونِي فَأَعْطَيْتُكُمْ، بَارَزْتُمُونِي فَأَمَهَلْتُكُمْ، تَرَكْتُمُونِي فَرَعَيْتُكُمْ، غَضَيْتُمُونِي فَسَتَرْتُكُمْ، فَإِنْ رَجَعْتُمْ إِلَيَّ قَبِلْتُكُمْ، وَإِنْ أَدْبَرْتُمْ عَنِّي أَنْتَظَرْتُكُمْ. أَنَا أَجُودُ الْأَجُودِينَ وَأَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»^(١).

موسى وقارون

جاء في قصص الأنبياء عن ابن عباس عليه السلام :

«... ثم ان الله سبحانه وتعالى أنزل الزكاة على موسى عليه السلام فلما أوجب الله سبحانه الزكاة عليهم أبي قارون فصالحه عن كل ألف دينار على دينار، وعن كل ألف درهم على درهم، وعن كل ألف شاة على شاة، وعن كل ألف شيء شيئاً، ثم رجع إلى بيته فحسبه فوجده كثيراً فلم تسمح بذلك نفسه؛ فجمع بني إسرائيل وقال لهم: يا بني إسرائيل إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا له: أنت كبيرنا وسيّدنا فمرنا بما شئت، فقال: أمركم أن تجيئوا بفلانة البغي فنجعل لها جعلاً على أن تقذفه بنفسها، فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه فاسترحنا منه، فأتوا بها؛ فجعل لها قارون ألف درهم؛ وقيل ألف دينار؛ وقيل طستاً من ذهب؛ وقيل: حكمها وقال لها: إنني امّوك

وأخلطك بنسائي على أن تقذفني موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل. فلما أن كان الغد جمع قارون بني إسرائيل، ثم أتى موسى، فقال له: إن بني إسرائيل قد اجتمعوا ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم وتبين لهم أعلام دينهم وأحكام شريعتهم، فخرج إليهم موسى وهم في سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه ثمانين، ومن زنا وليست له امرأة جلدناه مائة، ومن زنا وله امرأة رجمناه حتى يموت، فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا، قال قارون: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلاة، قال: أنا؟ قال: نعم، قال: ادعوها، فإن قالت فهو كما قالت، فلما أن جاءت قال لها موسى: يا فلاة إنما أنا فعلت لك ما يقول هؤلاء وعظم عليها، وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة على موسى إلا صدقت، لما ناشدها تداركها الله بالتوفيق وقالت في نفسها: لئن أحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤدي رسول الله، فقالت:، كذبوا، ولكن جعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي، فلما تكلمت بهذا الكلام سقط في يد قارون ونكس رأسه وسكت الملاً وعرف أنه وقع في مهلكة، وخر موسى ساجداً، يبكي ويقول: يا رب إن عدوك قد آذاني واراد فضيحتي وشيني، اللهم فإن كنت رسولك فاغضب لي وسلطني عليه، فأوحى الله سبحانه أن أرفع رأسك ومر الأرض بما شئت تطعك، فقال موسى: يا بني إسرائيل إن الله تعالى قد بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون، فمن كان معه فليثبت مكانه، ومن كان معي فليعتزل، فاعتزلوا قارون ولم يبق معه إلا رجلان، ثم قال موسى ﷺ: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى كعابهم، ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم، ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى حقوهم، ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى أعناقهم، وقارون وأصحابه في كل ذلك يتضرعون إلى موسى ﷺ ويناشده قارون الله والرحم، حتى روي في بعض الأخبار أنه ناشده سبعين مرة، وموسى في جميع ذلك لا يلتفت إليه

لشدّة غضبه، ثم قال: يا أرض خذهم، فانطبقت عليهم الأرض، فأوحى الله سبحانه إلى موسى: يا موسى ما أفضّك! استغاثوا بك سبعين مرّة فلم ترحمهم ولم تغنهم، أما وعزّتي وجلالي لو إيتاني دعوني مرّة واحدة لوجدوني قريباً مجيباً^(١).

حكاية

جاء في كتب التراث أنه كان في المدينة المنورة شاب وجيء للنبي ﷺ بأنه يحتضر وطلب منه ﷺ أن يحضره فجاء النبي ﷺ وجلس عند فراشه وأراد الشاب أن يتشهد فلم يطاوعه لسانه فسأل النبي ﷺ عن حاله: أتارك للصلاة هو؟ قيل: لا. قال: أمانع للزكاة؟ قيل: لا. قال: أعاق لأبيه؟ قيل: لا. قال: أعاق لأمه؟ قيل: نعم.

فدعا النبي ﷺ أمه وقال لها: أياكون في حلّ منك؟ قالت: كيف اجعله في حلّ وقد لطمني. قال النبي ﷺ لمن حوله: علي بالنار. فقالت الأم: وما تفعل بها. قال ﷺ: لأحرقه جزاء على فعلته. قالت: لا تحرقه يا رسول الله حملته في بطني تسعة أشهر وغذوته حولين كاملين فإن كان ولا بد فهو في حلّ مني. هذه أم تفعل مع من عقها وأذنب بحقها.

وهي لم تخلقه ولم تمنحه نعمة الوجود، رق قلبها وعفت من ابنها ولم ترض أن يحرق فكيف بخالق الانسان وهو أرأف بعبده من الأم الشفيقة بولدها؟ هيهات أنت أكرم من أن تضيع من ربّيته.

حكاية أخرى

جاء في كتب التراث ان يزيد بن المهلب كان له دين على «وكيع» وهو من

أعيان خراسان فبعث بعامله إلى عامل وكيع يطالبه بتسديد ما عليه من الدين وأن يشدّد عليه في استرداد المبلغ.

وذاث يوم جاء عامل وكيع إلى دار يزيد بن المهلب لأمهاله في تسديد الدين الذي على وكيع.

وفيما هم يتحدثون مدّ الخوان فقال عامل ابن المهلب لعامل وكيع اخرج بنا عن المجلس فقال عامل وكيع: لا والله حتى اصيب من الطعام، ثمّ مدّ يده وتناول الطعام مع صاحب الدار الذي هو غريمه، فلما انتهوا التفت عامل وكيع إلى ابن المهلب يستمهله فقال ابن المهلب لعامله: اسقط عنه الدين لقد أصاب من زادي وملحي وطعامي وليس من المروءة أن أطالبه بعد ذلك.

إذا كان العبد يفعل ذلك مع من أكل زاده وملحه فكيف برب العباد وعباده ينهلون من مائدة الوجود وهي حافلة بنعمه وآلائه.. هيهات.

وحكاية أخرى

وحكى بعض أرباب التواريخ انه جيء إلى معن بن زائدة وهو من كبار القادة بثلاثمئة أسير، فأمر بقتلهم جميعاً، فهتف فتى لم يبلغ الحلم بعد من بين أولئك الأسرى: أيها الأمير ناشدتك الله إلّا تقتلنا حتى تسقينا من الماء!

فقال معن: اسقوهم جميعاً، فلما شربوا وارتووا هتف الفتى: اننا الآن ضيوفك وشأنك ايها الامير ان تكرم ضيفك.

قال معن: صدقت اطلقوهم.

وحقاً ما قال سيدنا علي عليه السلام بعيد بعيد على الله أن يضيع عباده ويشردّ بهم أو يسلمهم إلى البلاء وهو أرحم الراحمين واکرم الاکرمين.

« وَلَيْتَ شِعْرِي يَا سَيِّدِي وَإِلَهِي وَمَوْلَايَ »
« أَتَسْلِطُ النَّارَ عَلَى وَجْهِ خَرْتُ لِعَظَمَتِكَ سَاجِدَةً، وَعَلَى أَلْسِنٍ نَطَقَتْ »
« بِتَوْحِيدِكَ صَادِقَةً، وَبِشُكْرِكَ مَادِحَةً، وَعَلَى قُلُوبٍ اعْتَرَفَتْ بِإِلَهِيَّتِكَ »
« مُحَقِّقَةً، وَعَلَى ضَمَائِرٍ حَوَتْ مِنَ الْعِلْمِ بِكَ حَتَّى صَارَتْ خَاشِعَةً، وَعَلَى »
« جَوَارِحَ سَعَتْ إِلَى أَوْطَانِ تَعْبُدِكَ طَائِعَةً، وَأَشَارَتْ بِاسْتِغْفَارِكَ مُذْعِنَةً، مَا »
« هَكَذَا الظَّنُّ بِكَ وَلَا أَخْبِرْنَا بِفَضْلِكَ عَنْكَ يَا كَرِيمُ، يَا رَبِّ »

أجل ليس ظننا بك إلا أنك الكريم الذي لا نهاية لكرمك والجواد الذي لا حدود لجودك وسخائك .

رمز العبادة

ليس هناك في كل طقوس العبادة ما يرقى إلى حالة الصلاة في التعبير عن العبادة لله والعبودية له، ليس هناك ما هو أجلى وأعمق في تجسيد الخضوع في حضرة الله والسجود في رحابه .

أجل ليس هناك ما هو أجمل وأكثر تعبيراً من الصلاة، وليس هناك ما هو أعظم من الصلاة فائدة للانسان .

ان اللحظات التي يقف فيها الانسان أمام ربه للصلاة لهي اكثر اللحظات

المفعمة بالاشراق الالهي والتلقي القلبي فالانسان سيكون في اشدّ الحالات صفاءً واستعداداً لتلقي الرحمة والنور والبركة.

ومن هنا جاءت الرسائل الالهية منذ فجر التاريخ الانساني الطويل وهي تؤكد على الصلاة وتدعو إلى الصلاة.

يقول سيدنا محمد ﷺ :

«الصَّلَاةُ مِنْ شَرَايِعِ الدِّينِ، وَفِيهَا مَرْضَاةُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ، وَهِيَ مِنْهَا جُ الْأَنْبِيَاءِ»^(١).

«جَعَلَ اللَّهُ جُلَّ ثَنَائِهِ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ، وَحَبَّبَ إِلَيَّ الصَّلَاةَ كَمَا حَبَّبَ إِلَيَّ الْجَائِعِ الطَّعَامَ، وَإِلَى الظَّمْآنِ الْمَاءَ. وَإِنَّ الْجَائِعَ إِذَا أَكَلَ شَبِعَ، وَإِنَّ الظَّمْآنَ إِذَا شَرِبَ رَوِيَ، وَأَنَا لَا أَشْبِعُ مِنَ الصَّلَاةِ»^(٢).

ويقول ﷺ أيضاً :

«إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ وَتَوَجَّهْتَ وَقَرَأْتَ أَمْ الْكِتَابِ وَمَا تَنَسَّرَ مِنَ السُّورِ ثُمَّ رَكَعْتَ فَأَتَمَمْتَ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا وَتَشَهُدَتْ وَسَلَّمْتَ، غُفِرَ لَكَ كُلُّ ذَنْبٍ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الَّتِي قَدَّمْتَهَا إِلَى الصَّلَاةِ الْمُؤَخَّرَةِ»^(٣).

ويقول سيدنا علي عليه السلام :

«الصَّلَاةُ تَسْتَنْزِلُ الرَّحْمَةَ»^(٤).

١ - الخصال: ٥٢٢/٢، حديث ١١؛ ميزان الحكمة: ٣٠٩٢/٧، الصلاة، حديث ١٠٥٢٨.

٢ - مكارم الأخلاق: ٤٦١، الفصل الخامس؛ ميزان الحكمة: ٣٠٩٢/٧، الصلاة، حديث ١٠٥٣٥.

٣ - الأمالي للصدوق: ٥٤٩، حديث ٢٢؛ ميزان الحكمة: ٣٠٩٦/٧، الصلاة، حديث ١٠٥٥٦.

٤ - غرر الحكم: ١٧٥، حديث ٣٣٤١؛ ميزان الحكمة: ٣٠٩٢/٧، الصلاة، حديث ١٠٥٣٢.

«الصَّلَاةُ قُرْبَانٌ كُلُّ تَقَى»^(١).

«أَوْصِيَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَحِفْظِهَا، فَإِنَّهَا خَيْرُ الْعَمَلِ وَهِيَ عَمُودُ دِينِكُمْ»^(٢).

«إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّ جَسَدَهُ وَثِيَابَهُ وَكُلَّ شَيْءٍ حَوْلَهُ يُسَبِّحُ»^(٣).

ويقول لصاحبه كميل بن زياد:

«يا كميل! لَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ تُصَلِّيَ وَتَصُومَ وَتَتَصَدَّقَ، إِنَّمَا الشَّأْنُ أَنْ تَكُونَ الصَّلَاةُ فَعِلْتَ

بِقَلْبٍ تَقَى، وَعَمَلٍ عِنْدَ اللَّهِ مَرْضَى، وَخُشُوعٍ سَوَى»^(٤).

حسن الظن بالله

المؤمن الذي يثق بالله عز وجل ويعمل صالحاً يمضي سنوات عمره في سعي حثيث بأمل كبير في لطف الله ورحمته ومغفرته يحسن الظن بالله فالمؤمن يعيش حالة متوازنة بين الخوف والرجاء؛ يعني إن عاش حالة خوف من الله ومن أهوال يوم القيامة تدفق نبع الأمل في قلبه في أن الله سيغفر له ويعفو ويفتح له أبواب جنته؛ وقد جاء عن أئمة أهل البيت في ذلك ما يجذّر هذه الحالة الايمانية السوية.

قال سيدنا علي عليه السلام:

«حُسْنُ الظَّنِّ أَنْ تُخْلِصَ الْعَمَلَ، وَتَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ يَغْفُوَ عَنِ الزَّلَلِ»^(٥).

١ - الحصال: ٦٢٠/٢؛ ميزان الحكمة: ٣٠٩٤/٧، الصلاة، حديث ١٠٥٣٧.

٢ - أمالي الطوسي: ٥٢٢، حديث ١١٥٧، ميزان الحكمة: ٣٠٩٤/٧، الصلاة، حديث ١٠٥٤٣.

٣ - علل الشرايع: ٣٣٦/٢، باب ٣٣، حديث ٢؛ ميزان الحكمة: ٣١٠٤/٧، الصلاة، حديث ١٠٥٨٥.

٤ - تحف العقول: ١٧٤، وصية لكميل بن زيد، ميزان الحكمة: ٣١٠٦/٧، الصلاة، حديث ١٠٥٩٢.

٥ - غرر الحكم: ٨٣، حديث ١٣٢٧؛ ميزان الحكمة: ٣٤٠٢/٧، الظن، حديث ١١٥٩٠.

وقال الامام جعفر الصادق عليه السلام :

«حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ أَنْ لَا تَرْجُوَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا تَخَافَ إِلَّا ذَنْبَكَ»^(١).

وقال سيدنا سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلم :

«وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَا يَحْسُنُ ظَنُّ عَبْدٍ مَوْمِنٍ بِاللَّهِ إِلَّا كَانَ اللَّهُ عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ بِيَدِهِ الْخَيْرَاتُ، يَسْتَحْيِي أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ الْمُؤْمِنُ قَدْ أَحْسَنَ بِهِ الظَّنُّ ثُمَّ يُخْلِفُ ظَنَّهُ وَرَجَاهُ، فَأَحْسِنُوا بِاللَّهِ الظَّنَّ وَارْغَبُوا إِلَيْهِ»^(٢).

وقال عليه السلام أيضاً :

«لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَحْسَنَ ظَنَّهُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَمَنُ الْجَنَّةِ»^(٣).

وقال عليه السلام :

«حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ»^(٤).

١ - الكافي : ٧٢/٢ ، باب حسن الظن ، حديث ٤ ؛ ميزان الحكمة : ٣٤٠٢/٧ ، الظن ، حديث ١١٥٨٩
 ٢ - الكافي : ٧١/٢ ، باب حسن الظن ، حديث ٢ ؛ ميزان الحكمة : ٣٤٠٠/٧ ، الظن ، حديث ١١٥٨١
 ٣ - أمالي طوسي : ٣٧٩ ، حديث ٨١٤ ؛ ميزان الحكمة : ٣٤٠٠/٧ ، الظن ، حديث ١١٥٨٢ .
 ٤ - ميزان الحكمة : ٣٤٠٠/٧ ، الظن ، حديث ١١٥٨٤ .

« وَأَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفِي ، عَنْ قَلِيلٍ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا وَعُقُوبَاتِهَا ، وَمَا يَجْرِي »
« فِيهَا مِنَ الْمَكَارِهِ عَلَى أَهْلِهَا ، عَلَى أَنَّ ذَلِكَ بَلَاءٌ وَمَكْرُوهٌ ، قَلِيلٌ »
« مَكْنَتُهُ ، يَسِيرَ بَقَاؤُهُ ، قَصِيرَ مُدَّتُهُ ، فَكَيْفَ اخْتِمَالِي لِبَلَاءِ الْآخِرَةِ ، »
« وَجَلِيلٍ وَقُوعِ الْمَكَارِهِ فِيهَا ، وَهُوَ بَلَاءٌ تَطُولُ مُدَّتُهُ ، وَيَدُومُ مَقَامُهُ ، »
« وَلَا يَخْفُفُ عَنْ أَهْلِهِ ، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ غَضَبِكَ وَانْتِقَامِكَ وَسَخَطِكَ »
« وَهَذَا مَا لَا تَقُومُ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، يَا سَيِّدِي فَكَيْفَ لِي وَأَنَا »
« عَبْدُكَ الضَّعِيفُ الذَّلِيلُ ، الْخَقِيرُ الْمِسْكِينُ الْمُسْتَكِينُ »

ويا لا اله إلا أنت تعلم مدى ضعفي ..
أتململ من سهام القدر وعقوبته .. وأفترّ من من مصائب الدهر وعاديات
الزمن ، وأعرف انها لن تدوم .
فكيف يا الهي أستطيع مواجهة عذابات الآخرة وأيّ عذاب سيكون وهو
يتفجّر من غضبك وانتقامك .
يا سيدي ارحم عبدك البائس الذليل المستكين الذي لا يملك من نفسه حولاً
ولا قوة .

بلاء الدنيا والآخرة

لا يمكن أن يقارن المرء بين بلاء الدنيا وبلاء الآخرة، فالمصائب التي تضرب الناس في الدنيا من قبيل الزلازل والسيول والقحط والغلاء والتشرد وأنواع المرض إنما هي عابرة أما بلاء الآخرة فدائم لا يزول وباق لا ينتهي .

من جانب آخر ان بلايا الدنيا لها بعد اختياري وامتحاني فإذا صبر الانسان وحافظ على استقامته وإيمانه اعطاه الله من الثواب الجزيل ورضوان من الله اكبر . وهذا صبر الأنبياء ومعاناتهم ومقاومتهم أمثلة قائمة لمن أراد أن يسلك طريق الأنبياء .. ليس الأنبياء وحدهم فهناك قوافل الصديقين والشهداء عبر التاريخ .

يقول القرآن الكريم :

﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١)

ويقول سيدنا محمد ﷺ :

«الصَّبْرُ ثَلَاثَةٌ: صَبْرٌ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، وَصَبْرٌ عَلَى الطَّاعَةِ، وَصَبْرٌ عَنِ الْمَغْصِيَةِ»^(٢)

ان الصابر انسان مؤمن يعي جيداً حركة الانسان والتاريخ ولذا تجده ثابتاً ثبات الجبال فإذا حلت به مصيبة قال وكأنه يذكر نفسه وغيره : انا لله وانا إليه راجعون .

الانسان مبدأه من الله ومعاده إليه وهؤلاء سوف يتلقون البشرى من الله على وعيهم وإيمانهم .

١ - سورة الأنفال : ٤٦ .

٢ - الكافي : ٩١/٢ ، باب الصبر ، حديث ١٥ .

يقول القرآن الكريم:

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ^(١).

الصابرون أولئك الناس الذين يداومون على طاعة الله صابرين عليها متمسكين بها في كل الظروف يكسبون رزقهم من الحلال ويجتنبون المعاصي مهما تعرضوا للاغراء.

وتراهم ينفقون ممّا رزقهم الله لا بخل في حياتهم ولا تبذير^(٢).
ومن الفروق بين بلاء الدنيا وبلاء الآخرة هو أن بلاء الآخرة عذاب شديد لا يطاق وحتى لو تحمله المرء فلا ثواب له لأنه ليس امتحان بل انتقام وجزاء وعقاب.

عذاب البرزخ والقيامة

اختص قسم كبير من آيات القرآن الكريم بوصف العذاب في البرزخ والقيامة وتجدد الاجزاء الثلاثة الأخيرة من كتاب الله من التفصيل ما يصوّر مشاهد رهيبّة من العذب الشديد والأليم.

وهناك من الروايات ما يرسم صورة مهولة لأهوال يوم القيامة.

ويروي علي بن ابراهيم عن الامام الصادق عليه السلام:

ان جبرائيل جاء إلى رسول الله ﷺ وهو قاطب وقد كان قبل ذلك يجيء وهو

١ - سورة البقرة: ١٥٦ - ١٥٧

٢ - مكارم الأخلاق: ٤٤٦، الفصل الرابع: مستدرک الوسائل ٢٦١/١١، باب وجوب الصبر، حديث

مبتسم فقال رسول الله ﷺ: يا جبرئيل جئتني اليوم قاطباً؟ فقالك يا محمد قد وضعت منافخ النار، فقال: وما منافخ النار يا جبرئيل؟ فقال: يا محمد إن الله عز وجل أمر بالنار فنفخ عليها الف عام حتى ابيضت ونفخ عليها الف عام حتى احمرت ثم نفخ عليها الف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة لو أن قطرة من الضريع قطرت في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من ننتها وان حلقة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرها، ولو أن سربالاً من سراويل أهل النار علق بين السماء والأرض لمات أهل الأرض من ريحه ووهجه، فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبرئيل فبعث الله إليهما ملكاً فقال لهما: إن ربكما يقرؤكما السلام ويقول قد آمنتكما ان تذبنا ذنباً أعذبكما عليه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: فما رأى رسول الله ﷺ جبرئيل مبتسماً بعد ذلك. ثم قال: إن أهل النار يعظمون النار وان أهل الجنة يعظمون الجنة والنعيم وان أهل جهنم إذا دخلوها هبوا فيها مسيرة سبعين عاماً فإذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامع الحديد وأعيدوا في دركها هذه حالهم وهو قول الله عز وجل:

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا...﴾^(١)

ثم تبدل جلودهم جلوداً غير الجلود التي كانت عليهم فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا محمد قلت حسبي حسبي^(٢).

ويروي الشيخ الصدوق عن الإمام الباقر عليه السلام:

«ان أهل النار يتعاونون فيها كما يتعاون الكلاب والذئاب ممّا يلقون من ألم العذاب ما ظنك يا عمرو بقوم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها»

١ - سورة الحج: ٢٢.

٢ - تفسير القمي: ٨١/٢.

عطاشى فيها جياع كليله ابصارهم صم بكم عمي مسودة وجوههم خاسئين فيها نادمين مغضوب عليهم فلا يرحمون ومن العذاب فلا يخفف عنهم وفي النار يسجرون ومن الحميم يشربون ومن الزقوم يأكلون وبكلايب النار يحطمون وبالمقامع يضربون...»^(١).

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في حديث له عما يجري على الكافر بعد الموت:

«... وإذا كان لربه عدواً فإنه يأتيه اقبح خلق الله بأساً وأنتنه ريحاً فيقول له من أنت؟».

فيقول: أنا عمالك ابشر «بنزل من حميم وتصلية جحيم» وانه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يحبسه فإذا ادخله قبره اتيا القبر فالتقيا اكفانه ثم قال له: من ربك ومن نبيك وما دينك؟ فيقول: لا أدري؛ فيقولان: لا دريت ولا هيت فيضربانه بمرزية (عصا من الحديد)^(٢) ضربة ما خلق الله دابة إلا تذعر لها ما خلا الثقلين ثم يفتحان له باباً إلى النار ثم يقولان له: نم بشرّ حال فهو في الضيق مثل ما فيه القنا من الزج (الرمح) حتى ان دماغه يخرج ممّا بين ظفره ولحمه ويسلط عليه حيّات الأرض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره وانه ليتمنى قيام الساعة ممّا هو فيه من الشرّ^(٣).

اللهم إنّنا نعوذ بك من أهوال القيامة ونلوذ بك يا رب من عذاب الآخرة..
اللهم اني لم اعبدك حق العبادّة، وهذه ذنوبي كبتلني.. الهي ولا أمل لي إلا بك
غفرانك اللهم..

١ - أمالي الصدوق: ٥٥٧، المجلي ٨٢، حديث ١٤.

٢ - «وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ» الحج: ٢٢.

٣ - تفسير القمي: ٢٧٠/١.

الهي ليس لي إلّا حبّك وإيماني بك وبرسلك وأنبيائك وأوليائك .
الهي ديدني العصيان وعملي اقتراف الذنوب .. وأنت يا رب مقلّب القلوب
تعرف ما في قلبي من الحب لك والشوق إليك .
الهي اعف عني فانا الضعيف وأنت القوي ، وأنا المذنب وأنت الرب الغفور
الرحيم .

الهي لا يضع عن السلاسل والأغلال إلّا أنت .. الهي جثتك فارّاً هارباً منك
إليك راج احسن ما لديك فاقبلني وأقل عثرتي يا رؤوف بالله .

« يَا إِلَهِي وَرَبِّي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ »
« لِأَيِّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَشْكُو، وَلِمَا مِنْهَا أَصِجُّ وَأَبْكِي، لِأَلِيمِ الْعَذَابِ وَشِدَّتِهِ »
« أَمْ لَطَوِلَ الْبَلَاءُ وَمُدَّتِهِ، فَلَيْنَ صَيَّرْتَنِي لِلْعُقُوبَاتِ مَعَ أَعْدَائِكَ، وَجَمَعْتَ »
« بَيْنِي وَبَيْنَ أَهْلِ بَلَائِكَ وَفَرَّقْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّائِكَ وَأَوْلِيَّائِكَ فَهَبْنِي »
« يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَرَبِّي، صَبَّرْتُ عَلَى عَذَابِكَ، فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلَى »
« فِرَاقِكَ، وَهَبْنِي صَبَّرْتُ عَلَى حَرِّ نَارِكَ، فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنِ النَّظَرِ إِلَيَّ »
« كَرَامَتِكَ، أَمْ كَيْفَ أَسْكُنُ فِي النَّارِ وَرَجَائِي عَفْوُكَ »

ويا معبودي الأوحده ما ذا اشكو إليك .. هل اشكو العذاب وآلامه أم الزمن
المتعادي .. أم اشكو فراق الحبيب ؟
وكيف أصبر على فراق المحبوب .. النار أهون من ذلك يا الهي !

شكوى إلى الحبيب

في هذا المقطع نجد آلام العاشقين وقد تفجرت عاطفة الحب النقية .. عاطفة
العشق الالهي فإذا هي جياشة معبرة تخترق الحجب وتتفد في عمق السماوات
وفي قلوب المؤمنين ..

القلب المؤمن العاشق لا يعرف سوى الله عز وجل . يعترف بعجزه وفقره وبؤسه ومسكنته وحاجته المستمرة للغني المطلق ؛ الله وحدة سبحانه الذي يرحم عباده ، سبحانه وحده الذي لا يعتدي على أهل مملكته .

الهي أسألك واتضرع إليك واقسم عليك بدموع فاطمة الزهراء وهي تتوسل إليك وتمجّدك أنت وحدك الباقي كل شيء آخذ طريقه نحو المغيب ؛ النجوم القمر .. الارواح البيضاء تتجه إليك لا تبالي بأشواك الطريق في الصحراء حتى لو كانت حافية .

أنت وحدك الحق يا رب .. أنت نور عيني وفرحة قلبي .. دعني ألج ملكوتك اسبحك وأطوف مع النجوم حول عرشك .. أنت وحدك الحقيقة وما سواك وهم .. أنت وحدك نبع الحياة وعداك سراب يحسبه الظمآن ماء ؛ وأسألك اللهم بكلمات سيدتنا الزهراء عليها السلام وهي تتضرع إليك : « اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة لي خيراً ، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيراً لي .
اللهم اني أسألك كلمة الاخلاص ، وخشيتك في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر .

وأسألك نعيماً لا ينفد ، وأسألك قرّة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضا بالقضاء وأسألك برد العيش . بعد الموت ، وأسألك النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مظلمة .

اللهم زيّنا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهدين يا رب العالمين .
وأسألك اللهم بكلمات خليلك :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ

أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^(١).

أنت يا الهي الذي نصرت نوح واغرقت الذين كفروا بالطوفان من بعد مئات السنين من العذاب ففتحت على قومه من السماء الماء المنهمر وفجرت الأرض ينابيع وفار التور فالتقى الماء على أمر قد قدرا فانجيت الذين آمنوا واغرقت الكافرين.

الهي يا مجيب المضطر يا قابل التوب يا أرحم الراحمين .. يا من لا يخيب سائليه ولا ييأس من رحمته آملية إليك تشدد الرجال وبك تتعلق الآمال.

البكاء

ليس هناك تعبير ابلغ من دموع يذرفها الانسان في حضرة الرب تبارك وتعالى؛ والبكاء من نعم الله تعالى وهبها للانسان لتكون له وسيلة في التعبير عن الحب والشوق للمحبوب انها لآلى العشق الالهي.

يقول سيدنا محمد ﷺ يوصي عليا عليه السلام:

«أوصيك يا علي في نفسك بخصالٍ فأحفظها، اللهم أعنه... والزَّايغةُ البُكاءُ لله،

يُبْنِي لَكَ بِكَلِّ دَمْعَةٍ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ»^(٢).

وعنه صلوات الله عليه وآله:

١ - سورة البقرة: ١٢٧ - ١٢٩.

٢ - بحر الأنوار: ٣٩١/٦٦، باب ٣٨، حديث ٦٨.

«طَوَّبَى لِمُصَوِّرَةِ نَظَرِ اللَّهِ إِلَيْهَا تَبْكِي عَلَى ذَنْبٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَمْ يَطْلُعْ عَلَى ذَلِكَ الذَّنْبِ غَيْرُهُ» (١).

وعنه عليه السلام أيضاً :

«وَمَنْ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ كَانَ لَهُ بِكُلِّ قَطْرَةٍ مِنْ دُمُوعِهِ مِثْلُ جَبَلٍ أُحَدٍ يَكُونُ فِي مِيزَانِهِ مِنَ الْأَجْرِ» (٢).

وعنه عليه السلام أيضاً :

«مَنْ خَرَجَ مِنْ عَيْنَيْهِ مِثْلُ الذُّبَابِ مِنَ الدَّمَعِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ آمَنَهُ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقَرْعِ الْأَكْبَرِ» (٣).

وقال سيدنا علي عليه السلام :

«بُكَاءُ الْعُيُونِ وَخَشْيَةُ الْقُلُوبِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ، فَإِذَا وَجَدْتُمُوهَا فَاعْتَنِمُوا الدُّعَاءَ» (٤).

ان انهمار الدموع من المؤشرات الأكيدة على الاعتراف بالحقيقة والايمان
بالحق قال الله عز وجل يصف بعض النصارى من المؤمنين :

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حِمًّا
عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ (٥).

١ - جامع الأخبار: ٩٧، فصل ٥٤: ميزان الحكمة ٥٣٦/٢، البكاء، حديث ١٨٣٠.

٢ - أمالي الصدوق: ٤٣١، المعجس ٦٦: ميزان الحكمة ٥٣٦/٢، البكاء، حديث ١٨٣١.

٣ - بحار الأنوار: ٣٣٦/٩٠، باب ١٩، حديث ٣٠: ميزان الحكمة ٥٣٦/٢، البكاء، حديث ١٨٣٤.

٤ - مكارم الأخلاق: ٣١٧، البكاء: ميزان الحكمة ٥٣٦/٢، البكاء، حديث ١٨٣٥.

٥ - سورة المائدة: ٨٣.

ويقول الامام الصادق عليه السلام :

«مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَلَهُ كَيْلٌ أَوْ وَزَنٌ إِلَّا الدُّمُوعَ، فَإِنَّ الْقَطْرَةَ مِنْهَا تُطْفِئُ بِحَاراً مِنْ نَارٍ،
وَإِذَا اغْرُورَقَتِ الْعَيْنُ بِمَانِيهَا لَمْ يَرْهَقْ وَجْهَهُ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ، فَإِذَا فَاضَتْ حَرَمَةُ اللَّهِ
عَلَى النَّارِ، وَلَوْ أَنَّ بَاكِيًا بَكَى فِي أُمَّةٍ لَرَجِمُوا»^(١).

فراق الأحبة

ان من يعشق الأنبياء ويتلهف على رؤية الأولياء ويشتاق إلى زيارة الصديقين والشهداء فانه سيحظى برؤيتهم يوم القيامة ويكون من جلسائهم، لأن من عقوبات الآخرة جزاء على الذنوب هو فراق الأحبة، وقد يصل الأمر بالمذنبين أن يكون جزاؤهم أن يقرنوا بأعدائهم وهذا أذًى إيلاماً للنفس. وأسأل عن ألم الفراق من ابتلي به ولا يعرف طعمه إلا من ذاق مرارته. يعرفه أبونا آدم يوم أكل من الشجرة المحرمة فأخرج من الجنة وحرم العيش مع الملائكة والحياة في الجنة. يعرفه أيوب يوم فارق ثروته وأهله وأحبته وودّع عاقبته فاذا هو وحيد سقيم.

ويعرفه يونس يوم أُلقي في البحر فالتقمه الحوت فحرم فضاء الحياة الواسعة الرحبة ليعتقل في ظلمات متكاثفة في بطن الحوت. ويعرفه يعقوب وقد فقد بصره بكاء على المحبوب. ويعرفه يوسف إذ فارق احضان والديه الدافئة بعد أن أُلقي في غيابات الجب.

١ - بحار الأنوار: ٣٣١/٩٠، باب ١٩، حديث ١٤؛ ميزان الحكمة: ٥٣٨/٢، البكاء، حديث ١٨٤١.

ولكن الله عز وجل تاب على آدم واجتباها، وأعاد العافية لآيوب وأهله ومثلهم معهم.

ويونس نجاه الله من الكرب العظيم وأوحى إلى الحوت أن ينبذه في الساحل وأنبت عليهم شجرة من يقطين، ثم أرسله رحمةً إلى مئة ألف أو يزيدون. ويوسف أوى إليه أبويه من بعد ما مكن له في الأرض وجعله عزيز مصر وآتاه الله الملك وعلمه من تاويل الأحاديث.

أهل الكرامة

وهبني يا الهي استطعت تحمّل النار وصنوف العذاب فكيف لي أن أتحمّل إلا انظر إلى وجهك الكريم.

وجاء في الأثر أن الله سبحانه لم يخلق أحداً حتى يعلم مكانه في الجنة أو الجحيم. فإذا سكن أهل الجنة في الجنة وألقي أهل النار في النار يأتي النداء إلى أهل الجنة أن يطلعوا على النار ثم يقال لهم: هذا ما توعده به الله عز وجل العصاة من عباده وخلقه ولو أنكم عصيتم لكان مأواكم جهنم وبئذ المصير. فيفرحون بما أنعم الله عليهم من الجنة والنعيم والتجاة من النار والجحيم.

ثم ينادي في أهل النار أن انظروا إلى الجنة ومنازلها ثم يقال لهم: هذه الجنة خلقها لأهل طاعته ولو أنكم أطعتم لكنتم فيها منعمين. فيتضاعف حزنهم وعذابهم ويتمنون لو أن الله قضى عليهم.

الأمل

وكيف يا الهي ابقى في النار وليس لي أمل إلا بك، يا الهي وهذه رحمتك وسعت كل شيء فتجاوز عني... أليس يا الهي وعدت عبادك بالعفو؟ فمن يعفو

غيرك؟

جاء في بعض كتب التراث :

ان إحدى المغنيات من أهل المجون في مكة كانت تقيم حفلات الطرب والغناء وكانت ترقص فيها وتغني، وبعد سنوات من هجرة سيدنا محمد ﷺ وقد تقدمت بها السن وذهب بهاؤها وحسنها كسدت بضاعتها فشددت الرحال إلى المدينة المنورة ودخلت على النبي ﷺ فسألها النبي عما أقدمها أتجارة للدنيا أم تجارة للآخرة؟ فقالت: لا هذا ولا ذاك ولكني سمعت بجودك وكرمك فجئت رجاء أن تعطيني.

فخلع سيدنا محمد ﷺ رداءه وأعطاهَا ثم أمر أصحابه أن يعطوها ما تيسر لهم فجمعوا لها ما يغنيها.

أجل هذا نبي الرحمة يفعل ذلك ويكرم امرأة كانت ما كانت؛ فكيف بمن أرسل نبينا رحمة للعالمين؟! كيف بالرحمة المطلقة الواسعة التي وسعت كل شيء؟!!

اللهم ليس لنا إلا الرجاء و لأمل وأنت أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

« فَبِعِزَّتِكَ يَا سَيِّدِي وَمَوْلَايَ أَقْسِمُ صَادِقًا، لَئِنْ تَرَكْتَنِي نَاطِقًا، »
 « لِأَضِجَنَّ إِلَيْكَ بَيْنَ أَهْلِهَا ضَجِيجَ الْآمِلِينَ، وَلَأُضْرُخَنَّ إِلَيْكَ »
 « صُرَاخَ الْمُسْتَضْرِخِينَ، وَلَأُبْكِيَنَّ عَلَيْكَ بُكَاءَ الْفَاقِدِينَ، وَلَأَتَادِيَنَّكَ »
 « أَيْنَ كُنْتَ يَا وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ، يَا غَايَةَ آمَالِ الْغَارِفِينَ، يَا غِيَاثَ »
 « الْمُسْتَغِيثِينَ، يَا حَبِيبَ قُلُوبِ الصَّادِقِينَ، وَيَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ »

مقطع من الدعاء الكريم تصل فيه البلاغة في التعبير غاياتها لأنها تتبع من قلب صادق مؤمن عاشق؛ قلب يتدفق حباً ولوعة وشوقاً وهكذا القلوب الوالهة والنفوس الهائمة والأرواح المتيَّمة عندما تتشرب الحب الالهي وهكذا هو حال العاشقين.. تراهم يتحملون كل شيء إلا فراق المحبوب.

يمرّ أحدهم بامرأة ثكلى تندب ابنتها عند قبرها فيقول: طوبى لهذه الأم تعرف عن أية جوهرة نأت.

ويتغنى آخر:

يبكي الطفل أضع طريقه إلى المنزل.

فلماذا لا أبكي وقد اضعت صاحب المنزل^(١).

وحقاً كيف ستكون مشاهد يوم القيامة.. ويا له من يوم عصيب، فطوبى لمن

١ - من ديوان الشاعر الايراني صائب تبریزی: ٤٩٠، والنص الفارسي:
 طفل می گرید چو راه خانه را گم می کند چون نگریم من صاحب خانه را گم کرده ام

استحق يومئذ رحمة الله ورضوانه .

وحرّى بنا اليوم ولما ينشب الموت مخالفه في أعناقنا أن نعرض أنفسنا على القرآن الكريم لنعرف إلى أي جهة نسير .

هارون و بهلول

عاد هارون الرشيد من الحج فتوقف في الكوفة أياماً فمرّ ذات يوم بسكّة من سككها فاذا به يسمع صوتاً يصيح عليه ثلاث مرّات :

يا هارون يا هارون يا هارون !

فتعجب من هذا الذي يناديه باسمه دون لقب من ألقاب التبجيل والتجليل فالتفت إليه قائلاً :

أتعرفني ؟ نعم أعرفك . فمن أنا ؟ قال بهلول : أنت الذي إذا ظلم أحد في المشرق وأنت في المغرب سئلت عنه يوم القيامة . فبكى هارون وقال : كيف ترى حالي ؟ قال بهلول : أعرض نفسك على كتاب الله :

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾^(١) .

قال هارون : ما ترى في سعيّنا ؟ قال بهلول :

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾^(٢) .

قال هارون : ونسبنا من رسول الله ﷺ ؟ قال بهلول :

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾^(٣) .

١ - سورة الانفصار: ١٣ - ١٤ .

٢ - سورة احائدة: ٢٧ .

٣ - سورة المؤمنون: ١٠١ .

قال هارون: وشفاعة رسول الله؟ قال بهلول:

﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾^(١).

قال هارون: ألك حاجة؟ أجاب بهلول: نعم، تغفر ذنوبي وتدخلني الجنة.

قال هارون: ليس لي قدرة على ذلك ولكن أقضي دينك؟ قال بهلول: وهل يقضي الدين بالدين؟ قال هارون: اجري عليك عطاء؟ قال بهلول: أنا عبد من عبيد الله ورزقي عليه أفتراه يذكرك وينساني؟

« أَفْتَرَاكَ سُبْحَانَكَ يَا إِلَهِي وَبِحَمْدِكَ تَسْمَعُ فِيهَا صَوْتَ عَبْدٍ مُسْلِمٍ »
« سُجِنَ فِيهَا بِمَخَالَفَتِهِ، وَذَاقَ طَعْمَ عَذَابِهَا بِمَعْصِيَتِهِ، وَحَسِسَ بَيْنَ »
« أَطْبَاقِهَا بِجُزْمِهِ وَجَرِيرَتِهِ، وَهُوَ يَضِجُ إِلَيْكَ ضَجِيجَ مُؤْمِلٍ لِرَحْمَتِكَ، »
« وَيُنَادِيكَ بِلِسَانِ أَهْلِ تَوْحِيدِكَ وَيَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِرُبُوبِيَّتِكَ، »

يا أعظم معبود: هل يعقل أن تسمع أصوات المعذبين في النار وهم قد آمنوا بك ولكن زلت بهم الأقدام وسقطوا في براثن المعاصي رغم حبهم لك واستغاثتهم برحمتك وتوسلهم إليك .

كلا وحاشا يا رب! ان أصحاب اليقين من الصديقين إذا قرأوا القرآن ومروا بآيات الجحيم ارتعدت نفوسهم وامتلأت قلوبهم خوفاً واقشعرت لهول المشاهد جلودهم ثم تلين قلوبهم وجلودهم لذكر الله ويتولد في أرواحهم عزم على الطاعات ونفور من المعاصي والآثام.

حكاية

عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال :

مر سلمان رضي الله عنه على الحدادين في الكوفة، فرأى شاباً صعق والناس قد اجتمعوا حوله، فقالوا له : يا أبا عبدالله هذا الشاب قد صرع، فلو قرأت في أذنه، قال : فدنا

منه سلمان، فلما رآه الشاب أفاق وقال: يا أبا عبد الله ليس بي ما يقول هؤلاء القوم ولكنني مررت بهؤلاء الحدادين وهم يضربون بالمرزبات (المطرقة الكبيرة التي بيد الحداد) فذكرت قوله تعالى:

﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾^(١).

فذهب عقلي خوفاً من عقاب الله تعالى، فاتخذته سلمان أخاً، ودخل قلبه حلاوة محبته في الله تعالى، فلم يزل معه حتى مرض الشاب فجاءه سلمان فجلس عند رأسه وهو يجود بنفسه فقال: يا ملك ارفق بأخي.
فقال: يا أبا عبد الله إني بكل مؤمن رقيق^(٢).
ويروي أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما من عبد اهتم بمواقيت الصلاة ومواضع الشمس إلا ضمنت له الروح عند الموت وانقطاع الهموم والأحزان والنجاة من النار، كنا مرة رعاة الأبل، فصرنا اليوم رعاة الشمس»^(٣).

وجاء في بعض الأحاديث القدسية الشريفة أن الله عز وجل قال: يا بن آدم إني لم أخلق النار إلا للكافر والبخيل والنمام والعاق ومانع الزكاة وآكل الربا والزاني والمعرض عن القرآن ومؤذي الجيران إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً..
يا عبادي ارحموا أنفسكم فابدانكم ضعيفه والسفر بعيد والحمل ثقيل والصراط دقيق، والنار ذات لهيب والمنادي اسرافيل والقاضي رب العالمين^(٤).

١ - سورة الحج: ٢١.

٢ - الأماشي المفيد، المجلس الثالث عشر، حديث ٤؛ بحار الأنوار ٣٨٥/٢٢، ر ١١، حديث ٢٧.

٣ - المصدر السابق، حديث ٥.

٤ - كلمة الله.

وصايا

أراد أحدهم لسفر فجاء إلى حاتم الأصم وقال له:
 أوصني، قال حاتم: إن أردت نصيراً فالله نصيراً، وإن أردت رفيقاً فكرام
 كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد، وإن أردت العبرة تكفيك الدنيا، وإن أردت
 انيساً كفاك القرآن، وإن أردت عملاً فالعبادة، وإن أردت واعظاً فكفى بالموت لك
 واعظاً.

« يَا مَوْلَايَ فَكَيْفَ يَبْقَى فِي الْعَذَابِ »

« وَهُوَ يَرْجُو مَا سَلَفَ مِنْ جَلَمِكَ ، أَمْ كَيْفَ تُؤْلِمُهُ النَّارُ وَهُوَ يَأْمَلُ »

« فَضْلَكَ وَرَحْمَتَكَ ، أَمْ كَيْفَ يُخْرِقُهُ لَهْيُهَا وَأَنْتَ تَسْمَعُ صَوْتَهُ وَتَرَى »

« مَكَانَهُ ، أَمْ كَيْفَ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ زَفِيرُهَا وَأَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفَهُ ، أَمْ كَيْفَ »

« يَتَقَلَّقُ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا وَأَنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَهُ ، أَمْ كَيْفَ تَزْجُرُهُ زَبَانِيَّتُهَا وَهُوَ »

« يُنَادِيكَ يَا رَبِّهِ ، أَمْ كَيْفَ يَرْجُو فَضْلَكَ فِي عِثْقِهِ مِنْهَا فَتَتْرُكُهُ فِيهَا ، »

كيف يبقى عبدك في العذاب وهو يثق بعفوك ويرجو رحمتك وكيف تزجره

زبانية العذاب وهو يستغيث بك يا رب ؟

وكيف يأمل في الخلاص من الجحيم ويبقى فيها وهو يستنجد برأفتك ؟

الرحمة والكرامة

الله سبحانه وتعالى لطيف بالجميع رحيم بهم ولهذا فهو سبحانه يرزقهم

وعطاؤه لهم غير محدود.

ولكن البعض لا يسعى لكسب رزقه ، فتجده كسولاً متواكلاً يعرض عن رزق

الله عز وجل ؛ فيعيش الحرمان لأن نعم الله تلزمها جدارة من الانسان نفسه

فيستحق بذلك الرزق ، ولهذا لا نرى انسان يسعى ويكدح ويعمل إلا والله يرزقه

ويعطيه من خزائنه .

أما الكسالى والفاشلون فهؤلاء هم الذين يحرمون انفسهم من الانتهال من فائدة الوجود الزاخرة بكل انواع النعم والله سبحانه يرزق على العمل الضئيل خيراً وفيراً وهذا شأنه عزوجل مع عباده رحمة وبركات وفضل.

حكاية

جاء في كتب التراث ان سليمان الحكيم عليه السلام كان على بساطه المعروف فمرّ بـ غلام فقال الغلام لما مرّ به : الهي قد آتيت ابن داود ملكاً عظيماً فحملت الريح كلام الغلام ولما سمعه ترجّل من فوق بساطه وجاء إلى الغلام وقال : لا تتمنى ما لا تستطيع ولا تطيق ، ولو أن الله قبل منك تسبيحةً واحدة لكان خيراً لك من ملك سليمان لأن ثواب التسبيح باق وملك سليمان فان^(١).

ويروي المحدث الشيخ الصدوق :

«عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِيَّاكُمْ وَالْكَسَلَ إِنَّ رَبَّكُمْ رَحِيمٌ يَشْكُرُ الْقَلِيلَ، إِنَّ الرَّجُلَ لِيُصَلِّيَ الرَّكْعَتَيْنِ تَطَوُّعاً يُرِيدُ بِهِمَا وَجْهَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَيُدْخِلُهُ اللَّهُ بِهِمَا الْجَنَّةَ، وَإِنَّهُ لَيَنْصَدِّقُ بِالَّذِي هُمْ تَطَوُّعاً يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَيُدْخِلُهُ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَإِنَّهُ لَيَصُومُ الْيَوْمَ تَطَوُّعاً يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ فَيُدْخِلُهُ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ»^(٢).

ويروي أمير المؤمنين عليه السلام عن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله :

«مَا مِنْ شَيْءٍ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ ابْنِ آدَمَ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَلَا الْمَلَائِكَةُ؟ قَالَ: الْمَلَائِكَةُ مَجْبُورُونَ بِمَنْزِلَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ».

١ - ربيع الآثار.

٢ - ثواب الأعمال : ٣٩؛ بحار الأنوار : ٢٥٣/٩٣، باب ٣٠، حديث ١٩.

لقد انعم الله سبحانه على الانسان بنعمة الحرية والارادة المستقلة وأن شكره عزوجل واجب على عباده.

حديث شريف

قال النبي ﷺ :

«الصَّلَاةُ عَمُودُ الدِّينِ وَفِيهَا عَشْرُ خِصَالٍ: زَيْنُ الْوَجْهِ، وَتَوَرُّ الْقَلْبِ، وَرَاحَةُ الْبَدَنِ، وَأَنْفُسُ الْقُبُورِ، وَمُنْزِلُ الرُّحْمَةِ، وَمِصْبَاحُ السَّمَاءِ، وَثِقَلُ الْمِيزَانِ، وَمَرْضَاتُ الرَّبِّ، وَثَمَنُ الْجَنَّةِ، وَحِجَابُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ أَقَامَهَا فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ، وَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ»^(١).

وعنه ﷺ أيضاً :

«مَا مِنْ صَلَاةٍ يَخْضُرُ وَقْتُهَا إِلَّا نَادَى مَلَكٌ بَيْنَ يَدَيِ النَّاسِ: أَيُّهَا النَّاسُ! قُومُوا إِلَى نِيرَانِكُمْ أَلْتُمُوا عَلَى ظُهُورِكُمْ فَأُطْفِئُوهَا بِصَلَاتِكُمْ»^(٢).

القافلة

عن الامام موسى بن جعفر عن أبيه عليه السلام : قال كان الصادق عليه السلام في طريق ومعه قوم معهم أموال وذكر له بارقة (السيوف والمراد قطاع الطريق واللصوص) في الطريق يقطعون على الناس، فارتعدت فرائصهم فقال لهم الصادق عليه السلام : ما لكم؟ قالوا: معنا أموالنا نخاف عليها أن تؤخذ منا أفتأخذها منا؟ فلعلهم يندفعون عنها إذا رأوا انها لك، فقال: وما يدريكم؟ لعلهم لا يقصدون غيري

١ - المواعظ العددية : ٣٧١.

٢ - من لا يحضره الفقيه : ٢٠٨/١، باب فضل الصلاة، حديث ٦٢٤.

ولعلكم تعرضوني بها للتلف فقالوا: فكيف نصنع ندفنها؟ قال: ذلك أضيع لها فلفل طاريا يطري عليها فيأخذها ولعلكم لا تفتدون إليها بعد، فقالوا: كيف نصنع؟ دلنا قال: أودعوها من يحفظها ويدفع عنها ويربها ويجعل الواحد منها أعظم من الدنيا وما فيها ثم يردها ويوفرها عليكم احوج ما تكونون إليها قالوا: من ذاك؟ قال: ذاك رب العالمين، قالوا: وكيف نودعه؟ قال تتصدقون به على ضعفاً المسلمين قالوا: وأنى لنا الضعفاء بحضرتنا هذه؟ قال: فاعرضوا على أن تتصدقوا بثلاثها ليدفع الله عن باقيها من تخافون، قالوا قد عزمنا قال: فانتم في امان الله فامضوا فمضوا فظهرت لهم البارقة فخافوا، فقال الصادق عليه السلام: كيف تخافون وانتم في امان الله عز وجل؟ فتقدم البارقة وترجلوا وقبلوا يد الصادق عليه السلام وقالوا: رأينا البارقة في منامنا رسول الله صلى الله عليه وآله يأمرنا بعرض أنفسنا عليك فنحن بين يديك ونصحبك وهؤلاء لندفع عنهم الاعداء واللصوص، فقال: الصادق عليه السلام: لا حاجة بنا اليكم فان الذي دفعكم عنا يدفعهم؛ فمضوا سالمين وتصدقوا بالثلث وبورك لهم في تجارتهم فربحوا للدرهم عشرة فقالوا: ما أعظم بركة الصادق عليه السلام؛ فقال الصادق عليه السلام: قد تعرفتم البركة في معاملة الله عز وجل؟ فدوموا عليها^(١).

عن أحمد بن محمد بن أبي نصير البرنطي قال قرأت كتاب أبي الحسن الرضا عليه السلام إلى أبي جعفر يا أبا جعفر بلغني أن الموالي اذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير فانما ذلك من بخل بهم لئلا ينال منك أحد خيراً فأسألك بحقي عليك لا يكن مدخلك ومخرجك الا من الباب الكبير واذا ركبت فليكن منك ذهب وقضة ثم لا يسألك أحد إلا أعطيته. ومن سألك من عمومته ان تبره فلا تعطه أقل من خمسين ديناراً والكثير إليك؛ ومن سألك من عماتك فلا تعطها أقل من خمسة

وعشرين ديناراً، والكثير إليك، اني اريد ان يرفعك الله فانفق ولا تخش من ذي العرش اقتاراً^(١).

علي .. المجد الأخلاقي

في صفين احتل جيش معاوية مصادر المياه والشيطان التي يتجهز منها الناس بالماء في نهر الفرات، ورفض السماح لجيش الامام علي عليه السلام بالتزود بالمياه وذلك قبل بدء العمليات العسكرية وجهاز الامام كئيب من جيشه لتحرير الشريعة وخطب في جنوده:

«قد استطعموكم القتال.. فأقروا على مذلة وتأخير محلة أو رووا السيوف من الدماء قرووا من الماء فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين».

وأصيب قوات معاوية بهزيمة ساحقة وتم طردهم من الشواطئ .
وأراد بعض أصحاب الامام علي معاملتهم بالمثل ومنعهم من المياه فرفض ذلك وطلب من جنود التزود بالماء والانسحاب وترك الشريعة مفتوحة للجميع .
هؤلاء هم عبيد الله عز وجل وأولياؤه يتعاملون حتى مع أعدائهم اللدء بهذه السماحة والكرم فكيف بالله عز وجل وهو الرحمة المطلقة والغفران والكرم اللانهائي هيهات ما ذلك الظن بك .

« هَيْهَاتَ مَا ذَلِكَ الظَّنُّ بِكَ ، وَلَا الْمَعْرُوفُ مِنْ فَضْلِكَ ، »
« وَلَا مُشْيَةٍ لِمَا عَامَلْتَ بِهِ الْمَوْحِدِينَ مِنْ بَرِّكَ وَإِحْسَانِكَ ، فَبِالْيَقِينِ »
« أَقْطَعُ لَوْلَا مَا حَكَمْتَ بِهِ مِنْ تَغْذِيْبِ جَا حِدِيْكَ ، وَقَضَيْتَ بِهِ مِنْ إِخْلَادِ »
« مُعَايِدِيْكَ ، لَجَعَلْتَ النَّارَ كُلَّهَا بَرْدًا وَسَلَامًا ، وَمَا كَانَ لِأَحَدٍ فِيْهَا »
« مَقْرَأٌ وَلَا مُقَامًا ، لَكِنَّكَ تَقْدَسَتْ أَسْمَاؤُكَ ، أَقْسَمْتَ أَنْ تَمْلَأَهَا مِنْ »
« الْكَافِرِينَ ، مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَأَنْ تُخَلِّدَ فِيْهَا الْمُعَايِدِينَ ، »
« وَأَنْتَ جَلُّ ثَنَاؤِكَ ، قُلْتَ مُبْتَدِئًا ، وَتَطَوَّلْتَ بِالْإِنْعَامِ مُتَكَرِّمًا ، أَفَمَنْ كَانَ »
« مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ »

اجل هيهات أن ظننا بك يا رب فيض معروف مطلق ومصدر خير لا ينتهي .
وهكذا ظن الأنبياء والأولياء بالله عز وجل .. وما هذا المقطع من الدعاء
الكريم إلا تصوير صادق عن تلك النفوس الطاهرة والارواح البيضاء المفعمة
بالنور .. الله هو الرحمن الرحيم الرؤوف الكريم الغفور الودود الملك القدوس
اللطيف قابل التوبة من عباده وغافر السيئات .
وما عذاب القيامة إلا فاكهة مرّة للانكار والالحاد والعداء لله عز وجل ..
وعذاب الله حمم وغضب يصيب الذين كفروا من المستكبرين والطغاة والآثمين
الجنة الذين لا يرجون الله وقارا .

فكيف يصيب العذاب قلوباً نبضت بحب الله ونفوساً أضاءها لايمان بالله
وجوارح سعت إلى العمل الصالح في سبيله .. سأل أحدهم سالكاً في طريق الله :
لوئت ذيلي بالذنوب فهل يقبلني الله ؟

قال السالك : يا ويلك انه يدعو المعرضين عنه إليه فكيف بمن يريدون اللجوء
إليه .. بابه مفتوح لمن تاب وأناب .

وجاء في الأثر أن الله عز وجل أرسل موسى عليه السلام إلى فرعون وأوصاه أن يقول
له قولاً ليتناً لعله يذكر أو يخشى وأن يقول له أن رحمة الله تسبق غضبه ، ان الله
عز وجل يحبّ التوابين الذين ندموا بعدما اقترفوا اثماً انه كان ثواباً .

ابراهيم

جاء في تفسير قوله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ
الْمُوقِنِينَ ﴾ ^(١).

ان الله عز وجل قوى بصره لما رفعه دون السماء ، حتى أبصر الأرض ومن
عليها ظاهرين ، فالتفت فرأى رجلاً وامراًة على فاحشة فدعى عليهما بالهلاك
فهلكا ، ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا ثم رأى آخرين فهم بالدعاء
عليهما فأوحى الله إليه يا ابراهيم اكفف دعوتك عن عبادي وأماني فاني أنا الغفور
الرحيم الحنان الحليم لا تضرني ذنوب عبادي كما لا تنفعني طاعتهم ولست
اسوسهم بشفاء الغيظ كسياستك فاكفف دعوتك عن عبادي وامائي ، فانما أنت عبد
نذير لا شريك في المملكة ولا مهيمن علي ولا على عبادي .

وعبادي معي بين خلال ثلاث: إمّا تابوا إليّ فتبت عليهم وغفرت ذنوبهم
وسترت عيوبهم وإمّا كففت عنهم عذابي لعلمي بانه سيخرج من أصلاهم ذريّات
مؤمنون فأرفق بالآباء الكافرين وأتأني بالامهات الكافرات، وارفع عنهم عذابي
ليخرج ذلك المؤمن من أصلاهم فإذا تزايدوا حلّ بهم عذابي وحقّ بهم بلائي وإن
لم يكن هذا ولا هذا فإن الذي أعدته لهم من عذابي اعظم ممّا تُريده بهم فإن
عذابي لعبادي على حسب جلالتي لكبريائي يا ابراهيم فخلّ بيني وبين عبادي
فاني أرحم بهم منك وخلّ بيني وبين عبادي فاني أنا الجبار الحليم العلّام الحكيم
ادبرهم بعلمي وأنقذ فيهم قضائي وقدري»^(١).

وسعت رحمته السماوات

جاء في بعض كتب التراث عن المحدث الفيلسوف الفيض الكاشاني انه
يساق العبد يوم القيامة إلى النار بعد ما رجحت سيئاته، فيوحى الله عز وجل إلى
جبرائيل ان يسأل ذلك العبد: أكان جليساً للعلماء فيشفع له؟
فيقول: لا، فيسأله: أجلس إلى مائدة عالم؟ فيقول: لا، فيسأله: أجلس في
مكان جلس فيه عالم؟ فيقول: لا، فيسأله: أكان سميّاً لعالم؟ فيقول: لا، فيسأله:
أكان يحب أحداً يحب العلماء؟ فيقول: نعم، فيأتي النداء: يا جبرئيل لقد غفرت له
وادخلته الجنة^(٢).

حكاية

روي الشيخ الصدوق عن الامام الباقر عليه السلام قال:

١ - تفسير البرهان: ٥٧٥، تفسير سورة الأنعام: ٧٥.

٢ - بحار الأنوار: ١١١/٤، باب ٢، حديث ٣١.

بيننا داود على نبينا وآله وعليه السلام جالس وعنده شاب رث الهيئة يكثر الجلوس عنده ويطيل الصمت إذ أتاه ملك الموت فسلم عليه وأحدّ ملك الموت النظر إلى الشاب ، فقال داود على نبينا وآله وعليه السلام : نظرت إلى هذا ؟ فقال : نعم إنني أمرت بقبض روحه إلى سبعة أيّام في هذا الموضع فرحمه داود فقال : يا شاب هل لك امرأة ؟ قال : لا وما تزوّجت قط قال داود : فأنت فلانا - رجلاً كان عظيم القدر في بني إسرائيل - فقل له : إن داود يأمرك أن تزوّجني ابنتك وتدخلها الليلة وخذ من النفقة ما تحتاج إليه وكن عندها فإذا مضت سبعة أيّام فوافني في هذا الموضع فمضى الشاب برسالة داود على نبينا وآله وعليه السلام فزوّجه الرجل ابنته وأدخلوها عليه وأقام عندها سبعة أيّام ، ثم وافى داود يوم الثامن فقال له داود : يا شاب كيف رأيت ما كنت فيه ؟ قال : ما كنت في نعمة ولا سرور قطّ أعظم ممّا كنت فيه ؛ قال داود : اجلس فجلس وداود ينتظر أن يقبض روحه فلما طال قال : انصرف إلى منزلك فكن مع أهلِكَ فإذا كان يوم الثامن فوافني ههنا ، فمضى الشاب ، ثم وافاه يوم الثامن وجلس عنده ، ثم انصرف أسبوعاً آخر ثم أتاه وجلس فجاء ملك الموت داود ، فقال داود صلوات الله عليه : أأست حدّثتني بأنك أمرت بقبض روح هذا الشاب إلى سبعة أيّام ؟ قال : بلى ، فقال : قد مضت ثمانية وثمانية وثمانية قال : يا داود إنّ الله تعالى رحمه برحمتك له فأخّر في أجله ثلاثين سنة^(١).

خصال خمس

روي عن الامام الصادق عليه السلام انه جيء إلى النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم بعدد من

الأسرى وأراد النبي ﷺ حبسهم فأوحى الله عز وجل أن يطلق أحدهم فأطلق سراحه وتعجب الأسير فسأل النبي عن ذلك فقال ﷺ لقد أوحى الله عز وجل إلى أن لك خمس خصال حسنة يحبها الله :

«الْفَيْزَةُ الشَّدِيدَةُ عَلَى حَرَمِكَ، وَالسَّخَاءُ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَصِدْقُ اللِّسَانِ، وَالشَّجَاعَةُ».

فتاثر الأسير بشدة واعتنق الاسلام^(١).

حكاية

كان للامام الصادق عليه السلام غلام أذنّب فأمر الامام بجلده تعزيراً له فقال الغلام: يا بن رسول الله انك لتضرب من لا شفيع له إلا أنت فأمر الامام باطلاقه فقال الغلام:

انك لم تطلقني وإنما اطلقني من الهمني هذا الكلام.
فقال الامام:

ورب الكعبة هذا غلام موحد لا يرى أحداً غير الله.
أجل هكذا تكون معاملة من يوحد الله ويؤمن به ويعمل صالحاً.

حكاية

جاء في بعض التفاسير أن يوسف لما مكّن من الأرض واصبح عزيز مصر فكر أن يكون له وزير يعاونه في ادارة البلاد فيكون أقوى على نشر العدل واصلاح معيشة الناس ، ولكنه لم يجد من يسند إليه هذا المنصب .

١ - وسائل الشيعة : ١١٥/٢٠ ، حديث ٢٥٢٩١ : بحار الأنوار ٣٧٤/٦٨ ، باب ٩٢ ، حديث ٢٥ .

فأوحى الله إليه ان الله يقرؤك السلام ويقول اتخذ لك وزير فقال يوسف : هو ما أبغي فقال الملك ان ربك يقول اتخذ أول من تقع عليه عينك صباح غد .
فلما أصبح وقعت عيناه على رجل ضعيف نحيل يحمل كيساً على ظهره فأراد يوسف أن يتخطاه إلى الذي بعده فهبط الوحي عليه يقول : لا تدعه واتخذه وزيراً فان له حقاً عليك .

قال يوسف : وما حقه يا رب ؟

قال : انه الذي شهد بعفتك وطهارة ثوبك يوم جرى ما جرى في قصر عزيز مصر .

هكذا فعل الله عزوجل بمن أدّى شهادة حق وانصف فكيف فعله بمن كان له موحداً مؤمناً ؟ !

أجل هذا هو لطف الله ورحمته ورأفته سبحانه انه هو أرحم الراحمين .

«إِلَهِي وَسَيِّدِي، فَأَسْأَلُكَ بِالنُّذْرَةِ الَّتِي قَدَّرْتَهَا، وَبِالْقَضِيَّةِ الَّتِي
«حَتَمْتَهَا وَحَكَمْتَهَا، وَغَلَبْتَ مَنْ عَلَيْهِ أَجْرَيْتَهَا أَنْ تَهَبَ لِي فِي هَذِهِ
«اللَّيْلَةِ، وَفِي هَذِهِ السَّاعَةِ، كُلَّ جُزْمٍ أَجْرَمْتُهُ، وَكُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ، وَكُلَّ
«قَبِيحٍ أَسْرَزْتُهُ، وَكُلَّ جَهْلٍ عَمِلْتُهُ، كَتَمْتُهُ أَوْ أَعْلَنْتُهُ،
«أَخْفَيْتُهُ أَوْ أَظْهَرْتُهُ،»

وفي هذا المقطع يصل العشق الالهي ذروته حيث يصل الايمان برحمة الله
الذروة في ليلة مباركة هي ليلة الجمعة، حيث يدرك العاشقون ان أبواب رحمة الله
قد فتحت على مصاربعها وأن أبواب السماء قد فتحت وملائكة الرحمة تهبط على
الأرض وتدعو بني آدم إلى التوبة والعودة والانابة إلى الله انه هو ارحم الراحمين.
فكيف بمن يمزج كلماته ببيكائه ويغسل قلبه بدموعه وتستحيل روحه إلى
حمامة بيضاء تحلق نحو الملكوت تسبح في فضاء الرحمة وتسبح بحمد الله
ومجده وتشتاق إلى لقائه!

« وَكُلَّ سَيِّئَةٍ أَمَرْتُ بِإِثْبَاتِهَا الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ ، الَّذِينَ وَكَّلْتَهُمْ بِحِفْظِ »
« مَا يَكُونُ مِنِّي ، وَجَعَلْتَهُمْ شُهُوداً عَلَى مَعَ جَوَارِحِي ، وَكُنْتُ أَنْتَ »
« الرَّقِيبَ عَلَى مِنْ وَرَائِهِمْ وَالشَّاهِدَ لِمَا خَفِيَ عَنْهُمْ ، وَبَرَّ خَمَتِكَ أَخْفَيْتَهُ ، »
« وَبِفَضْلِكَ سَتَرْتَهُ ، وَأَنْ تُوقِرَ حَظِّي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَنْزَلْتَهُ ، أَوْ إِحْسَانٍ فَضَّلْتَهُ »
« أَوْ بِرٍ نَشَرْتَهُ ، أَوْ رِزْقٍ بَسَطْتَهُ ، أَوْ ذَنْبٍ تَغْفِرُهُ ، أَوْ خَطَا تَسْتُرُهُ ، »

ويتواصل الدعاء ببلاغة التعبير التي تنطوي عليه الروح الوالهة والقلب العاشق المتيّم الذي يكاد يذوب شوقاً إلى المحبوب .
ويتخذ الخطاب العاشق منحىً تصاعدياً في الحبّ بحيث يطلب من الرب تبارك وتعالى ان يغفر له كل الذنوب حتى تلك التي يسجلها المكان الموكلان بحفظ اعمال الانسان .

الكاتبون

اشارة القرآن الكريم إلى وجود رقابة صارمة لا تغفل لحظة واحدة فهي تحفظ وتسجل على الانسان كل نشاطه وتجربته في الحياة الدنيا .

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ ^(١) .

﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ * وَقَالُوا لِمَ لُجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿^(١)﴾.

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿^(٢)﴾.
﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿^(٣)﴾.

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ﴿^(٤)﴾.

الآيات كما نرى لا تشير إلى الملائكة الكاتبين بل هناك شهود من ذات الانسان؛ فاللسان والسمع والبصر واليد والرجل كلها ستشهد على الانسان حتى الأرض هي الأخرى سوف تفصح بالحديث الصريح عن قصة الانسان.

﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿^(٥)﴾.

وفي يوم القيامة تتجسد اعمال الانسان وافعاله وحينئذ لا يبقى مجال للانكار:

﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ

١ - سورة فصلت: ٢٠ - ٢١.

٢ - سورة النور: ٢٤.

٣ - سورة يس: ٦٥.

٤ - سورة ق: ١٨.

٥ - سورة الزلزلة: ٤ - ٥.

عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُثَبِّتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ^(١).

غير ان الذين يوفقون للتوبة ويغفر الله لهم فأولئك يستر الله عليهم يوم القيامة ويأتون يوم القيامة. وصفحتهم بيضاء ناصعة كأنهم لم يأتوا في الدنيا ولم يرتكبوا معصية ولا ذنباً.

يقول سيدنا علي عليه السلام:

«مَنْ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ. وَأَمَرْتُ جَوَارِحَهُ أَنْ تَسْتَرُ عَلَيْهِ، وَبِقَاعِ الْأَرْضِ أَنْ تَكْتُمَ عَلَيْهِ، وَأَنْسَيْتِ الْحَفْظَةَ مَا كَانَتْ تَكْتُبُ عَلَيْهِ»^(٢).

ويقول الامام الصادق عليه السلام:

«إِذَا تَابَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ تَوْبَةً نَصُوحاً أَحَبَّهُ اللَّهُ فَسَتَرَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قُلْتُ وَكَيْفَ يَسْتَرُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: يُنْسِي مَلَكِيهِ مَا كَتَبَا عَلَيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ... فَيُلْقِي اللَّهُ حِينَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ شَيْءٌ يَشْهَدُ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنَ الذُّنُوبِ»^(٣).

١ - سورة التوبة: ١٠٥.

٢ - ثواب الأعمال: ١٧٩، باب ثواب التوبة.

٣ - بحر الأنوار: ٢٨/٦، باب ٢٠، حديث ٣١.

« يَا رَبِّ يَا رَبِّ، يَا رَبِّ يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَمَالِكَ رَقِي، »
« يَا مَنْ بِيَدِهِ نَاصِيَّتِي، يَا عَلِيماً بِضُرِّي وَمَسْكَنَتِي، يَا خَيْرَافٍ بِفَقْرِي »
« وَفَاقَتِي، يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ وَقُدْسِكَ، وَأَعْظَمِ صِفَاتِكَ، »
« وَأَسْمَائِكَ، أَنْ تَجْعَلَ أَوْقَاتِي مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِذِكْرِكَ مَعْمُورَةً، »
« وَبِخِدْمَتِكَ مَوْصُولَةً، وَأَعْمَالِي عِنْدَكَ مَقْبُولَةً، حَتَّى تَكُونَ أَعْمَالِي »
« وَأَوْزَادِي كُلُّهَا وَزَداً وَاجِداً، وَحَالِي فِي خِدْمَتِكَ سَرْمَداً، يَا سَيِّدِي يَا »
« مَنْ عَلَيْهِ مَعْوَلِي، يَا مَنْ إِلَيْهِ شَكْوَتُ أَحْوَالِي، يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ، »

ويستمر الدعاء بذات المسار من الحب والشوق والتوسل إلى المحبوب
تبارك وتعالى فتتجلى صورة رائعة من صورة الحب والعشق الالهي بحيث يخلو
المشهد من كل شيء إلا الله عز وجل.

الاسم الأعظم

يقول بعض العرفاء والأولياء والعاشقين ان كلمة « رب » التي تعني المالك
المطلق والتي تنطوي على دلالات عميقة هي الاسم الاعظم وان من يتوسل بها
تنفتح عليه أبواب الرحمة وتغفر له ذنوبه ويعود ظاهراً كما ولدته أمه .
ولعل في توسل الأنبياء بالله عز وجل من خلال هذه الكلمة يشير إلى ذلك .

ففي توسل آدم وحواء نجد خطابهما يبدأ بهذه الكلمة المقدسة :

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١).

ونوح الذي عانى ما عانى في تبليغ رسالة الله على مدى قرون متعادية نجده يلجأ إلى الله عز وجل قائلاً :

﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ﴾ (٢).

وابراهيم خليل الرحمن ﷺ يناجي الله عز وجل قائلاً :

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (٣).

وموسى بن عمران يتضرع إلى الله تبارك وتعالى فيقول :

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ (٤).

وسليمان ﷺ يستغفر ويقول :

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ (٥).

وزكريا لما دعا الله عز وجل يطلب منه ولداً يرثه :

﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ (٦).

١ - سورة الاعراف : ٢٣ .

٢ - سورة نوح : ٢٦ .

٣ - سورة الشعراء : ٨٣ .

٤ - سورة القصص : ٢٤ .

٥ - ص : ٣٥ .

٦ - سورة الأنبياء : ٨٩ .

وقال يوسف الصديق بحمد الله عز وجل ويشكره:

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾^(١).

وأيوب النبي الصابر دعا الله عز وجل قائلاً:

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾^(٢).

وخاطب الله عز وجل نبيه وحبيبه سيدنا محمد ﷺ يعلمه:

﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾^(٣).

والمؤمنون الصالحون إذ يتأملون ملكوت السماء والأرض فيقولون:

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ ﴾^(٤).

وقد جاء في الأثر إذا قال العبد مخلصاً: «يا رب»: قال الله عز وجل لبيك

فإذا كرر ذلك ثانياً وثالثاً قال الله عز وجل: يا عبدي اطلب حاجتك اجيبك^(٥).

﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴾^(٦).

١ - سورة يوسف: ١٠١.

٢ - سورة الأنبياء: ٨٣.

٣ - سورة المؤمنون: ١١٨.

٤ - سورة آل عمران: ١٩١.

٥ - مستدرک الوسائل: ٢٢٠/٥، باب ٣١، حديث ٥٧٣٨؛ الكافي: ٥٢٠/٢، باب من قال يا رب.

٦ - اعراف: ١٤.

العمل الصالح

للأعمال الصالحة التي يقوم بها المؤمنون الأثر الكبير في مسيرة الإخلاص إلى الله عز وجل ، ذلك أن لقاء الله عز وجل يتوقف على شرطين الإيمان والعمل الصالح :

﴿قَنْ كَانَ يَزْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١).

ومن هنا يدعو أمير المؤمنين من الله عز وجل قائلاً: «وأعمالني عندك مقبولة».

ومسأله الإيمان هامة ومصيرية في قبول الأعمال والطاعات .
فالمؤمن المخلص إذا عمل صالحاً كتب له وتقبل منه أما الكافر فلا يقبل منه وتسجل عليه الذنوب حتى لو كانت صغيرة ، ومع كل هذا تبقى للعمل الصالح أهميته الكبيرة في حياة الإنسان .
يقول سيدنا علي عليه السلام :

«أَشْرَفُ عِنْدَ اللَّهِ شَيْحَانَهُ بِحُسْنِ الْأَعْمَالِ لَا بِحُسْنِ الْأَقْوَالِ»^(٢).

«أَلْعَقْلُ شِعَارُ الْمُؤْمِنِ»^(٣).

١ - سورة الكهف : ١١٠ .

١ - غرر الحكم : ١٥٣ ، لا ينفع قول بخير العمل ، حديث ٢٨٣٨ ؛ ميزان الحكمة : ٤٠٥٠/٩ . العمل ، حديث ١٤٢٦٠ .

٣ - غرر الحكم : ١٥١ ، حديث ٢٧٧٧ ؛ ميزان الحكمة : ٤٠٥٠/٩ ، النحل ، حديث ١٤٢٦٤ .

«أَعْلَى الْأَعْمَالِ إِخْلَاصُ الْإِيمَانِ وَصِدْقُ الْوَرَعِ وَالْإِيْقَانِ»^(١).

ويقول الامام الصادق عليه السلام :

«دَعَا إِلَهَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا بِأَيَاتِهِمْ لِيَتَغَارَفُوا، وَفِي الْآخِرَةِ بِأَعْمَالِهِمْ لِيَجَازُوا»^(٢).

وقال سيدنا محمد ﷺ يوصي الفرد المسلم :

«أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ إِيْمَانُ بِاللَّهِ وَتَصَدِيقُ بِهِ وَجْهًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَحُجٌّ مَبْرُورٌ، وَأَمُورٌ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَلِيْنُ الْكَلَامِ وَالسَّمَاخَةُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَأَمُورٌ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ لَا تَنْهَى اللَّهُ فِي شَيْءٍ قَضَاءُ اللَّهِ عَلَيْكَ»^(٣).

وقال صلوات الله عليه وآله وسلم :

«سَيِّدُ الْأَعْمَالِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: إِنْصَافُكَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمُوَاسَاةُكَ الْأَخَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ»^(٤).

ويقول سيدنا علي عليه السلام :

«طُوبَى لِمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ عَمَلَهُ وَعِلْمَهُ وَحُبَّهُ وَبُغْضَهُ وَأَخَذَهُ وَتَرَكَهَ وَكَلَامَهُ وَصَمْتَهُ وَفِعْلَهُ وَقَوْلَهُ»^(٥).

ويقول سيدنا محمد ﷺ يوصي أبا ذر رضي الله عنه :

-
- ١ - غرر الحكم: ١٥٥، الإخلاص في العمل وآثاره، حديث ٢٨٩٩.
 - ٢ - بحار الأنوار: ٢٠٨/٧٨، باب ٢٣، حديث ٧٢.
 - ٣ - كنز العمال: ٤٣٦٣٩؛ ميزان الحكمة: ٤٠٦٦/٩، العمل (١)، حديث ١٤٢٢.
 - ٤ - مشكاة الأنوار: ٥٥، الفصل الخامس عشر؛ ميزان الحكمة: ٤٠٦٤/٩، العمل (١)، حديث ١٤٣٢٦.
 - ٥ - تحف العقول: ٩١؛ بحار الأنوار: ٢٤١/٧٤، باب ٩، حديث ١.

«كُنْ بِالْعَمَلِ بِالتَّقْوَى أَشَدَّ اهْتِمَاماً مِنْكَ بِالْعَمَلِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَقِلُّ عَمَلٌ بِالتَّقْوَى، وَكَيْفَ يَقِلُّ عَمَلٌ يُتَقَبَّلُ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾»^(١).

وبقول أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«إِنَّكَ لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْ عَمَلِكَ إِلَّا مَا أَخْلَصْتَ فِيهِ»^(٢).

وتصل قيمة العمل المخلص النابع من قلب الانسان المؤمن قيمة عالية يشير لها الحديث المروي عن الامام الصادق عليه السلام إذ يقول:

«مَنْ قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ صَلَاةً وَاحِدَةً لَمْ يُعَذِّبْهُ، وَمَنْ قَبِلَ مِنْهُ حَسَنَةً لَمْ يُعَذِّبْهُ»^(٣).

وأيضاً:

«مَنْ قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَسَنَةً وَاحِدَةً لَمْ يُعَذِّبْهُ، أَبَدًا وَدَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٤).

اللهم وفقنا لأن نعمل عملاً صالحاً ولا نشرك بعبادتك أحداً يا أرحم الراحمين.

١ - بحار الأنوار: ٨٨/٧٤، باب ٤؛ ميزان الحكمة: ٤٠٦٦/٩، العمل، حديث ١٤٣٣٣.

٢ - غرر الحكم: ١٥٥، حديث ٢٩١٣؛ ميزان الحكمة: ٤٠٦٦/٩، العمل، حديث ١٤٣٣٥.

٣ - الكافي: ٢٦٦/٣، باب فضل الصلاة، حديث ١١؛ ميزان الحكمة: ٤٠٧٠/٩، العمل، حديث ١٤٣٥٠.

٤ - مجموعة الزّام: ٨٦/٢؛ ميزان الحكمة: ٤٠٧٠/٩، العمل، حديث ١٤٣٥١.

« قَوِّ عَلَى خِدْمَتِكَ جَوَارِحِي ، وَأَشْدِّ عَلَى الْعَزِيمَةِ جَوَانِحِي ، »
« وَهَبْ لِي الْجِدَّ فِي خَشْيَتِكَ ، وَالِدَّوَامَ فِي الْإِتِّصَالِ بِخِدْمَتِكَ ، حَتَّى »
« أَسْرَحَ إِلَيْكَ فِي مَيَادِينِ السَّابِقِينَ ، وَأُسْرِعَ إِلَيْكَ فِي الْبَارِزِينَ ، »
« وَأَشْتَاقَ إِلَيَّ قُرْبِكَ فِي الْمَشْتَاقِينَ ، وَأَذْنُوَ مِنْكَ ذَنُوءَ الْمُخْلِصِينَ ، »
« وَأَخَافَكَ مَخَافَةَ الْمُوقِنِينَ ، وَأَجْتَمِعَ فِي جِوَارِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ »

وفي هذا المقطع يستمد عبدالله من الله القدرة والعزيمة من أجل الاستمرار في الطاعة والخشية والدوام على انتهاج طريق التكامل الانساني وبلوغ الغاية وهي لقاء الله عز وجل .

وتصل المناجاة مراحل متقدمة بحيث تذوب الأنا بكل جوانبها لتكون في خدمة الرب تبارك وتعالى ؛ فلا يبقى من بشرية الانسان و آدميته إلا ما كان متصلاً بالله وفي طريقه وسبيله .

فكل ما من شأنه أن يعزز قدرة الانسان وقوته سيكون في سبيل الغاية الكبرى وهي الاتصال والقرب من المحبوب .

شروط الافاضة

ان السالكين في طريق الله وإلى الله يدركون تماماً ما عليهم من الشروط لكي

يستمرروا في حركتهم نحو المحبوب .

- ١ - اجتناب معاشرة الفاسقين من الذين لا أمل في عودتهم إلى جادة الصواب واستبدال ذلك بمعاشرة الاتقياء من الناس والعلماء الربانيين .
- ٢ - الحذر الشديد من لقمة الحرام والابتعاد عن الاكل الذي تحوم حوله الشبهات ؛ فلا يأكلون على موائد من لا يعرفون كيف حصلوا على ثرواتهم ومن أي طريق كسبوا أموالهم .
- ٣ - تطهير الباطن من كل الرذائل والعقد النفسانية والتحلي بالأخلاق الحميدة وتشرب الحقائق الالهية .
- ٤ - الاجتناب عن التخمّة والشرّة في الطعام والشراب لما لها من آثار في تحريك الحالات الشيطانية ومنع حالات الالهام والاشراق .
- ٥ - اجتناب كثرة النوم والحذر من الكسل والتكاسل في أداء الواجبات الدينية والافعال العبادية .

آداب المعاشرة

يقول سيدنا محمد ﷺ :

«أَوْحَشُ الْوَحْشَةِ قَرِينُ السُّوءِ»^(١) .

ويقول سيدنا علي عليه السلام :

«إِحْذَرِ مُجَالَسَةَ قَرِينِ السُّوءِ، فَإِنَّهُ يَهْلِكُ مُقَارِنَةً وَيُرْدِي مُصَاحِبَةً»^(٢) .

ويقول الامام الجواد عليه السلام :

١ - بحار الأنوار: ٦٦٦/٧١، باب ١٠، حديث ٣٢ .
٢ - غرر لحكم: ٤٣١، ذم قرين السوء، حديث ٩٨١٦ .

«إِيَّاكَ وَمُضَاحَبَةَ الشَّرِيرِ فَإِنَّهُ كَالسَّيْفِ الْمَسْلُوبِ يَحْسُنُ مَنَظَرُهُ وَيَقْبَحُ أَثَرُهُ»^(١).

ويقول الامام الصادق عليه السلام :

«إِحْذَرِ مِنَ النَّاسِ ثَلَاثَةً: الْخَائِنَ وَالظَّالِمَ وَالنَّمَامَ، لِأَنَّ مَنْ خَانَ لَكَ خَائَكَ، وَمَنْ ظَلَمَ لَكَ سَيَظْلِمُكَ، وَمَنْ نَمَّ إِلَيْكَ سَيَنْتُمُّ عَلَيْكَ»^(٢).

ويقول سيدنا علي عليه السلام :

«صَاحِبِ الْحُكَمَاءِ وَجَالِسِ الْخُلَمَاءِ وَاعْرِضْ عَنِ الدُّنْيَا تَسْكُنَ جَنَّةَ الْمَأْوَى»^(٣).

اللقمة الحرام

يقول سيدنا محمد ﷺ :

«مَنْ أَكَلَ لُقْمَةً مِنْ حَرَامٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»^(٤).

ويقول ﷺ أيضاً :

«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ الْجَنَّةَ جَسَداً غُذِيَ بِحَرَامٍ»^(٥).

وقال ﷺ أيضاً :

«إِذَا وَقَعَتِ اللَّقْمَةُ مِنْ حَرَامٍ فِي جَوْفِ الْعَبْدِ لَعَنَهُ كُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ

١ - بحار الأنوار: ١٩٨/٧١، باب ١٤.

٢ - تحف العقول: ٣١٦.

٣ - غرر الحكم: ٤٣٠، صاحب الحكماء والعلماء، حديث ٩٧٨٩.

٤ - ميزان الحكمة: ١١٢٤/٣، الحرام، حديث ١٣٦٦٠.

٥ - مجموعة الزَّام: ٦١/١، باب العتاب؛ ميزان الحكمة: ١١٢٤/٣، الحرام، حديث ١٣٦٦١.

وَالْأَرْضِ»^(١).

ويقول الامام الباقر عليه السلام:

«إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَصَابَ مَالًا مِنْ حَرَامٍ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ حَجٌّ وَلَا عُمْرَةٌ وَلَا صَلََّةٌ رَجِمَ»^(٢).

الرديلة

ونجد سيدنا زين العابدين يستعيذ من الرذائل البشرية قائلاً:

«اللهم آتني أعوذ بك من هيجان الحرص وسورة الغضب، وغلبة الحسد وضعف الصبر وقلة القناعة ومتابعة الهوى ومخالفة الهدى وسنة الغفلة وتعاطي الكلفة وإيثار الباطل على الحق والاصرار على المآثم واستصغار المعصية واستكبار الطاعة ومباهاة المكثرين والازراء بالمقلتين وسوء الولاية لمن تحت أيدينا وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا أو أن تعضد ظالماً أو نخذل ملهوفاً أو نروم ما ليس لنا بحق أو أن نقول في العلم بغير علم ونعوذ بك أن تنطوي على غش أحد»^(٣).

قيل للنبي صلى الله عليه وآله:

«ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل ولكنها تؤذي جيرانها قال صلى الله عليه وآله: لا خير فيها هي من أهل النار»^(٤).

يقول الامام الصادق عليه السلام:

١ - بحار الأنوار: ١٢/١٠٠، باب ١، حديث ٥٢؛ ميزان الحكمة: ١١٢٤/٣، الحرام، حديث ١٣٦٦٣.
٢ - أمالي الطوسي: ٦٨٠، مجلس ٣٧، حديث ١٤٤٧.
٣ - الصحيفة اسجادية، دعاء.
٤ - الكافي: ٣٢١/٢، باب سوء الحلق، حديث ١.

«إِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ لَيُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يَفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسْلَ»^(١).

التخمة

«مَنْ كَثُرَ طَعْمُهُ سَقَمَ بَطْنُهُ وَقَسَا قَلْبُهُ»^(٢).

«مَنْ كَثُرَ أَكْلُهُ قَلَّتْ صَحَّتُهُ وَثَقُلَتْ عَلَى نَفْسِهِ مَوْنَتُهُ»^(٣).

«كَثْرَةُ الْأَكْلِ مِنَ الشَّرِّ، وَالشَّرُّ شَرُّ الْعُيُوبِ»^(٤).

«لَيْسَ شَيْءٌ أَضَرَ لِقَلْبِ الْمُؤْمِنِ مِنْ كَثْرَةِ الْأَكْلِ، وَهِيَ مُورِثَةٌ لِشَيْنَيْنِ: قَسْوَةِ الْقَلْبِ وَهَيْجَانِ الشَّهْوَةِ»^(٥).

كثرة النوم

جاء في الأثر أن موسى عليه السلام سأل ربه: أي عبادك أبغض إليك؟ قال جيفة بالليل بطل بالنهار^(٦).

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«قالت أم سليمان بن داود لسليمان عليه السلام: اياك وكثرة النوم بالليل تدع الرجل

١ - الكافي: ٣٢١/٢، باب سوء الخلق، حديث ١.

٢ - بحار الأنوار: ٣٣٨/٦٣، باب ٥، حديث ٣٥.

٣ - غرر الحكم: ٣٦٠، الفصل الرابع البطنة وآثارها، حديث ٨١٦٨.

٤ - غرر الحكم: ٣٦١، الفصل الرابع البطنة وآثارها، حديث ٨١٧٨.

٥ - مستدرک الوسائل: ٢١١/١٦، باب ١، حديث ١٩٦٢٧.

٦ - ميزان الحكمة: ١٣، النوم حديث ٢٠٩١٧.

فقيراً يوم القيامة»^(١).

وعن سيدنا علي عليه السلام قال:

«بِئْسَ الْغَرِيمُ النَّوْمُ؛ يُفْنِي قَصِيرَ الْعُمْرِ وَيُفَوِّتُ كَثِيرَ الْأَجْرِ»^(٢).

ان اجتناب معاشرة من لا يرتضي الاسلام معاشرته والابتعاد عن اللقمة الحرام ورذائل الأخلاق واجتناب التخمّة وكثرة النوم يكون أرضية مساعدة على تلقي الفيض الالهي حيث تنشط جوارح الانسان للعبادة وخدمة خلق الله عزوجل وبخاصّة الفقراء الذين هم عيال تبارك وتعالى.

ولذا يسعى الانسان المؤمن إلّا ينظر بعينه إلّا ما أحلّ الله وأن يسدّ اذنيه عن سماع الغيبة والنميمة ويصون لسانه عن قول السوء وأن يعفّ نفسه فلا يرتكب ما حرّم الله عزوجل ولا يكون في مكان يكره الله عزوجل وجوده فيه وإلّا يفتقده الله تبارك وتعالى في المساجد والجوامع والاماكن المباركة.

العبادة الحق

ان من يعبد الله حق عبادته، يطوي المسافات البعيدة في الطريق إلى الله. والعبادة الحق هي التي تندمج بالحب والشوق حيث تشترك كل جوارح الانسان ويندمج الروح بالقلب والعقل بالنفس لتجسّد عبودية الانسان لخالقه وربّه يقول سيدنا محمد ﷺ:

«أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ عَشِقَ الْعِبَادَةَ فَعَانَقَهَا وَأَحَبَّهَا بِقَلْبِهِ وَبَاشَرَهَا بِجَسَدِهِ وَتَفَرَّغَ

١ - ميزان الحكمة: ١٣، النوم حديث ٢٠٩١٥.

٢ - ميزان الحكمة: ١٣/٦٥٥٠، النوم، حديث ٢٠٩٢٤.

لَهَا فَهُوَ لَا يُبَالِي عَلَى مَا أَصْبَحَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى عُسْرِ أَمٍ عَلَى يُسْرٍ»^(١).

«يَقُولُ رَبُّكُمْ: يَا بَنَ آدَمَ، تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمَلًا قَلْبَكَ غِنًى وَأَمَلًا يَدِيكَ رِزْقًا. يَا بَنَ آدَمَ،

لَا تَبَاعِدْ مِنِّي فَأَمَلًا قَلْبَكَ فَقْرًا وَأَمَلًا يَدِيكَ شُغْلًا»^(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله ﷺ انه قال :

«قال الله تعالى له في ليلة المعراج: يا أحمد، ليس شيء من العبادة أحب إلي من

الصمت والصوم، من صام ولم يحفظ لسانه، كان كمن قام ولم يقرأ في صلاته،

فأعطيه أجر القيام ولم أعطه أجر العابدين».

يا أحمد، هل تدري متى يكون العبد عابداً؟

قال: لا يا رب، قال: اذا اجتمع فيه سبع خصال:

ورع يحجزه عن المحارم، وصمت يكفه عما لا يعنيه، وخوف يزداد في كل يوم

من بكائه، وحياء يستحي مني في الخلاء وأكل ما لا بد منه ويبغض الدنيا

لبغضي لها، ويحب الأخيار لحبي لهم»^(٣).

وجاء في الأثر: ان الله تعالى يقول في بعض كتبه :

«يا بن آدم أنا حي لا أموت، اطعني فيما أمرت، حتى أجعلك حياً لا تموت، يا بن

آدم، أنا أقول للشيء كن فيكون، اطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء كن

فيكون»^(٤).

وجاء في الأثر ان أعظم العبادات هي معرفة الله عزوجل والخضوع له

١ - الكافي: ٨٣/٢، باب العبادة، حديث ٣.

٢ - كنز العمال: ٤٣٦١٤؛ ميزان الحكمة: ٣٤١٢/٧، العبادة، حديث ١١٦٠٨.

٣ - مستدرک الوسائل: ١٩/٩، حديث ١٠٠٨٥.

٤ - مستدرک الوسائل: ٢٥٨/١١، حديث ١٢٩٢٨.

والاستمرار في ذكره وتمجيد قدرته، والاكتثار من قول لا اله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، والاخلاص، وعفة النفس والزهد والتفكير والتدبر وإداء الأمانة والصمت والحج والصيام، والدعاء وغيض البصر عن محارم الله والتذلل لله عز وجل في السر والعلن، الكسب الحلال، وحسن الخلق وولاء أهل البيت عليهم السلام.

خدمة الناس واحترام كرامتهم الانسانية

جاء في كثير من الأحاديث الشريفة والاحاديث القدسية ما يؤكد على كرامة المؤمن ما يجعل انتهاك حرمة حراً على الله عز وجل.

جاء في الحديث القدسي عن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عليه السلام قول الله عز وجل:

«مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُخَارَبَةِ»^(١).

وجاء في الحديث النبوي الشريف قول سيدنا محمد صلى الله عليه وآله:

«مَنْ قَضَى لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ حَاجَةً، كَانَ كَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ دَهْرَهُ»^(٢).

ويقول الامام الصادق عليه السلام:

«مَنْ قَضَى لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ حَاجَةً قَضَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِائَةَ أَلْفِ

حَاجَةٍ مِنْ ذَلِكَ أُولُهَا الْجَنَّةُ»^(٣).

وعنه عليه السلام أيضاً:

١ - بحار الأنوار: ١٦/٦٧، باب ٤٣، حديث ٨.

٢ - أمالي الطوسي: ٤٨١، حديث ١٠٥١؛ ميزان الحكمة: ١٣١٨/٣، الحاجة، حديث ٤٤٦١.

٣ - الكافي: ١٩٢/٢، باب قضاء حاجة المؤمن، حديث ١.

«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَمْشِي فِي حَاجَةِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ فَيُوكِّلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مَلَكَيْنِ وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِهِ وَآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ يَسْتَغْفِرَانِ لَهُ رَبَّهُ وَيَدْعُوَانِ لَهُ بِقَضَاءِ حَاجَتِهِ»^(١).

ويقول الامام الصادق عليه السلام راوياً عن آبائه عن جدّه عن الله عزوجل :

«الْخَلْقُ عِيَالِي فَأَحْبُّهُمْ إِلَيَّ الطُّفْهُمُ بِهِمْ، وَأَسْعَاهُمْ فِي حَوَائِجِهِمْ»^(٢).

وفي هذا المقطع من الدعاء نجد التضرع إلى الله عزوجل في طلب الحاجات يأخذ اتجاهات متزايدة في طلب القدرة، من أجل القيام بواجب العبادة لله عزوجل بحيث تكون حياة الانسان خدمة متواصلة لله التي تتجسد أيضاً بخدمة عبادالله أيضاً فتكون لعبادة دائرة واسعة شاملة لكل النشاط الانساني في مجالات الخير والعمل الصالح.

وهكذا نجد خدمة الناس تصبح شكلاً من العبادة والخدمة لله عزوجل؛ ويكون الطريق إلى تحقيق القرب الالهي من خلال تجسد المفهوم الحقيقي للعبادة.

اليقين

يقول فيلسوف الشرق المعاصر المرحوم العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان في تعريف اليقين : بانه العلم الذي لا تشوبه ذرة من الشك^(٣).
فاليقين حالة راقية جداً من الايمان كما لو أن المرء يؤمن بالنهار وهو في

١ - وسائل الشيعة : ٣٥٩/١٦ ، باب استحباب قضاء حاجة المؤمن ، حديث ٢١٧٥٨ .

٢ - الكافي : ١٩٩/٢ ، باب سعى في حاجة المؤمن ، حديث ١٠ .

٣ - الميزان : ١٤٠/١٩ .

رابعة النهار تغمره اشعة الشمس، وكما لو أنه يؤمن بالليل في قب الظلمة فيما السماء مرصعة بالنجوم.

وهناك ثلاثة مستويات من اليقين:

١ - علم اليقين . ٢ - عين اليقين . ٣ - حق اليقين .

ويمكن التفريق بين هذه المستويات من خلال التصوير التالي:

يمكن تشبيه علم اليقين بحالة الايمان بوجود النار من خلال رؤية دخان يتصاعد من وراء جدار حينئذ نؤمن بوجود نار.

أما عين اليقين فهي حالة من العلم أكثر رسوخاً من خلال رؤية السنة النار ذاتها.

فيما حق اليقين فهي حالة علمية أشد عمقاً وذلك عندما يحترق المرء بنفس النار.

يقول سيدنا محمد ﷺ:

«علامة الموقن فسنة: أيقن بالله حقاً فأمن به وأيقن بأن الموت حق فحذره،

وأيقن البعث حق فخاف الفضيحة وأيقن بأن الجنة حق فاشتاق إليها، وأيقن بأن

النار حق فظهر سعيه للنجاة منها، وأيقن بأن الحساب حق فحاسب نفسه»^(١).

ان تحصيل اليقين من خلال القرآن الكريم يكون بالشكل التالي: في البداية يكون التأمل في آيات الوحي وحقانياتها والالتفات إلى هذه الحقيقة وهي أن القرآن يدعو إلى الاتيان بمثله:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾^(٢).

١ - تحف العقول: مواظ النبي رحكمه: ٢٠.

٢ - سورة البقرة: ٢٣.

ويقول في آية أخرى:

﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾^(١).

وبذلك يحصل لدينا اليقين أن القرآن وهو وحي الله عز وجل وكذا في المعارف الواردة عن أهل البيت عليهم السلام التي هي تفسير وتفصيل وتأويل للقرآن الكريم وبالتالي ندخل في زمرة أهل اليقين.

« اَللّٰهُمَّ وَمَنْ اَرَادَنِيْ بِسُوْءٍ فَاَرِذْهُ، وَمَنْ كَادَنِيْ فَكِذْهُ، »
« وَاجْعَلْنِيْ مِنْ اَحْسَنِ عَبِيْدِكَ نَصِيْبًا عِنْدَكَ، وَاَقْرَبِيْهِمْ مَّنْزِلَةً مِنْكَ، »
« وَاَخْصِيْهِمْ زُلْفَةً لَّدَيْكَ، فَاِنَّهُ لَا يَنْتَالُ ذٰلِكَ اِلَّا بِفَضْلِكَ، وَجَذَلِيْ بِجُودِكَ »
« وَاعْطِفْ عَلَيَّ بِمَجْدِكَ، وَاخْفِظْنِيْ بِرَحْمَتِكَ »

الشیطان والاهواء النفسیة ورفاق السوء كل هؤلاء یتآمرون من أجل اغواء الانسان، وقد تصل المؤامرات الشیطانیة التي تجد مساعدة من الاهواء ورفاق السوء حدّاً لا يمكن الخلاص منها إلا بالاستتجاد بالله عزوجل والاستغاثة واللجوء إلیه.

وقد تطرقنا آنفاً إلی إغواء الشیطان ووساوس النفس الأمارة بالسوء ورفیق السوء.

إذا اراد الانسان أن یشعر من عباد الله المقربين علیه أن یتسلّح بالایمان العمیق المقرون بالیقین والاخلاص والقیام بالاعمال الصالحة والتحلّي بالاخلاق الحسنة والتقوی الیس هذا القرآن الکریم یعلن بوضوح:

﴿ اِنْ اَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ اَتْقٰیكُمْ ﴾^(١).

وللتقوی ثلاث مراحل هی:

التقوى العامة، والخاصة والخاص.

فالتقوى العامة تتجسد بالقيام بالواجبات والفرائض والانتها عن المحرمات.

والخاصة: اجتناب المكروهات بل وحتى المباحات إلا في الضرورة.
والخاص: اجتناب كل شيء يشغل القلب عن ذكر الله.

حكاية

جاء في كتب التراث وفي ترجمة الخواجه نظام الملك انه التقى ذات يوماً رجلاً من الاتقياء فقال له: سلني شيئاً فأعطيك فأنت محتاج وأنا غني فقال الرجل التقي: أنا لا أسأل من الله إلا هو لأن الطلب من الله غير الله من تسافل الهمم.
وأنا لا أطلب من الله غير الله فكيف أطلب من غير الله.

فقال الخواجه: إن كنت لا تطلب مني شيئاً فدعني أسألك شيئاً.

فقال الرجل التقي: وما حاجتك؟

قال الخواجه: اذكرني في السعة التي تذكر فيها الله.

فقال الرجل التقي: عند ما يوفقني الله لأن اذكره فاني انسى نفسي فكيف

اذكرك^(١)؟!

يا من له المجد والعظمة والكرم والجود، ويا منيع الحب والرحمة والعفو،
وانظرني برحمتك واغمر وجودي بجودك واعطف علي بمجدك فما لي أحد سواك
ولا اله غيرك.

حكاية

الذين يتخلقون باخلاق الحق ، سلوكهم ينسجم مع أخلاقهم التي هي اشعاع من اخلاق المحبوب .

وقد جاء في حكايات التراث ان لصاً تسوّر منزل « احمد خضروية » فلم يجد شيئاً ذا قيمة يسرقه ؛ فأراد أن يعود ادراجَه خاوي اليدين فنادى عليه : يا سارق لا أرضى ان تخرج خالي اليد ، فخذ دلوّاً من الماء واغتسل به غسل التوبة ثم توضأ وصل صلاة التوبة واستغفر ، فلعلك تحصل على شيء تخرج به .

فلما طلع الصبح اذا بأحد الأعيان يبعث بمئة دينار هدية للشيخ أحمد فقام الشيخ باعطائها إلى اللص وقال : هذا ثوب ليلة عبادة ، فتأثر اللص بشدة وغمرته حالة من التوبة والاستغفار جعلته يعود إلى الله ويتوب ممّا كان يفعل واصبح رجلاً صالحاً .

« وَأَجْعَلْ لِسَانِي بِذِكْرِكَ لَهْجًا ، وَقَلْبِي بِحُبِّكَ مُتِّيمًا ، »
« وَمَنْ عَلَىٰ بِحُسْنِ إِجَابَتِكَ ، وَأَقْلَنِي عَشْرَتِي ، وَاغْفِرْ زَلَّتِي ، فَإِنَّكَ قَضَيْتَ عَلَيَّ »
« عِبَادَكَ بِعِبَادَتِكَ ، وَأَمَرْتَهُمْ بِدُعَائِكَ ، وَضَمِنْتَ لَهُمُ الْإِجَابَةَ ، فَإِلَيْكَ يَا رَبِّ »
« نَصَبْتُ وَجْهِي ، وَإِلَيْكَ يَا رَبِّ مَدَدْتُ يَدِي ، فَبِعِزَّتِكَ أَسْتَجِبْ لِي دُعَائِي ، »
« وَبَلِّغْنِي مَنَآيَ ، وَلَا تَقْطَعْ مِنْ فَضْلِكَ رَجَائِي ، »
« وَاكْفِنِي شَرَّ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مِنْ أَعْدَائِي ، »

اللسان

من نعم الله عز وجل على عباده أن منح الانسان نعمة اللسان ينطق به ويعبر عما يموج في اعماقه من خلاله ويرتبط بابناء نوعه بوسيلة اللغة فلو لا اللسان ما كانت لغة ولا كان تفاهم بين بني الانسان .
ومع ذلك يبقى اللسان سلاحاً ذا حدين ، وصدق من قال «اللسان جرمه صغير وجُرمه كبير» وقد عدّ الفيلسوف العارف محسن الفيض الكاشاني عشرين اثمًا يرتكب بوسيلة اللسان منها : الغيبة ، البهتان ، النميمة ، السخرية من الآخرين ، بث الشائعات ، الكذب ، الفحش ، والشتائم ، والسب .. الخ^(١) .

أما القرآن الكريم فلم يسمح باستخدام اللسان إلا في موارد عشرة:

- ١ - القول الحسن^(١) الحديث الحسن .
- ٢ - القول الأحسن^(٢) دعوة الناس إلى الله .
- ٣ - القول العدل^(٣) في الشهادة للحق .
- ٤ - قول الصدق^(٤) في ذكر الخبر .
- ٥ - القول الكريم^(٥) في التخاطب مع الوالدين .
- ٦ - القول اللين^(٦) في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- ٧ - قول الايمان^(٧) الاقرار بتوحيد الله ورسالة النبي ﷺ .
- ٨ - القول السديد^(٨) في قول الصواب في كل الظروف .
- ٩ - قول المعروف^(٩) في التعامل مع اليتامى .
- ١٠ - القول البليغ^(١٠) في الموعظة والنصح والاستدلال .

ويمكن للمرء من خلال هذه الأنواع ان يلج تجارة لا يعرف ارباحها إلا الله عزوجل ، ويحتاج كل نوع من هذه الانواع العشرة في شرحه إلى كتاب مستقل . ونشير هنا إلى ثواب القول الأحسن والذي يعني الدعوة إلى الله عزوجل

-
- ١ - سورة البقرة: ١٣ .
 - ٢ - سورة فصلت: ٣٣ .
 - ٣ - سورة الانعام: ١٥٢ .
 - ٤ - سورة الشعراء: ٨٤ .
 - ٥ - سورة الاسراء: ٢٣ .
 - ٦ - سورة طه: ٤٣ .
 - ٧ - سورة البقرة: ١٣٦ .
 - ٨ - سورة النساء: ٩ .
 - ٩ - سورة النساء: ٥ .
 - ١٠ - سورة النساء: ٦٣ .

وهداية الناس .

يقول سيدنا محمد ﷺ : يوصي علياً لما بعثه إلى اليمن وقد أوصاه إلا يحارب أحداً حتى يدعوه إلى الحق :

«وَأَيْنُمُ اللَّهُ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ»^(١).

الصلاة ذكر الله ، وتلاوة القرآن ذكر لله والادعية الواردة عن أهل البيت عليه السلام هي ذكر الله . وكل ما وافق الموارد العشرة الآتفة هي ذكر لله ؛ ويبقى كل حديث وكل قول يدعو الناس إلى الهداية أرفع ذكر وأكثره ثواباً .

حكاية

يروى ثقة الاسلام الكليني رحمه الله في كتابه «روضة الكافي» عن الامام الصادق عليه السلام ان عابداً قصم ظهر ابليس بكثرة عبادته ، فدعا ابليس شياطينه وسألهم أيهم يستطيع أن يغوي العابد ويصرفه عن العبادة ؟ فراح كل شيطان يعرض مكره وحيلته فيردّها عليه ابليس حتى قال أحدهم : سأمكر به من صلاته فاستحسن ابليس حيلته .

فجاء الشيطان إلى صومعة العابد ونشط في الصلاة راكعاً وساجداً حتى لم يجد العابد فرصة يسأله عن سبب نشاطه في العبادة ؟ وظل العابد ينتظر حتى وجد فرصة لذلك ؛ فسأله عن علّة نشاطه وكثرة عبادته فقال : ارتكبت ذنباً وندمت ولذلك نشطت في العبادة ولا افتر عنها .

فقال العابد في نفسه من دون روية ولا فكر ماذا لوجاء الموت وهو في

١ - الكافي : ٢٨/٥ ، باب وصية رسول الله ﷺ ، حديث ٤ .

معصية؟ فاستنصحه فقال له الشيطان: أرى أن تزني بامرأة فاجرة مشهورة بالفجور.

فأسرع العابد إلى تلك المرأة ولما رأت المرأة وجه العابد وفي سيماء آثار الصلاح والعبادة أدركت أنه مخدوع فقالت له: ايها العابد ان المرء لا يصل إلى مقام السعادة والقرب بالذنوب وما احسب ان من نصحك إلا ضال مضلّ يريد أن يغويك. فالمعصية تهوي بالانسان ولا تسمو به. فارجع ايها العابد إلى صومعتك ولن تجد الذي نصحك بالمعصية، فلما عاد العابد إلى صومعته لم يجده؛ فأدرك أنه لم يكن سوى الشيطان.

وفرح العابد لأن الله عصمه من الاثم بوسيلة تلك المرأة وشاء الله أن يقبض تلك المرأة في تلك الليلة وأوحى الله إلى نبيه في ذلك الزمان ان يخرج الناس لتجهيز المرأة وحضور جنازتها لأن الله غفر لها ذنوبها وادخلها في رحمته لهدايتها أحد عباده.

اجابة الدعاء

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ ﴾^(١).

﴿ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾^(٢).

ولكن يجب الالتفات إلى هذه الحقيقة وهي أن اجابة الدعاء لا تتم مع كل دعاء اذ تتوقف على شروط تتعلق بالداعي والدعاء.

فمثلاً يطلب أحدهم ويسأله أن يمنحه أكبر ثروة في العالم وأن يطيل عمره

١ - سورة البقرة: ١٨٦.

٢ - سورة غافر: ٦٠.

إلى يوم القيامة وأن يمنحه جمالاً كحسن يوسف ويكون صوته أكثر سحراً من صوت داود ويكون شجاعاً مقداماً كعلي، وإن يكون له نفوذ في كل مكان فيضّر وينفع حيثما يريد وأينما يشاء.

مثل هذه الدعوات تفتقر إلى الشروط الصحية. العارفون بالحقائق والعاشقون والصادقون الذين تدرجوا في سلم الكمال هم من تنطبق عليهم شروط الداعي ولذا تجد دعواتهم تنطلق من مصالح دنيوية وأخروية مليئة بالخير للجميع، وهم إذا دعوا الله وسألوا ولم يروا اجابة فإنهم يصبرون لأنهم واثقون من أن الله سبحانه يريد لهم الخير على كل حال فهم يشكرونه على الدوام.

جاء في الأثر: إن الدعاء سلاح الأنبياء وإن الدعاء يردّ القضاء المبرم ويدفع أنواع البلاء والدعاء سبب في شفاء أمراض مستعصية.

وتبين الرويات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام أن شروط الداعي والدعاء التي تحقق الاجابة هي: الاخلاص في الدعاء والثقة بأن الله قادر على كل شيء، واداء الواجبات والقلب السليم ولسان صدق، واللقمة الحلال وأداء حقوق الناس، وحضور القلب أثناء الدعاء ورقته وافتتاح الدعاء ببسم الله الرحمن الرحيم والصلاة على محمد وآل محمد؛ والاعتراف بالذنوب والتضرّع والتوسل وتعفير الوجه بالارض وأداء ركعتين من الصلاة والايمان باستجابة الدعاء والدعاء للغير قبل الذات واجتناب السؤال والطلب في أمور غير مناسبة والدعاء جماعات والدعاء في الخفاء والخلوة والأمل بالاجابة.

حكاية

عن جابر الجعفي يرفعه قال: قال رسول الله ﷺ: خرج ثلاثة نفر يسبحون في الأرض، فبينما هم يعبدون الله في كهف في قلة جبل حتى بدت صخرة من

أعلى الجبل حتى التفتت باب الكهف. فقال بعضهم لبعض: عباد الله والله ما ينجيكم ممّا وقعتم إلّا أن تصدقوا الله، وقلتم ما عملتم لله خالصاً فأنما أسلمتم بالذنوب، فقال أحدهم: اللهم إن كنت تعلم اني طلبت امرأة لحسنها جمالها فأعطيت مالا ضخمًا، حتى اذا قدرت عليها وجلست منها مجلس الرجل من المرأة وذكرت النار، ففقت منها فرقاً منك اللهم فارفع عنا هذه الصخرة فانصدعت حتى نظروا إلى الصدع.

ثم قال الآخر: اللهم ان كنت تعلم اني استأجرت قوماً يحرقون كل رجل منهم بنصف درهم، فلما فرغوا أعطيتهم اجورهم فقال: أحدهم قد عملت عمل اثنين والله لا آخذ إلّا درهماً أحداً وترك ماله عندي، فبذرت بذلك النصف الدرهم في الأرض فأخرج الله من ذلك رزقاً وجاء صاحب النصف درهم فأراد فدفعت إليه ثمن عشرة آلاف، فان كنت تعلم إنما فعلته مخافة منك فارفع عنا هذه الصخرة، قال: فانفجرت منهم حتى نظر بعضهم إلى بعض ثم ان الآخر قال: اللهم ان كنت تعلم ان أبي وأمي كانا نائمين فأتيتهما بقعب من لبن (قدح كبير) فخفت أن أضعه أن تمجّ فيه هامة (حشرة)، وكرهت أن أوقظهما من نومهما، فيشق ذلك عليهما فلم أزل كذلك حتى استيقظا وشربا، اللهم فان كنت تعلم اني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فارفع عنا هذه الصخرة فانفجرت لهم حتى سهل طريقهم.

ثم قال النبي ﷺ: من صدق الله نجا»^(١).

حكاية أخرى

جاء في الأثر ان بني اسرائيل ابتلوا بالقحط سبع سنين فخرج منهم سبعون

ألف إلى الفلاة يستسقون؛ فلعل الله يمطرهم ببركة الدعاء فجاء النداء يا موسى أخبرهم كيف يستجاب لكم وأنتم تعصون في الخفاء وقد خبث سرّكم تدعونني ولا تتيقنون الاجابة وقد أمنتكم غضبي وانتقامي، فانطلق إلى عبدي بُرخ يدعو لكم.

وأسرع موسى إلى برخ فم يجدّه، فرأى ذات يوم فتى اسود على جبهته آثار السجود وقد القى في عنقه شيئاً فظن انه هو فسلم عليه وسأله عن اسمه فقال: انا برخ فقال موسى ﷺ كنت ابحت عنك من مدّة فادعوا لنا الله يمطرنا. فانطلق إلى الفلاة وراح يناجي الله عزوجل قائلاً: ليس من شأنك يا رب أن تحبس عن عبادك المطر، ولا من صفاتك البخل هل نقص لطفك يا الهي أو تمرّدت الريح على أمرك نفدت خزائنك أو اشتد غضبك على المذنبين أو لم تكن غفاراً قبل خلق الخاطئين؟

فلم يبرح من مكانه حتى انهمر المطر^(١).

وحكاية أخرى

كان سعيد بن المسيب من ابرز فقهاء المدينة وقد اثنى عليه الامام السجاد ﷺ. وكانت له بنت حسناء فأرسل عبدالملك بن مروان من يخطبها له، فامتنع وقال اننا لا نزوّج بناتنا للملوك.

وكان أحد تلامذته غاب عنه مدّة فلمّا حضر سأله عن علّة غيابه فقال: رحم الله زوجتي كنت مشغولاً بتجهيزها فقال سعيد: أفلا تتزوج قال: ومن أين لي ذلك وليس عندي درهمان قال: أفلا تخطب ابنتي؟ قال: معلّمي يعرف ذلك؛ فعقد له

على ابنته.

يقول تلميذه ان سعيد لم يطرق باب أحد اربعين سنة فجاءني مساءً وطرق الباب فخرجت إليه ورأيت ابنته معه فأدخلها المنزل وانصرف.
قلت لابنته: ما عندك؟

قالت: احفظ القرآن قال: ومهرك: قالت حديث واحد؟
قلت: «جهاد المرأة حسن التبعل»^(١).

هذا سعيد في شأنه ومنزلته وتقواه واخلاصه يروي هذه الحكاية: ضرب القحط المدينة ومنعت السماء غيثها وانطلق الناس إلى ظاهر المدينة يصلون ويدعون ان يسقيهم الله المطر وذهبت معهم ولم أجد بينهم من إذا سأل الله اجابة؛ فرأيت غلاماً أسود قد انتحى إلى ربوة وقد غفر جبهته على الأرض يدعو الله وما اسرع أن مطرت السماء، فتبعته عن بعد حتى رأيته يدخل بيت زين الدين العابدين فاستوهبته الغلام منه، فأمر السجّاد بجمع غلمانه فنظرت إليهم ولم أره بينهم؛ قلت يا مولاي ليس فيهم من ابغي، فقليل بقي غلام واحد وهو غلام الاصطبل فأمر باحضاره فجاء فإذا هو نفس الغلام الذي رأيته عند الربوة فقال الامام السجاد: يا غلام قد وهبتك لسعيد.

فبكى الغلام وقال: يا سعيد لا تفرّق بيني وبين مولاي زين العابدين، فلما رأيته يبكي تركته وخرجت من بيت السجاد. ولما ادرك الغلام ان سرّه قد فشا سجد سجدة طويلة وسأل الله عزوجل ان يقبضه إليه، وفاضت روحه في سجدته ولم اشعر إلا وطارق يطرق الباب ان احضر تشييع الجنازة.

وحكاية أخرى

جاء في تهذيب الاحكام: ان امرأة كانت تطوف وخلفها رجل فأخرجت ذراعها فمال الرجل بيده حتى وضعها على ذراعها فاثبت الله يده في ذراعها حتى قطع الطواف وأرسل إلى الأمير واجتمع الناس وأرسل إلى الفقهاء فجعلوا يقولون: اقطع يده فهو الذي جنى الجناية! فقال: أحد من ولد رسول الله؟ فقالوا: نعم! الحسين بن علي قدم الليلة، فأرسل إليه فدعاه فقال: انظر ما لقي ذان، فاستقبل الكعبة ورفع يديه فمكث طويلاً يدعو ثم جاء اليهما حتى تخلصت يده من يدها فقال الأمير: ألا نعاقه بما صنع؟ قال: لا^(١).

وحكاية أخرى

جاء في كتب لترات: انه في أيام حكم عبدالله بن طاهر بن الحسين ان بعض طرق القوافل اصبحت غير آمنة، فأوكل الامير حراستها إلى عدة من حرسه، فأخذوا عشرة من اللصوص إلى مكة المكرمة.

ففرّ أحدهم في منتصف الليل فخاف قائد الحرس أن يظن الأمير ابن طاهر انه قد رشاه له بالفرار فأخذوا حلاًجاً بريئاً وجدوه في الطريق يسافر من مدينة إلى أخرى حتى يحافظ على نفس العدو هو العشرة فأمر الأمير بوضعهم في السجن.

و ذات ليلة جاء الحراس وأخذوا اثنين منهم للاعدام أمام الملاء في المدينة.

فقال الحلاج: أولادي يظنون أنني أعمل في المدينة ولا يدرون ان قد أخذني ظالم بلا ذنب وجعلني مع اللصوص في السجن.

فقام إلى الصلاة في تلك الليلة وصلى ركعتين في جوف الليل ثم سجد سجدة طويلة وراح يدعو ويتضرع إلى الله أن ينجيه ممّا هو فيه .

وفي تلك الليلة رأى الأمير انه يسقط عن سريره اربع مرّات فهبّ من نومه وتوضأ وصلى ركعتين وعاد إلى فراشه فرأى في المنام أربع أفاعي سوداء تهجم عليه وتقلب سريره فاستيقظ من النوم مذعوراً ونادى على حرّاسه ليأتوا بفانوس وقال : لا بدّ وأن مظلوماً في السجن يدعو عليّ، وراح الحرس يبحثون بين المساجدين فرأوا الحلاج على حال عجيبة فجاءوا به إلى الأمير .

ولما اتضح لديه ما فعلوا بالحلاج امر له بعشرة آلاف دينار وقال له : اسألك ثلاثاً؛ أن تجعلني في حل وأن تقبل مني هذه الهدية ، وأن تأتيني كلما عرضت لك حاجة .

فقال الحلاج : أقبل منك اثنين اجعلك في حل واقبل الهدية أما الثالثة فلا وكيف ادع من قلب سريرك من أجلي واطلقني واسأل مخلوقاً ضعيفاً .
اللهم انا نسألك المغفرة فتجاوز عن ذنوبنا وكفرّ عنا سيئاتنا اللهم واجعلنا من أحسن عبدك نصيباً عندك يا كريم .

جاء في الأثر أن سيدنا محمد حضر رجلاً يموت فقال له كيف تجد نفسك : قال : أخشى ذنوبي وارجو رحمة ربي . فقال ﷺ :
ما جمع قلب هذين إلّا اراد به الله عز وجل خيراً ، آمنه ممّا يخاف وأمله ما يرجو .

اللهم انا برجو رحمتك ، وأنت الرحمن الرحيم كتبت على نفسك الرحمة وقلت في كتابك المنزل على نبيّك المرسل اني انا الغفار الرحيم والعفو الشكور والكريم الرحمن ذو الفضل ؛ اللهم نسألك بكل كلمة من كلمات دعاء وليّك علي بن أبي طالب .. اللهم وإنا واثقون بأن من يرجو رحمتك لا يخرج من بابك خائباً

لأنك يا الهنا كريم واکرم الاکرمين .

اللهم وقد غفرت للحرّ الرياحي مع ما أتى به من الذنب العظيم وغفرت لآسية امرأة فرعون بعد ما آمنت بك وقبلت توبة الفضيل بن عياض وتجاوزت عن ذنوب الملايين من البشر كل ذلك بفضلك ورحمتك وأنت قلت في كتابك العزيز:

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَنَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

مطر الرحمة

عن الامام الصادق عليه السلام عن أبيه عن جدّه عليه السلام قال :

«قال جاء أهل الكوفة إلى علي فشكوا إليه امساك المطر، وقالوا له: استسق لنا فقال للحسين عليه السلام: قم واستسق؛ فقام وحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وقال: اللهم معطي الخيرات ومنزل البركات، ارسل السماء علينا مدراراً، واسقنا غيثاً مغزراً، واسعاً غدقاً مجللاً سخاً سفوحاً ثجاجاً تنفّس به الضّعف من عبادك وتحيي به الميت من بلادك آمين رب العالمين»^(٢).

اللهم وقد أمطرت عبادك رحمة منك فأمطر علينا من بركاتك مطراً تغسل به ذنوبنا وتمحو به خطايانا فنلقاك حين نلقاك راضياً عنا يا أرحم الراحمين .

حكاية

مرّ شاب في زفاق فرأى طيراً على شجرة فأطلق سهماً فأصاب قلب ابن

١ - سورة يوسف: ٨٧.

٢ - بحار الأنوار: ١٨٧/٤٤، باب ٢٥، حديث ١٦.

صاحب البستان فمات ، فقبضوا على ناس في ذلك الزقاق ، فجاء الشاب وقال أنا أعرف من فعل ذلك فجاء أبو الصبي وقال : من فعل ذلك ؟ قال الشاب : ان الذي فعل ذلك رأى صيداً على شجرة فأطلق سهماً من سهامه فاصاب الصبي وأنا من فعل ذلك ، وقد أقررت فاعف عني !

قال ابو الصبي : لم أقررت على نفسك ؟

قال الشاب : رجاء لكرمك .

قال أبو الصبي : عفوت عنك ^(١) .

اللهم وهذا عبد من عبيدك عفا عن ذنب من أذنب بحقه وأقرّ على نفسه ،

ونحن عبيدك المذنبون أقررنا على أنفسنا بخطايانا وذنوبنا فاعف عنا يا كريم !

« يَا سَرِيعَ الرِّضَا، اغْفِرْ لِمَنْ لَا يَمْلِكُ إِلَّا الدُّعَاءُ، فَإِنَّكَ فَعَالٌ لِمَا تَشَاءُ، »
« يَا مَنْ أَسْمُهُ دَوَاءٌ، وَذِكْرُهُ شِفَاءٌ، وَطَاعَتُهُ غِنَى، إِزْحَمِ مَنْ رَأْسُ مَالِهِ الرَّجَاءُ، »
« وَسِلَاحُهُ الْبُكَاءُ، يَا سَابِغَ النِّعَمِ، يَا دَافِعَ النِّقَمِ، يَا نَوْرَ الْمُسْتَوْحِشِينَ فِي الظُّلَمِ، »
« يَا غَالِمًا لَا يَعْلَمُ، صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَفْعَلَ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ، وَصَلَّى اللَّهُ »
« عَلَى رَسُولِهِ وَالْأَئِمَّةِ الْمَيَامِينِ مِنْ آلِهِ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا »

بهذه الكلمات المؤثرة يصل الدعاء إلى نهايته فنجد تسليماً كاملاً من العبد
لربه وأنه ليس للانسان شيء إلا الدعاء فكل شيء بيد الله. وأنه عزوجل سريع
الرضا وأنه مصدر الخير المطلق فاسمه دواء وذكره شفاء وأنه ليس لعبده من رأس
مال إلا الأمل والرجاء ولا يملك سلاحاً إلا كلمات الدعاء وإن الله عزوجل هو
النور الذي يضيء القلوب ويسطع في السماوات والأرض وأنه انيس
لمستوحشين في الظلمات.

ويبقى الدعاء أهم ما يستطيع الانسان أن يقدمه من اجل الخلاص ومن أجل
اقامة علاقة قوية مع الرب تبارك وتعالى تقوده إلى التكامل المنشود.

وما على الانسان إلا ان ينتبه وأن يصحو من غفلته لينظر إلى وجه الله وأن الله
عزوجل هو الرحمة المطلقة؛ يغفر ذنوب عباده ويمحو السيئات وإن الانسان متى
قرر العودة إلى الله وجد أبواب المغفرة والتوبة والقبول مفتوحة ووجد الله تواباً
غفوراً.

وما أجمل ما قاله سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام :

وَقَدْثُ عَلَى الْكَرِيمِ بِغَيْرِ زَادٍ مِنْ الْحَسَنَاتِ وَالْقَلْبِ السَّلِيمِ

وَحَمْلُ الزَّادِ أَقْبَحُ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا كَانَ الْوُقُودُ عَلَى الْكَرِيمِ ^(١)

اللهم انا نتوسل إليك باسمائك الحسنی أن تغفر لنا وتتجاوز عن خطايانا اللهم وأنت قلت وقولك الحق :

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ ^(٢).

اللهم فانا نهتف بك وننادي :

يا الله ! يا رحمن ! يا رحيم ! يا رب !

اللهم وإن كانت أسماؤك هم عبادك الكاملون الذين بلغوا مراتب العصمة حتى خلت قلوبهم من كل شيء إلا منك فانا نقسم عليك بأوليائك المعصومين أن تصفح عنا وتقبلنا وترزقنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وأن تنجيننا من النار يا رب !

اللهم ونسألك باسمك العظيم الاعظم ونقسم عليكم بحجتك ووليّك والمهديّ .

«وَهُوَ الَّذِي يَبْقَاهُ بِقَيِّتِ الدُّنْيَا، وَيُيَمِّنُهُ زَرْقَ الْوَرَى وَيُجْوِدُهُ ثَبَّتِ الْأَرْضُ

وَالسَّمَاءُ».

أن تجعل أمورنا إلى خير وتحسن عاقبتنا.

١ - انيس الليل . ٥٣٠ .

٢ - سورة الأعراف : ١٨٠ .

حكاية

جاء في كتب التراث ان سيدنا ابراهيم الخليل كان يرعى أغنامه في التلال فظن جمع الملائكة ان حبّ ابراهيم لله ربّما بسبب ما أعطاه من الثروة فأمر الله أمينه جبرائيل أن ينادي فوق التلال: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ! ولمّا سمع ابراهيم النداء يمجّد اسم المحبوب ذهل عن نفسه وانطلق وراء النداء وصعد التل فلم يجد أحداً فصاح: يا منادي باسم الحبيب ناد باسمه اعطيك نصف غنمي، فجاء نداء جبريل: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ». فهام ابراهيم ولهاً ونادى: يا منادي ناد باسم الحبيب اهبك جميع الغنم. فنادى جبريل.

وحينئذ تأوّه ابراهيم ماذا بقي عندي فأعطيك إلا أن اكون مملوكاً لك! فيا من اسمه دواء وذكره شفاء وطاعته ثروة وغنى ارحم من رأس ماله الرجاء وسلاحه النوح والبكاء.

يا الله! يا رب! يا كريم! يا حبيب! يا أنيس! يا مؤنس! يا اكرم الاكرمين! يا ارحم الراحمين! يا سابع النعم! يا دافع النقم! يا نور المستوحشين في الظلم! يا عالماً لم يعلم! صل على محمد وآل محمد.

النهاية

المحتويات

كلمة الناشر.....	٥
قبس من حيات المؤلف.....	٧
كلمة المؤلف.....	١٣
نظرة إلى الدعاء.....	١٥
الدعاء في القرآن الكريم.....	١٥
الدعاء في الروايات.....	١٩
قيمة الدعاء عند ما يكون اجتماعياً.....	٢٢
لا يأس مع الايمان.....	٢٣
شروط الدعاء.....	٢٥
ليلة الجمعة.....	٢٦
كميل بن زياد النخعي.....	٢٧
دعاء كميل.....	٢٩
نص الدعاء.....	٣١
«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».....	٣١
اسم الله.....	٣٢
«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ».....	٣٩
عالم الوجود.....	٤٢
الانسان أشرف ضيوف العالم.....	٤٦
مراحل تبلور حياة الانسان.....	٤٧
المرحلة الاولى : التراب.....	٤٧

٤٨	المرحلة الثانية : الماء
٤٩	المرحلة الثالثة : العلق
٤٩	المرحلة الرابعة : الماء المهيمن
٤٩	المرحلة الخامسة : الامشاج
٥٠	المرحلة السادسة : الجنين
٥٠	المرحلة السابعة : الظلمات الثلاث
٥٠	المرحلة الثامنة : ولوج الروح
٥٠	المرحلة التاسعة : الميلاد
٥٠	عرس الحية
٥٥	ظاهرة غريبة في آليات المناعة الحيوية
٥٦	أطوار التخلق الانساني
٦٦	تجليات مدهشة من رحمة الله الواسعة
٦٨	الجهاز التنفسي
٦٩	الجلد
٧٠	المنظومة الدفاعية
٧١	النباتات وفوائدها المدهشة
٧٢	دور الحشرات والحيوانات في الحياة
٧٤	الهداية نعمة كبرى
٧٥	رحمة الله
٧٧	دعوات مستجابة
٧٩	الورود على رب كريم
٧٩	توبة بعد توبة
٨٠	يا من يجيب دعوة الحائرين
٨١	« وَيَقُوتِكَ الَّتِي فَهَرَّتْ بِهَا كُلُّ شَيْءٍ »
٨٢	« وَخَضَعَ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ وَذَلَّ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ »
٨٤	« وَجَبَرْتُكَ الَّتِي غَلَبَتْ بِهَا كُلُّ شَيْءٍ »

٨٤	الله الرحيم يجبر النقص
٨٥	المدّ والجزر
٨٦	تعويض النقص في بذور الفاكهة
٨٨	«وَبِعِزَّتِكَ الَّتِي لَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ»
٨٩	«وَبِعَظَمَتِكَ الَّتِي مَلَأَتْ كُلَّ شَيْءٍ»
٨٩	الفعل يدل على الفاعل
٩٠	عوالم عديدة
٩٠	القناديل المعلقة
٩١	الشموس لا يمكن احصاؤها
٩٤	«وَبِسُلْطَانِكَ الَّذِي عَلَا كُلَّ شَيْءٍ»
٩٦	«وَبَوَجهُكَ الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ كُلِّ شَيْءٍ»
٩٧	«وَبِأَسْمَائِكَ الَّتِي مَلَأَتْ أَرْكَانَ كُلِّ شَيْءٍ»
٩٩	«وَبِعِلْمِكَ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ»
١٠١	«وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَضَاءَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ»
١٠١	معنى النور
١٠٣	«يَا نُورُ يَا قُدُّوسُ يَا أَوَّلَ الْأَوَّلِينَ يَا آخِرَ الْآخِرِينَ»
١٠٥	«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَهْتِكُ الْعِصَمَ»
١٠٥	الذنوب
١٠٦	حكاية من التاريخ
١٠٨	آثار الذنوب
١١١	الحجاب
١١١	شرب الخمر
١١٣	القمار
١١٣	اللهو والتهريج
١١٤	تسقط عيوب الناس
١١٥	مجالسة أهل المعاصي

- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُنَزِّلُ النَّعَمَ» ١١٨
- ذنوب تنزل العقوبة..... ١١٨
- البغي..... ١١٨
- العدوان على حقوق الناس..... ١١٩
- السخرية من عباد الله..... ١٢٠
- نقض العهد..... ١٢١
- الاعلان بالمعاصي..... ١٢٢
- حكاية امرأة مؤمنة..... ١٢٣
- شيع الكذب..... ١٢٤
- الحكم بغير ما أنزل الله..... ١٢٨
- الامتناع عن دفع الزكاة..... ١٢٩
- التطفيف في الميزان..... ١٣٠
- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تُغَيِّرُ النَّعَمَ» ١٣٢
- ذنوب تغير النعم..... ١٣٢
- ظلم الناس..... ١٣٢
- فقدان ارادة الخير..... ١٣٣
- نبذ الاحسان..... ١٣٣
- كفران النعمة..... ١٣٤
- ترك الشكر..... ١٣٤
- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتِي تَحْبِسُ الدُّعَاءَ» ١٣٦
- ذنوب تمنع استجابة الدعاء..... ١٣٦
- سوء النية..... ١٣٦
- الانطواء على صفات قبيحة..... ١٣٧
- سوء الظن..... ١٣٨
- الحقد..... ١٣٩
- العجب..... ١٤٠

١٤١	الرياء.....
١٤٣	الكبر.....
١٤٤	الغرور.....
١٤٦	البخل.....
١٤٨	الحرص.....
١٥٠	الطمع.....
١٥١	الحسد.....
١٥١	تولي أعداء الله.....
١٥٢	ذوالوجهين والنفاق.....
١٥٣	عدم التيقن باجابة الدعاء.....
١٥٣	التأخر في أداء فريضة الصلاة.....
١٥٥	ترك الصدقة والاحسان.....
١٥٥	حكاية عابد.....
١٥٦	الفحش والبذاءة.....
١٥٨	« اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيْ الذُّنُوْبَ الَّتِي تُنْزِلُ الْبَلَاءَ ».....
١٥٨	ذنوب تنزل البلاء.....
١٥٨	عدم اغاثة المكروبين والملهوفين.....
١٥٩	خذلان المظلوم.....
١٦٠	ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....
١٦٢	« اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيْ كُلَّ ذَنْبٍ اَدْبَيْتُهُ وَكُلَّ خَطِيئَةٍ اَخْطَاْتُهَا ».....
١٦٣	« اَللّٰهُمَّ اِنِّيْ اَتَقَرَّبُ اِلَيْكَ بِذِكْرِكَ ».....
١٦٣	خرائب الهجران.....
١٦٤	أرض الوصال.....
١٦٤	الذكر.....
١٦٥	الذكر القلبي.....
١٦٦	القرآن الكريم.....

- ١٦٧ النبي ﷺ وأهل بيته ﺍﻟﻤﺒﯿﻨﯿﻦ
- ١٧٠ « وَأَسْتَشْفِعُ بِكَ إِلَيَّ نَفْسِكَ »
- ١٧٠ معنى الشفاعة
- ١٧١ شروط الشفاعة
- ١٧٢ الشفعاء في الدنيا والآخرة
- ١٧٢ شفاعة الايمان
- ١٧٢ شفاعة العمل الصالح
- ١٧٣ شفاعة التوبة
- ١٧٣ شفاعة القرآن
- ١٧٤ « وَأَسْأَلُكَ بِجُودِكَ أَنْ تُدْنِيَنِي مِنْ قُرْبِكَ ... »
- ١٧٦ مقام القرب
- ١٧٨ كرامات مقربين
- ١٧٨ ١ - كرامة للحاج السيد عبي القاضي
- ١٧٩ ٢ - حكاية أخرى
- ١٨٠ ٣ - كرامتان لحابر الجعفي
- ١٨١ مقام الشكر
- ١٨٣ مقام الذكر
- ١٨٥ « اَللّٰهُمَّ اِنِّيْ اَسْأَلُكَ سُوَالَ خَاضِعٍ مُّتَذَلِّلٍ خَاشِعٍ ... »
- ١٨٦ ١ - الشعور بالأخوة
- ١٩٠ ٢ - الرحمة والرفقة
- ١٩٣ ٣ - القناعة والرضا بما رزقه الله
- ١٩٩ ٤ - التواضع في جميع الاحوال
- ٢٠٠ القرآن والتواضع
- ٢٠١ التواضع في الروايات
- ٢٠٢ تواضع رسول الله ﷺ
- ٢٠٢ تواضع أمير المؤمنين عليه السلام

- ٢٠٣ تواضع سليمان النبي ﷺ
- ٢٠٤ «اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ سُؤَالَ مَنْ أَشَدَّتْ فَاقَتُهُ»
- ٢٠٤ المالك الحقيقي الله
- ٢٠٧ «رَأْتُنِي بِكَ عِنْدَ الشَّدَائِدِ حَاجَتُهُ»
- ٢٠٩ «وَعَظُمَ فِيمَا عِنْدَكَ رَغْبَتُهُ»
- ٢٠٩ ثواب الأعمال
- ٢١٣ الجنة
- ٢١٥ رحمة الله
- ٢١٦ عفو الله عز وجل
- ٢١٨ «اللَّهُمَّ عَظُمَ سُلْطَانُكَ»
- ٢١٩ «وَعَلَا مَكَانُكَ»
- ٢٢٠ «وَخَفِيَ مَكْرُكَ»
- ٢٢١ «وَظَهَرَ أَمْرُكَ»
- ٢٢١ «وَغَلَبَ قَهْرُكَ»
- ٢٢٢ «وَلَا يُمَكِّنُ الْفِرَارُ مِنْ حُكُومَتِكَ»
- ٢٢٣ «اللَّهُمَّ لَا أَجِدُ لِذُنُوبِي غَافِرًا، وَلَا لِقَبَائِحِي سَاتِرًا...»
- ٢٢٣ غفران الذنوب
- ٢٢٥ ستار العيوب
- ٢٢٥ تحول السيئات إلى حسنات
- ٢٢٨ «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَيَحْمَدُكَ»
- ٢٢٩ ثمن الجنة
- ٢٣١ التسبيح والحمد
- ٢٣٣ «ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَتَجَرَّأْتُ بِجَهْلِي، وَسَكَنْتُ إِلَى قَدِيمِ ذِكْرِكَ لِي وَمَنْكَ عَلَيَّ»
- ٢٣٣ ظلم النفس
- ٢٣٥ الجهل هو الذي يكمن وراء الخطيئة

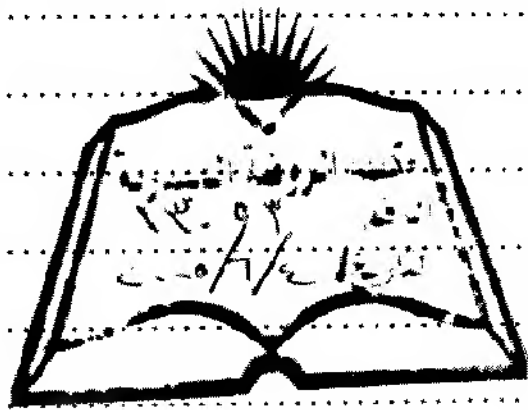
- ٢٣٥ الاعتراف بالذنب
- ٢٣٦ اعتراف الشاب
- ٢٣٧ عاقبة المذنب التائب
- ٢٣٩ «اللَّهُمَّ مَوْلَايَ كَمْ مِنْ قَبِيحٍ سَتَرْتَهُ...»
- ٢٤٣ «اللَّهُمَّ عَظُمَ بَلَائِي، وَأَفْرَطَ بِي سُوءُ خَالِي...»
- ٢٤٣ معنى البلاء
- ٢٤٣ ١- الذنب والمعصية
- ٢٤٤ سؤال و جواب
- ٢٤٥ مع أوس القرني
- ٢٤٥ ٢- النأي عن مقام القرب
- ٢٤٦ ٣- الجهل
- ٢٤٧ سوء الحال
- ٢٤٨ التقصير في العَمَل
- ٢٤٩ السلاسل والأغلال
- ٢٥١ «وَحَبَسَنِي عَنْ نَفْعِي بُعْدُ آمَالِي»
- ٢٥١ الآمال البعيدة
- ٢٥٥ حكمة
- ٢٥٦ «وَحَدَّثَنِي الدُّنْيَا بِغُرُورِهَا»
- ٢٦٠ «وَنَفْسِي بِخِيَايَتِهَا وَمِطَالِي»
- ٢٦٢ أوصاف النفس
- ٢٦٤ آراء أمير المؤمنين عليه السلام في اصلاح النفس
- ٢٦٦ المطل
- ٢٦٧ «يَا سَيِّدِي فَأَسْأَلُكَ بِعِزَّتِكَ أَنْ لَا يَحْجُبَ عَنْكَ دُعَائِي سُوءَ عَمَلِي وَفِعَالِي...»
- ٢٦٧ انقطاع طريق الدعاء
- ٢٦٩ «وَلَا تَفْضَحْنِي بِخَفِيِّ مَا أَطْلَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ سِرِّي»

٢٦٩	الستر.....
٢٧٠	حكاية.....
٢٧٢	«وَلَا تُعَاجِلْنِي بِالْعُقُوبَةِ عَلَى مَا عَمِلْتُهُ فِي خَلَوَاتِي...» ..
٢٧٣	التفريط.....
٢٧٤	الجهل.....
٢٧٤	الشهوة.....
٢٧٦	حكاية.....
٢٧٧	الغفلة.....
٢٧٩	«وَكُنِ اللَّهُمَّ بِعِزَّتِكَ لِي فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا رُؤُوفًا، وَعَلَيَّ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ عَطُوفًا» ..
٢٧٩	حكاية.....
٢٨٠	حكاية أخرى.....
٢٨٢	«إِلَهِي وَرَبِّي مَنْ لِي غَيْرُكَ، أَسْأَلُهُ كَشْفَ ضُرِّي، وَالنَّظَرَ فِي أَمْرِي» ..
٢٨٤	حكاية.....
٢٨٥	حكاية أخرى.....
٢٨٦	وحكاية أخرى.....
٢٨٩	وحكاية أخرى.....
٢٩٣	«إِلَهِي وَمَوْلَايَ أَجْرَيْتَ عَلَيَّ حُكْمًا اتَّبَعْتُ فِيهِ هَوَى نَفْسِي، وَلَمْ أَحْتَرِشْ...» ..
٢٩٣	الواجبات.....
٢٩٦	«فَلَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ...» ..
٢٩٦	أدلة الحق.....
٢٩٨	«وَقَدْ أَتَيْتُكَ يَا إِلَهِي بَعْدَ تَقْصِيرِي وَإِسْرَافِي عَلَى نَفْسِي مُعْتَذِرًا نَادِمًا...» ..
٢٩٨	كلمات الحب ومناجاة العشق.....
٢٩٩	يوسف وزليخا.....
٣٠٠	قوم يونس.....
٣٠١	«اللَّهُمَّ فَاقْبَلْ عُذْرِي، وَأَرْحَمْ شِدَّةَ ضُرِّي، وَفُكِّنِي مِنْ شِدِّ وَثَاقِي...» ..

- ٣٠١ في رحاب الحبيب
- ٣٠٣ حكاية.
- ٣٠٥ محاسبة قبل الحساب
- ٣٠٦ « يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي وَرَبِّي ، أَتُرَاكَ مُعَذِّبِي بِنَارِكَ بَعْدَ تَوْحِيدِكَ ... »
- ٣٠٦ التوحيد
- ٣١٢ « هَيْهَاتَ أَنْتَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ تُضَيِّعَ مَنْ رَبَّيْتَهُ ، أَوْ تُبْعِدَ مَنْ أَدْنَيْتَهُ ... »
- ٣١٢ تجلي الربوبية
- ٣١٨ حكمة تشريحية
- ٣٢٠ موسى وقارون
- ٣٢٢ حكاية.
- ٣٢٢ حكاية أخرى
- ٣٢٣ وحكاية أخرى
- ٣٢٤ « وَلَيْتَ شِعْرِي يَا سَيِّدِي وَإِلَهِي وَمَوْلَايَ ... »
- ٣٢٤ رمر العبادة
- ٣٢٦ حسن الظن بالله
- ٣٢٨ « وَأَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفِي ، عَنْ قَلِيلٍ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا وَعُقُوبَاتِهَا ، وَمَا يَجْرِي ... »
- ٣٢٩ بلاء الدنيا والآخر
- ٣٣٠ عذاب البرزخ والقيامة
- ٣٣٤ « يَا إِلَهِي وَرَبِّي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ ... »
- ٣٣٤ شكوى إلى الحبيب
- ٣٣٦ البكاء
- ٣٣٨ فراق الأحبة
- ٣٣٩ أهل الكرامة
- ٣٣٩ الأمل
- ٣٤١ « فَبِعِزَّتِكَ يَا سَيِّدِي وَمَوْلَايَ أَقْسِمُ صَادِقًا ، لَنْ تَرَكْتَنِي نَاطِقًا ... »

٣٤٢	هارون وبهلول
٣٤٤	« أَفْتَرَاكَ سُبْحَانَكَ يَا إِلَهِي وَبِحَمْدِكَ تَسْمَعُ فِيهَا صَوْتُ عَبْدٍ مُسْلِمٍ... »
٣٤٤	حكاية
٣٤٦	وصايا
٣٤٧	« يَا مَوْلَايَ فَكَيْفَ يَبْقَى فِي الْعَذَابِ... »
٣٤٧	الرحمة والكرامة
٣٤٨	حكاية
٣٤٩	حديث شريف
٣٤٩	القافلة
٣٥١	علي .. المجد الأخلاقي
٣٥٢	« هَيْهَاتَ مَا ذَلِكَ الظَّنُّ بِكَ ، وَلَا الْمَعْرُوفُ مِنْ فَضْلِكَ... »
٣٥٣	ابراهيم
٣٥٤	وسعت رحمته السماوات
٣٥٤	حكاية
٣٥٥	خصال خمس
٣٥٦	حكاية
٣٥٦	حكاية
٣٥٨	« إِلَهِي وَسَيِّدِي ، فَأَسْأَلُكَ بِالْقُدْرَةِ الَّتِي قَدَّرْتَهَا ، وَبِالْقُضِيَّةِ الَّتِي... »
٣٥٩	« وَكُلُّ سَيِّئَةٍ أَمَرْتُ بِإِثْبَاتِهَا الْكَرَامَ الْكَاتِبِينَ ، الَّذِينَ وَكَّلْتَهُمْ بِحِفْظِ... »
٣٥٩	الكاتبون
٣٦٢	« يَا رَبِّ يَا رَبِّ ، يَا رَبِّ يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَمَالِكَ رِقِّي... »
٣٦٢	الاسم الأعظم
٣٦٥	العمل الصالح
٣٦٨	« قَوِّ عَلَى خِدْمَتِكَ جَوَارِحِي ، وَأَشْدُدْ عَلَى الْعَرِيْمَةِ جَوَانِحِي... »
٣٦٨	شروط الافاضة

- آداب المعاشرة ٣٦٩
- اللقمة الحرام ٣٧٠
- الرديلة ٣٧١
- التخمة ٣٧٢
- كثرة النوم ٣٧٢
- العبادة الحق ٣٧٣
- خدمة الناس واحترام كرامتهم الانسانية ٣٧٥
- اليقين ٣٧٦
- «اللَّهُمَّ وَمَنْ أَرَادَنِي بِسُوءٍ فَأَرِدْهُ، وَمَنْ كَادَنِي فِكِدْهُ...» ٣٧٩
- حكاية ٣٨٠
- حكاية ٣٨١
- «وَأَجْعَلْ لِسَانِي بِذِكْرِكَ لَهْجًا، وَقَلْبِي بِحُبِّكَ مُتِّمًا...» ٣٨٢
- اللسان ٣٨٢
- حكاية ٣٨٤
- اجابة الدعاء ٣٨٥
- حكاية ٣٨٦
- حكاية أخرى ٣٨٧
- وحكاية أخرى ٣٨٨
- وحكاية أخرى ٣٩٠
- وحكاية أخرى ٣٩٠
- مطر الرحمة ٣٩٢
- حكاية ٣٩٢
- «يَا سَرِيعَ الرِّضَا، اغْفِرْ لِمَنْ لَا يَمْلِكُ إِلَّا الدُّعَاءُ، فَإِنَّكَ فَعَالٌ لِمَا تَشَاءُ...» ٣٩٤
- حكاية ٣٩٦
- المحتويات ٣٩٧





مؤسسة انصاریان للطباعة والنشر

جمهوریة ایران الإسلامية

قم - شارع الشهداء - فرع ۲۲

ص.ب ۱۸۷

هاتف: ۷۷۴۱۷۴۴ (۲۵۱) (۹۸) فاكس: ۷۷۴۲۶۴۷

البريد الإلكتروني: ansarian@noomet.net

www.ansariyan.org & www.ansariayn.net